رواية

# سمراء الجنوب

الشهيدة سميرة عودة المنصوري

كمال السيد

كلمات ميداد
للثقافة والإعلام
MIDAD cultural coordination

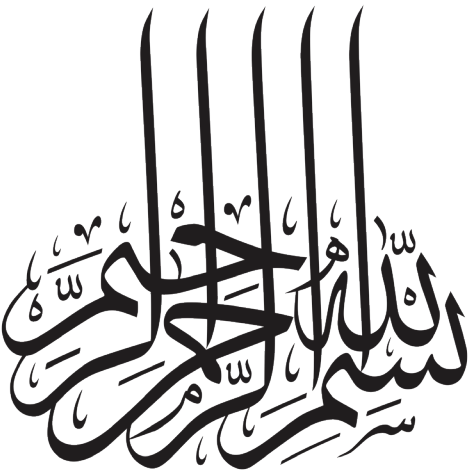
بسم الله الرحمن الرحيم

**اسم الكتاب:** سمراء الجنوب
رواية تتحدث حول الشهيدة سميرة عودة المنصوري
**تأليف:** كمال السيّد
**الطبعة:** الأولى، يونيو ٢٠٢٤ - ذوالحجة ١٤٤٥ هـ
**إعداد ونشر:** مؤسسة كلمات للطباعة والنشر - دار مداد للثقافة والإعلام
**توزيع:** دار المعارف الحكمية
**البريد الإلكتروني:** kaleemat.pub@gmail.com
جميع حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة كلمات
ISBN 978-614-464-268-9

kamal.alsayeed

كلمات

الموقع الرسمي

مداد
للثقافة والإعلام
MIDAD cultural coordination
Bahrain - Jidhafs / AlHashimi Complex
+973 - 32 060 677
midad_bh
midadbh@gmail.com

## الفهرس


شكر وتقدير ..... ٧
الاهداء.. ..... ٩
مشهد بلا عنوان ..... ١١
حقل الأفراح - ١ ..... ١٧
حقل الأفراح - ٢ ..... ٢١
حقل الأفراح - ٣ ..... ٢٧
حقل الأفراح - ٤ ..... ٣٥
حقل الأحزان - ١ ..... ٤٤
حوادث غامضة! ..... ٤٨
الحسين يولد من جديد ..... ٥٧
عودة تمّوز ..... ٩٥
شموع ودموع ..... ١١٩
سمير.. ستبقى بطلاً في ضمير الأجيال ..... ١٢١
برقيّة موجّهة إلى صدام ..... ١٣٠
في أحد أسواق العاصمة بيروت ..... ١٣٦
نداءات ما بعد الرحيل ..... ١٣٧
العدوان على السلام ..... ١٤٤
عمليّة تشرين - اكتوبر ١٩٨٠ ..... ١٥٠
الحلم الكبير ..... ١٥٢

في تلك الليلة الخريفيّة ..... ١٥٥
موعد مع القدر..... ١٥٧
شاكر صيهود ..... ١٥٩
الدرس الأخير ..... ١٦١
جحيم البعث ..... ١٦٣
ألف باء..... ١٧٨
الرحيل وشيك ..... ١٨٤
الليلة الأخيرة..... ١٨٩
بلا وداع.. سنلتقى ..... ١٩٣
حقل الأحزان ..... ١٩٧
ثأر الشهيد..... ١٩٩
إلى حجيم الاستخبارات العسكريّة ..... ٢٢٢
الموقف ..... ٢٢٥
باسل..... ٢٢٧
سجن الرشاد..... ٢٣٨
الشبكة..... ٢٤٣
حقل الأحزان ..... ٢٤٦
حرب من أجل السلام ..... ٢٤٩
مرثية..... ٢٦١

**شكر وتقدير**

أخي الكبير وقرة عيني ..

الأستاذ عباس الساعدي (علي العراقي )

اقبل الأنامل التي خطت مذكرات سجينة ..

هذا السفر الخالد...

فلولا هذا الكتاب التاريخي القيم ما كان ..

ل " آخر أساطير الحب " و " السماء تفتح أبوابها في المساء"

و" عواطف وأمل " أن ترى النور ..

وأقولها صراحة إن المؤلف الحقيقي ل " سمراء الجنوب "

إنما هو المؤرخ القدير والعلم الكبير أعلاه..

**كمال السيد**

**الاهداء..**

إلى إيمان عبدالأمير عبدالصمد..

ذكرى الراحلين إلى الأبديّة

**مشهد بلا عنوان**

لاح المسجد في ذلك المساء وقد أشرق القمر بهيا و تلألت النجوم في سماء " الأبلة " قلعة محاصرة ..أو سفينة تقاوم ببسالة الأمواج العاتية..

أصداء الإحتفال بذكرى ميلاد سيد الأوصياء تنبعث من ساحة المسجد ومن أعلى منارته..

في مثل هذه الليلة ولد صوت العدالة والإنسانية ورمز الكرامة والحرية... وجاء صوت جهوري شجاع :

– أليس من نكد الدنياوغرتها أن يحكم "البعث" فينا سادة الأمم

لو قدر للمرء في تلك الليلة العظيمة من ليالي رجب الأصب أن يختصر المسافات الطويلة والزمن لشهد احتفالا مهيبا في مدينة الثورة الباسلة في "جامع سيد الرسل" ولأصغى مذهولا لعريف الحفل وهو يفتتح الكلمات بقوله:

– بسم الله الرحمن الرحيم ...

قل أعوذ برب الفلق ..من شر البعث وعفلق ...

ولرأى شيخا غارقا في السنين يصغي حزينا لما يسمع ويرى...

فـي مسـجد الأبلـة نهـض الشـاب المثقـف أحمـد عبـاس الميـاح ليلقـي قصيـدة ثائـرة يخاطـب فيهـا نظـام البعـث :

– ماذا تريد وقد سلبت ردائي وهتكت ستر مروئتي وحيائي

- ماذا تريد وهل في وعائک نكهة - من علقم حتى حسدت وعائي

الحضـور شـباب جامعـي وشـبان مراهقـون وشيـوخ حنكتهـم تجـارب الزمـن الراحـل..

الشيخ الغارق في السنين يصغي مذهولا لما يسمع ويرى ..

رفـع الـشيخ حاجبيـه بيديـن معروقتيـن وسـأل شـابا مراهقـا تتألـق فـي عينيـه آمال عريضـة وامنيـات خضـراء :

– من هذا؟

أجاب الشاب وهو يشعر بالفخار:

– هذا عمي أبو هدى

همس الشيخ متمتما: هذا لن يعيش طويلا

وسأل الشاب المراهق :

– وهذا الواقف الى جنبه؟

– هذا الاستاذ عبدالأميرعبد الصمد

تمتم الشيخ كأنما يحدث نفسه:

– هذا لن يموت أبدا

نهـض الـشيخ الغـارق فـي السـنين ليغـادر الـمكان تـاركا الشـاب فـي حيـرة مـن الأمـر... تـرى مـن يكـون هـذا الـشيخ الغريـب؟؟؟ -

**بغداد ٨ شباط ١٩٨٢م**

بدا ذلك اليوم الشتائي غارقاً في حزن مرير.. كئيباً.. بارداً.. زمهريراً.. وما ضاعف في كآبته مصادفته مع الثامن من شهر شباط حيث يحتفل البعثيّون بذكرى «عروس الثورات».

منذ أكثر من عقد من السنين والبعثيّون يحتفلون وبكلّ وقاحة بذكرى الانقلاب الدموي على حكم الزعيم عبدالكريم قاسم محبوب الفقراء..

في الثامن من شباط ١٩٦٣م أطاح «الحرس القومي» بالحكم الوطني وتأسيس حكم وثني..

وارتكب البعثيّون وعلى مدى تسعة شهور كلّ الموبقات وكلّ ما يندى له جبين الانسانيّة..

بدا مبنى محكمة أمن الثورة العسكريّة جاثماً كنسر اسطوري رهيب.. القاضي يحمل رتبة لواء.. ينظر في قضيّة الأسيرة سميرة عودة عبدالجليل المنصوري.. من مواليد مدينة البصرة ١٩٥١..

خرّيجة جامعة البصرة ١٩٧٣م كليّة الآداب.. قسم اللغة العربيّة.. مدرّسة لغة عربيّة في اعداديّة خولة بنت الازور في حيّ المعقل.. متزوّجة..

متّهمة بالانتماء إلى حزب الدعوة العميل للفرس المجوس ومحاولة القتل المتعمّد مع سبق الاصرار والترصّد الرفيق سلام. س.. عضو قيادة فرقة في تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي..

لاحظ القاضي توصيات ضابط التحقيق الرائد مهدي الدليمي وضابط التحقيق النقيب حسين التكريتي في اصدار حكم الاعدام بحقّها.. صورتها الملصقة تختلف تماماً رفع رأسه ونظر إليها.. لقد مضى على اعتقالها

أحـد عشـر شـهراً.. امضتهـا فـي غـرف التحقيـق فـي البصـرة وبغـداد.. ثمّـة ملامـح مـن الملاحـة تطـوف فـوق وجههـا القمحـي الـذي لوحتـه شـمس الجنـوب.. حـدّق القاضـي فـي عينيهـا المتألقيـن:

– هل تؤيّدين انتماءك إلى حزب الدعوة العميل للفرس المجوس؟!

أجابت بلهجة المؤمن بقدر الله:

– أنـا أنتمـي إلـى حـزب الدعـوة الإسـلاميّة.. ابـن هـذه الأرض.. أنتـم العمـلاء وحزبكـم مسـتورد مـن خـارج الحـدود..

حـزب الدعـوة أسّسـه السـيّد الشـهيد محمّـد باقـر الصـدر وهـو حـزب الشـهداء.. حزبكـم أسّسـه ميشـيل عفلـق الماسـوني.

قاطعها بحدّة:

– هل تعترفين بمحاولة قتل الرفيق سلام..

– نعـم.. وأنـا آسـفة جـدّاً لأنّـه لـم يلـق حتفـه.. وفـي كلّ الأحـوال سـيكون مصيـره جهنّـم وبئـس المصير.

– لماذا؟

– لأنّـه تسـبّب فـي قتـل زوجـي وإعـدام العشـرات مـن الأبريـاء.. تقاريـره الحزبيّـة.. تسـبّبت فـي اعتقـال الكثيريـن..

– هل تشعرين بالندم؟

– أبداً..

سـكت القاضـي وهـي يخفـي فـي أعماقـه إعجابـاً بهـذه الفتـاة.. لقـد بهرتـه فصاحتهـا وصدمتـه شـجاعتها..

راح يتصفّح التقارير الأمنيّة أو هكذا كان يتظاهر ثمّ جاء صوته قاسياً:

– حكمت محكمة أمن الثورة العسكريّة على المجرمة سميرة عودة عبدالجليل بالاعدام شنقاً حتّى الموت لمحاولتها القتل مع سبق الاصرار والترصّد ولانتمائها إلى حزب الدعوة العميل للفرس المجوس!

افتر ثغرها عن ابتسامة هي مزيج من الفرح والسخريّة وانطلق صوتها فصيحاً ينطوي على كلّ معاني الشجاعة والاستبسال:

– أقول كما قال سيّدي وإمامي عليّ بن الحسين زين العابدين لأسلافكم الأمويين: القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة..

* * *

السيّارة الصندوق الخاصّة بنقل السجناء تغادر مبنى المحكمة صوب شرق بغداد إلى حيث يجثم سجن الرشاد الخاص بالنساء.. سجن الرشاد لم يرد له أي ذكر ضمن السجون والمعتقلات البالغ عددها «٧٤» سجناً..

السيّارة الصندوق تعبر جسر القناة لتدخل بغداد الجديدة ثمّ تخترق «المشتل» لينتهي بها المطاف في حي الرشاد بالقرب من طريق بعقوبة القديم..

السيّارة تتوقّف أمام بوابة مبنى السجن..

سميرة تعبر البوابة الكبيرة المزودة بنافذة حديديّة مغلقة في معظم الأوقات..

يشتمل السجن على ثلاثة قواطع؛ القاطع الأيمن مؤلّف من ثلاث زنزانات ومساحة الزنزانة أقل من تسعة أمتار مربّعة دخلت سميرة القسم الثالث الخاص بالقضايا السياسيّة.. لتجد العديد من النسوة والفتيات المحكومات بقضايا سياسيّة.. كان الوقت عصراً.. استقبلت رافدة

الجبوري بوجهها الدميم سميرة بالشتائم غير أنّها استقبلت بكلّ حفاوة في القسم الثالث فشعرت بدفء المحبّة من أخواتها ورفيقات الطريق الصعب.. وما أسرع أن بادرت أخواتها في القسم الرابع الذي يتمتّع بظروف أفضل من الثالث إلى إيصال الملابس والثياب وحتّى الدواء.

* * *

سميرة تخط على جدار الزنزانة وبخط واضح جميل كلمات السماء:

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» شعرت بطاقة ايجابيّة لا نهاية لها وهي تتلو بخشوع هذه الكلمات القادمة من عالم مفعم بنور السماوات استغرقت سميرة في رسم حقلين.. حقل الأفراح وسجّلت فيه تواريخ كلّ الذكريات الحلوة.. تاريخ تخرجها من الجامعة.. تاريخ زواجها واقترانها بالشهيد عبدالأمير عبدالصمد.. تاريخ ميلاد ابنتهما ايمان.. تاريخ وصول الإمام الخميني من منفاه إلى أرض الوطن.. تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة..

وإلى جانب هذا الحقل رسمت سميرة حقلاً آخر هو حقل الاحزان وسجّلت فيه تواريخ الذكريات المريرة.. تاريخ استشهاد السيّد محمّد باقر الصدر.. تاريخ اعتقال واعدام اشقائها زكي وبشير وفخري.. تاريخ استشهاد شقيقتها حميدّة وليلى.. تاريخ اعتقال أزواج شقيقاتها.. تاريخ استشهاد زوجها في مواجهة دامية مع ازلام صدام في شوارع البصرة.. تاريخ اعتقالها وفراق ابنتها إيمان..

كانت تغوص في نهر الزمان وتستغرق في ذكرياتها في حقول الفرح والحزن.. تشعر بحلاوة الذكريات الجميلة.. وتتذوق مرارة الذكريات الحزينة..

## حقل الأفراح - ١

يتألّق اسمها في قوائم الخريجين في جامعة البصرة كليّة الآداب - قسم اللغة العربيّة تكاد تطير فرحاً بشهادة البكالوريوس في اللغة العربيّة في تلك الأمسيّة الحالمة في مدينة الهارثة الصغيرة احتفلت أسرة عودة عبدالجليل فرحاً بهذه المناسبة.. سميرة التي بلغت من العمر إحدى وعشرين سنة.. تبتسم للحياة والمستقبل..

تقع مدينة الهارثة الصغيرة شمال شرق البصرة على الضفاف الشرقيّة من نهر الفرات.. وتشكل «گرمة علي» الجزء الجنوبي من الهارثة.. حيث تنهض غابات النخيل.. يعود تأسيس هذه المدينة إلى عام ١٩٢١م.. ويرمز اسم الهارثة إلى معنى «الأرض الرخوة» التي تنجرف مع مجرى النهر وفي هذه المنطقة وفي گرمة علي يلتحم النهران دجلة والفرات ويشكلان شطّ العرب..

وتتألّق في هذه المنطقة العديد من الجزر المكتظة بغابات النخيل في طليعتها «جزيرة السندباد» الحالمة التي تقع في وسط شطّ العرب..

نسائم آذار ١٩٧٣م تهب فتداعب سعف النخيل..

كانت جلسة السمر في تلك الليلة حول البعثة اليابانيّة التي قدِمت

مـن أجـل البحث عـن سـفينة بريطانيّـة غرقـت خلال الحـرب العالميّـة الأولى.. وكانـت السـفينة البريطانيّـة محملـة بعـدد كبيـر مـن الآثـار العراقيّـة المنهوبـة مـن البصـرة وقـد تضمنـت ثوريـن مجنحيـن وجداريـات آشـوريّة وعـدد كبيـر مـن القطـع الاثريّـة.. وسـبب غـرق السـفينة هـو اعتـراض مقاتلـة عثمانيّـة لهـا..

وقـد أخفقـت البعثـة اليابانيّـة فـي العثـور عـلى أيّ أثـر للسـفينة الغارقـة.. وتضمـن التقريـر اليابانـي الاشـارات إلى أنّ السـفينة قـد سـارت بالرغـم مـن اصابتهـا بأضـرار جسـيمة ولا يعـرف مكان غرقهـا عـلى وجـه التحديـد!

فـي هـذه المنطقـة المكتظـة بغابـات النخيـل ولـدت سـميرة وفتحـت عينيهـا عـلى الدنيـا عام ١٩٥١ للمـيلاد..

سـميرة تضـع قدميهـا فـي «متوسـطة الهارثـة للبنـات» الواقعـة شمال گرمـة علـي اسـتاذة للغـة العربيّـة.. تحـرص عـلى التحـدّث بالفصـحى وتشـجع تلميذاتهـا عـلى قـراءة الصحيفـة السـجّاديّة وحفـظ أدعيـة الأيّـام ونصـوص المناجـاة الخمسـة عشـر.. كانـت تحـرص عـلى أن تكـون قـدوة فـي الأخلاق وأسـتاذة فـي اللغـة.. وعنـدما انتقلـت إلى «إعداديّـة القناديـل للبنـات» كانـت تختـار نصوصـاً مـن نهـج البلاغـة تتضمّـن قيـم المقاومـة ورفـض الظلـم..

ومـن خلال دروس الانشـاء كانـت تحـرص عـلى انتخـاب الموضـوع الـذي ينمـي روح العـزّة والشـرف والابـاء.. مـرّة اختـارت كلمـة حماسـيّة للإمام علـيّ عليه السلام اطلقهـا فـي حـرب صفّيـن:

– الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين.

ومـرّة كلمـة قالهـا الإمام علـيّ عليه السلام وهـو ينفـض يديـه مـن قبـر زوجتـه السـيّدة فاطمـة الزهـراء:

– فقد الأحبّة غربة.

ومرة اختارت أبيات شعريّة منسوبة للإمام عليّ عليه السلام:

– إنّما الدنيا زوال

ليس في الدنيا ثبوت

إنّما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك منها أيّها الطالب قوت

ولعمري.. عن قليل كلّ من فيها يموت

يطيب لها أحياناً أن تجلس في ظلال نخلة فتية.. واحيانا تفرش سجّادة صغيرة فتقرأ بصوت خاشع آيات من الذكر الحكيم وبعض خطب نهج البلاغة.. أمّا الصحيفة السجّاديّة فكانت تشدو بمناجاتها بعد أداء صلاة الليل..

وكانت في ليالي رمضان تقرأ على مهل دعاء الافتتاح.. وتتوقّف عند مقطع يعبّر عن آمال المقهورين والمظلومين على مدى الزمان والسنين:

– اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة..

تعزّ بها الإسلام وأهله..

وتذلّ بها النفاق وأهله..

وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك..

والقادة إلى سبيلك..

وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة.

وعندما يحل فصل الشتاء ويطل موسم المطر كانت تتغنّى بـ «انشودة المطر»:

– تثاءب المساء والغيوم ما تزال..
تسحُّ ما تسحُّ من دموعها الثقال..
كأنّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام..
بأنّ أمه التي أفاق منذ عام..
فلم يجدها.. ثمّ حين لجّ في السؤال..
قالوا له: بعد غدٍ تعود..

* * *

ومنذ أن كنّا صغاراً كانت السماء..
تغيم في الشتاء..
ويهطل المطر..

* * *

## حقل الأفراح - ٢

سـميرة تخلـص فـي عملهـا اسـتاذة فـي اللغـة العربيّـة تـمّ نقلهـا إلى «إعداديّـة القناديـل للبنـات» بعـد أن تألّـق اسـمها وشـهدت هيئـات التدريـس بكفائتهـا..

نسـائم آذار النديـة تداعـب سـعف النخيـل فـي شمال «گرمة علـي» وجزيرة «بـاب الهـوى» فـي سـاعة السـحر نهضـت سـميرة لـصلاة الليـل.. ملأت رئتيهـا مـن الهـواء المشـبع بنكهـة الميـاه الغرينيـة وهـي تجـري صـوب البحـر..

دأبـت سـميرة عـلى حفـظ نصـوص المناجـاة وأدعيـة الأيّـام ورأت فـي ليـالى الجمعـات أفضـل الأوقات فـي أن تشـدو بـكلمات الحـب الالهـي..

– الهي!

اذهلني عن اقامة شكرك..

تتابع طولك..

واعجزني عن احصاء ثنائك..

فيض فضلك..

أنت الرؤوف الرحيم..

البرّ الكريم..

الذي لا يخيّب قاصديه..

ولا يطرد عن فنائه آمليه..

إلهي تصاغر عند تعاظم آلائك شكري..

جلّلتني نعمك من أنوار الايمان حللا..

وطوّقتني اطواقاً لا تُفلّ..

فآلاؤك جمّة..

ضعف لساني عن احصائها..

ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن ادراكها..

فكيف لي بتحصيل الشكر؟!

وشكري إيّاك يفتقر إلى شكر!!

فكلّما قلت لك الحمد

وجب عليّ لذلك أن أقول لك الحمد!!

انبعث في أعماقها صوت خاشع: السلام عليك يا زين العابدين ويا سيّد الساجدين.. ياعليّ بن الحسين!

وراحت تتأمّل السماء الكحلية حيث تومض ملايين ملايين النجوم..

– إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك..

كما يليق بجلالك..

وعجزت العقول عن ادراك كنه جمالك..

وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك..

ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك..

إلّا بالعجز عن معرفتك..

همست في داخلها.. إن من يريد معرفة الله عليه أن يعترف في أعماقه بالعجز عن معرفته!!

وتناهى إلى اذنيها صوت من مئذنة مسجد قريب:

إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ.. يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما..

الله أكبر.. الله أكبر

أشهد أن لا إله إلّا الله

أشهد أنّ محمّداً رسول الله

أشهد أنّ عليّاً وليّ الله

حيّ على الصلاة

حيّ على الفلاح

حيّ على خير العمل..

الله أكبر.. الله أكبر

لا إله إلّا الله

عادت السكينة تنشر أجنحتها في ذلك الفجر الحالم.. وتنبعث أصداء صياح الديكة.. تختلط مع زقزقه العصافير في أعشاشها.

سميرة تسبغ الوضوء عند جذع نخلة فتية.. في طفولتها كانت تتخيّل

كيف تتشرب جذور النخيل المياه بصمت..

نسائم الفجر العبقة بنكهة المياه تداعب سعف النخيل الممتد على جبهة النهر..

انطوت عطلة الربيع ورحلت كرحيل الفراشات..

سيبقى هذا اليوم متألّقاً في الذاكرة..

يحلو لها أحياناً أن تقطع المسافة إلى اعداديّة القناديل للبنات سيراً على الأقدام.. كانت تهمس بما حفظته من دعاء يوم الثلاثاء:

– اللّهمّ اجعلني من جندك.. فان جندك هم الغالبون

واجعلني من حزبك.. فان حزبك هم المفلحون

واجعلني من أوليائك.. فان أولياءك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون..

اللّهمّ اصلح لي ديني.. فانّه عصمة أمري..

واصلح لي آخرتي.. فانّها دار مقرّي..

وإليها من مجاورة اللئام مفرّي..

واجعل الحياة زيادة لي في كلّ خير..

والوفاة راحة لي من كلّ شرّ..

تفتّح قلبها الطاهر طهر الندى لكتاب «الصحيفة السجّاديّة».. حقاً انها «زبور آل محمّد» بما تشتمل عليه من مضامين سامية سموّ السماوات..كل ذلك في ايقاع موسيقى حالم...

وجدت نفسها مأخوذة بنصوصها.. ولم تكن تعرف سر هذا الانجذاب.. كانت تواظب على قراءة أدعية الأيّام.. إلى جانب المناجاة الخمسة عشر.. فكانت تشدو بمناجاة المعتصمين في ساعة السحر!

– اللّهمّ يا ملاذ اللائذين!

ويا معاذ العائذين!

ويا منجي الهالكين!

ويا عاصم البائسين!

ويا راحم المساكين!

ويامجيب المضطرين!

ويا كنز المفتقرين!

ويا جابر المنكسرين!

ويا مأوى المنقطعين!

ويا ناصر المستضعفين!

ويا مجير الخائفين!

ويا مغيث المكروبين!

ويا حصن اللاجئين..

إن لم أعذ بعزّتك فبمن أعوذ؟!

وإن لم ألذ بقدرتك.. فبمن ألوذ؟!

فتيات في عمر الربيع يتوافدن على اعداديّة القناديل للبنات ..الابتسامة تشرق فوق الوجوه القمحيّة..

سميرة تلقي التحايا على الفتيات.. عندما دخلت غرفة الادارة لمحت امرأة قد اجتازت الخامسة والأربعين ترتدي العباءة الجنوبيّة.. وإلى جانبها فتاة تناهز العشرين ترتدي الحجاب العصري تداعت في مخيلها صورة لـ

«نقـاء» بطلـة «الفضيلـة تنتصـر».

ما تـزال تتذكـر المقطـع الأخيـر مـن المقدّمـة والـذي تقـول فيـه بنـت الهـدى.

– ـ «علـى ان ما قمـت بـه لا يعـدو عـن كونـه محاولـة بنّـاءة لفتـح الطريق وتعبيـده بغيـة السـير فـي احيـاء جهـاز إعلامـي صامـت مـن أجهـزة الاعـلام التـي تواكـب سـيرنا ونحـن فـي بدايـة الطريـق».

اقتنـت سـميرة مؤلّفـات السـيّدة بنـت الهـدى وأهـدت «الفضيلـة تنتصـر» إلى شـقيقتها «ليلـى» وكانـت يومهـا فـي الرابعـة عشـرة مـن ربـيع العمـر.. كما أهـدت «ذكريـات عـلى تلال مكّـة» إلى شـقيقها «زكـي» و«صـراع مـن واقـع الحيـاة» إلى شـقيقها «فخـري» و«الباحثـة عـن الحقيقـة» إلى شـقيقها «بشـير» أحيانـاً عنـدما يلتئـم شـمل الأسـرة خاصّـة فـي الليالـي تحـاول أن تفتـح موضـوعاً اجتماعيّـاً تربويّـاً..

ويجـري حديـث هـادىء مفعـم بالمـودّة كعـادة أهـل البصـرة فـي هدوئهـم وسـكينتهم.. سـكينة تشرّبهـا الـسكان الاصلاء مـن سـكينة المـرافىء.. ثمّـة حـزن هـو الآخـر هـادىء لا يكاد يستشـعره المـرء إلّا بعـد لأي.. حـزن ربما مـن وحـي المـوانىء وانسـياب «البلـم» فـي «الشـط» ومـن صفيـر القطـارات الصاعـدة إلى بغـداد.. سـميرة تلقـي التحيّـة وهـي لا تـدري بعـد ان هـذه المـرأة الوقـور قـد جـاءت مـع ابنتهـا للتعـرّف عليهـا عـن قـرب..

المديـرة تنظـر إلى «سـت سـميرة» وتبتسـم.. المـرأة الوقـور تحييهـا بلطـف وكـذا ابنتهـا التـي ترجـو سـميرة أن تعطيهـا عنـوان البيـت..

سميرة تطرق برأسها حياءً وتدرك سرّ ابتسامة المديرة..

عرفـت سـميرة ان هـذه المـرأة الوقـور قدمـت مـن «المعقـل» التـي تغفـو عـلى ضفـاف شـط العـرب.. حيـث ترسـو السـفن التجاريّـة فـي مـرفأ صغيـر..

## حقل الأفراح - ٣

سـميرة مسـتغرقة فـي تسـجيل تجربـة روحيّـة عاشـتها فـي سـاعة السـحر.. كانـت تجربـة موحيـة ما تـزال تشـعر بمسـرّاتها وتسـتحوذ عـلى وجدانهـا.. وجـدت نفسـها تسـمو فـي عوالـم متألّقـة بأنـوار شـفّافة وهـي تشـدو بـكلمات تنسـاب كسـاقية فـي حقـل اخضـر مفعـم بالسـكينة والـسلام.

– الهي!

قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك.. كما يليق بجلالك..

وعجزت العقول عن ادراك كنه جمالك..

وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك..

ولـم تجعـل للخلـق طريقـاً إلى معرفتـك.. إلّا بالعجـز عـن معرفتـك.. إلهـي ما ألـذّ خواطـر الإلهـام بذكـرك عـلى القلـوب!

وما أحلى المسير إليك في مسالك الغيوب؟!

وما أطيب طعم حبك؟!

وما أعذب شرب قربك!!

تجـد نفسـها تسـيح فـي عالـم مفعـم بالـسلام.. بالمحبّـة والصفـاء.. بالطمأنينـة والسـكينة.. عالـمٍ تتألّـق فيـه أنـوار الحـب الالهـي.. وتسـبح فـي فضائـه حمائـم بيضـاء..

تشـعر بالسـعادة.. تتدفـق نبعـاً فـي حنايـا الصـدر فينبـض القلـب.. بالحـب الخالد..

ما تزال التجربة الروحيّة تستغرق تفكيرها ووجدانها..

وما ضاعـف شـعورها بالسـعادة أن الأسـرة تلقـت إشـعاراً حـول قـدوم «ضيـوف» فـي المسـاء مـن ليلـة الجمعـة..

ارتسـمت ابتسـامة عريضـة عـلى وجـوه الجمـيع وخاصّـة «ليـلى» فـي ربيعهـا الخامـس عشـر.. تنظـر بفرحـة وأمـل إلى شـقيقتها «سـميرة»..

كل اشـقائها وشـقيقاتها ينـظرون إليهـا بحـب وتقديـر يعتبرونهـا رمـزاً للايمان والتوجّـه نحـو الـسماء فـي زمـن تفاقـم فيـه التوجـه المادي وطغـت فيـه أمـواج المـدّ الدنيـوي.. يقـال إن لـصلاة الليـل أثـر فـي تألّـق نـور شـفاف يشـع مـن وجـه الانسـان المؤمـن كهالـة البـدر المنيـر.. وأن هـذا النـور ينفـذ فـي قلـوب النـاس بحيـث يجـد الانسـان الطيـب نفسـه منجذبـاً إليـه مـن دون وعـي لسـرّ الانجـذاب..

النـاس يقولـون «القلـوب سـواقي».. ويقـول بعضهـم؛ القلـب الطاهـر يعـرف طريقـه تماماً كالنهـر..

جـاء الضيـوف وكان فيهـم شـاب حنطـي الوجـه تطوف عـلى ملامحـه طيبة أهالـي البصـرة.. بـدا أنيقـاً فـي بدلتـه عليـه وقار المدرّسـين والأسـاتذة.. بالرغـم مـن عمـره الـذي ناهـز السـابعة والعشريـن.. عرفـت سـميرة ان الخاطب اسـمه عبدالأميـر عبدالصمـد مـدرس فـي اعداديّـة الشـهداء للبنيـن وتسـكن أسـرته فـي «المعقـل» بالقـرب مـن حـيّ «السـكك» أعـرق أحيـاء ناحيـة المعقـل..

فـي غرفـة الضيـوف الكبيـرة دارت أحاديـث عامّـة.. وخلال ذلـك حاولـت سـميرة التـي جلسـت قريبـاً مـن غرفـة الضيـوف أن تلتقـط ما يجـري مـن كلام.. وقبـل ذلـك كانـت تعتصـر ذاكرتهـا تحـاول أن تستكشـف صـورة هـذا الشـاب الـذي سـبقها فـي التـخرج مـن جامعـة البصـرة.. لكـن دون جـدوى.. صحـيح انّـه كان يـدرس فـي كليـة الآداب وفـي قسـم اللغـة العربيّـة إلّا انّـه سـبقها بثلاثـة أعـوام..

وصلـت الأحاديـث فـي غرفـة الضيـوف.. إلى ما جـرى فـي انتفاضـة صفـر الكبـرى فـي شـباط سـنة ١٩٧٧.. ما تـزال مضمخـة بعبـق الذكـرى الأولى لتلـك الانتفاضـة الخالـدة..

سـمعت سـميرة صوتـه الهـادىء يتحـدّث بـوقار عـن مشـاهداته فـي تلـك المسـيرة التـي ضمـت الشـباب الحسـيني وعـن استبسـال الثـوار وثباتهـم واصرارهـم رغـم كلّ الـظروف.. لـم توقـف مسـيرتهم الدبابـات والـدروع وحـتّى الطائـرات المقاتلـة ولا الأمطـار والبـرد القـارس.. لـم ترهبهـم قـوّات أمـن النظـام البعثـي المنحـط...

ما تزال الشعارات التي أطلقها الثوار تتردّد في وجدانه..

– ماكو مؤامرة تصير على الحسين بن علي.

– سجّلها النجف ثورة حسينيّة.. شرطة البعث شرطة جبانيّة.

– يا صدام شيل ايدك.. جيش وشعب ما يريدك.

– يابو فاضل گوم لينا.. عفلق أتأمّر علينا!

– أبد والله ما ننسى حسيناه!

ترحّـم عبدالأميـر عـلى الشـهداء وأشـار بحـزن إلى مـن تـمّ الحكـم عليهـم بالاعـدام شـنقاً حـتّى المـوت.. وأشـار كذلـك إلى اقـدام النظـام عـلى اعتقـال

السيّد محمّد باقر الصدر في المستشفى!

كشف عبدالأمير عن شخصيّته وتوجّهاته الفكريّة.. كان واضحاً جداً.. إنّه يريد من خطيبته أن تعي جيداً عواقب اختيارها!

ليلة الجمعة لها نكهة طيّبة لدى الأسرة العراقيّة خاصّة في الجنوب.. تبادل رجال من بني منصور القبيلة العريقة أحاديث وديّة في تلك الليلة وكانت النجوم تومض في مواقعها السحيقة.. ليلة الجمعة.. ليلة مباركة.. يجتمع فيها المؤمنون لقراءة دعاء كميل.. قليلون يعرفون انّ هذا الدعاء المنسوب إلى التابعي الشهيد كميل بن زياد النخعي الذي قتل بأوامر شخصيّة من جلّاد العراق الحجّاج بن يوسف الثقفي.. قليلون يعرفون انّه في الأصل دعاء الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.. وكان كميل يصغي إلى الإمام في احدى الليالي وهو يدعو في سجوده.. فاخبره ان هذا الدعاء هو دعاء الخضر..

الخضر ذلك العبد الصالح الذي بحث عنه النبيّ موسى بن عمران عليه السلام ليعلّمه ممّا علّمه اله.. فالتقاه عند الصخرة في ساحل البحر..

وفي تلك الليلة المباركة انسابت كلمات الدعاء بلسان عربي مبين..

الشاب عبدالأمير استاذ اللغة العربيّة في إعداديّة المعقل للبنين من المداومين على هذا الدعاء البليغ تنفذ الكلمات في أعماقه.. وكان يدرك في قراره نفسه أن هذا الدعاء مرآة تسطع فيها آيات القرآن العظيم.

– اللّهمّ إنّي أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء.

أليس هذا النص انعكاساً لقوله سبحانه: (فقل ربّكم ذو رحمة واسعة) الأنعام: ١٤٧.

– وخضع لها كلّ شيء (وعنت الوجوه للحيّ القيّوم) طه: ١١١.

- وذلّ لهـا كلّ شـيء (وتـذلّ مـن تشـاء) آل عمـران: ٢٦، (العـزّة الله جميعـاً) النسـاء ١٣٩.
- وبأسـمائك التـي مـلأت أركان كلّ شـيء (والله الأسـماء الحسـنى) الأعـراف: ١٨٠.
- وبعلمـك الـذي أحـاط بـكلّ شـيء (إنّ الله بـكلّ شـيء عليـم) التوبة: ١١٥.
- وبنـور وجهـك الـذي أضـاء لـه كلّ شـيء (الله نـور السـماوات والأرض) النور: ٣٥.

وفـي تلـك الليلـة رأت سـميرة فـي عالـم الرؤى نفسـها فـي وادٍ أخضـر ظليـل يترقـرق فيـه نهـر صغيـر.. وكان الـوادي مفـعماً بالسـكينة ما خلا صـوت رقيـق لذلـك النهـر.. ورأت كوخـاً مغمـوراً بنـور شـفّاف..

فـي وجدانهـا أن هـذا الـوادي هـو وطنهـا وأنّهـا كانـت فـي سـفر ثـمّ عادت إلى أرض الوطـن..

عنـدما اسـتيقظت فجـر الجمعـة كانـت ما تـزال تشـعر بحالـة مـن الـفرح والسـعادة.. كانـت مبتهجـة النفـس وهـي تصغيـي إلى زقزقـة العصافيـر وهديـل الـحمام..

ليلـة الجمعـة التـي مضـت قبـل سـاعات هـي أجمـل زهـرة فـي حقـل الأفـراح.. جـرت أحاديـث وديّـة وكان الضيـوف فـي غايـة الأدب وهـم يطرقـون البـاب.. بـاب الموضـوع الـذي حـضروا مـن أجلـه.. عبدالأميـر الشـاب الوقـور اسـتاذ اللغـة العربيّـة فـي اعداديّـة المعقـل يـود أن يطلـب يـد زميلتـه الآنسـة سـميرة.. لـم يـأت هكـذا.. أرشـده النـاس الطيّبـون إلى هـذه الأسـرة الكريمـة.. وهكـذا تمّـت الخطوبـة!

سـميرة فـي ذلـك الفجـر الحالـم تنظـر إلى الدنيـا نظـرة مفعمـة بـالآمال.. بعـد أيّـام معـدودة جـرت مراسـم العقـد الشـرعي وانطلقـت زغاريـد الـفرح.. وعنـدما تعانـق الكفّـان فـي ظلال كلمـة الله تدفـق نـبع الحـب الطاهـر فـي قلبيـهما.. عبدالأميـر يقـترح عـلى رفيقـة الـدرب وشريكـة العمـر أن يقـوما بنزهـة نهريّـة فـي غابـات النخيـل فـي منطقـة «الچباسـي» حيـث تكثـر التفـرّعات النهريّـة..

«البلـم» ينسـاب مـع انسـياب ميـاه شـط العـرب وهـي تجـري عـلى هـون نحـو الخلـيج..

عبدالأميـر ينظـر إلى «حبيبتـه» وقـد تعطّلـت لغـة الـكلام وخاطبـت عينـاه فـي لغـة الهـوى عينيهـا..

وعـلى مهـل راح العاشـق يشـدو بأبيـات شـعريّة لصديقـه الحميـم «أحمـد عبّـاس الميـاح» زميلـه فـي الجامعـة..

ترقرق الحب رهواً في خواطرنا

وراح يحضن عن قرب مآقينا

سمراء يا شمة في القلب عابرة

ويا ملاكاً سماويّاً ينادينا

صبيّ حنانك سلسالاً على كبدي

لأملأنّ به الدنيا دواوينا

حدّثتـه بشـأن الرؤيـا وشـعورها أنّهـا تنتنمـي إلى ذلـك الـوادي الظليـل كما لـو أنّـه وطنهـا الحقيقـي.. توهجـت فـي أعماقـه كلمات قالهـا الإمام علـيّ بـن أبـي طالـب ذات يـوم:

– «فليصدق رائد أهله وليحضر عقله وليكن من أبناء الآخرة فإنّه منها قدِم واليها ينقلب»[١].

الوطن الحقيقي للانسان يكمن هناك في ذلك العالم المفعم بالصفاء والطمأنينة والسلام..

«نحن من هناك.. من الأعالي.. وإلى الأعالي ذاهبون.. نحن من هناك.. لا من هنا»[٢].

الزورق ينساب في مياه التفرّعات النهريّة وهي تخترق غابات النخيل..

راحا يشدوان معاً ويترنمان بـ «أنشودة المطر».

– عيناك غابتا نخيل ساعة السحر..

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر..

عيناك حين تبسمان تورق الكروم..

وترقص الاضواء.. كالأقمار في نهر

يرجّه المجذاف وهناً ساعة السحر

كأنّما تنبض في غوريهما النجوم..

أكاد أسمع العراق يذخر الرعود

ويخزن البروق في السهول والجبال

حتّى إذا ما فضّ ختمها الرجال

لم تترك الرياح من ثمود..

---

١. . نهج البلاغة: الخطبة ١٥٤.

٢. . جلال الدين مولانا.

في الوادي من أثر..

فـي تلـك الليلـة تجمّعـت فـي عينيـه الدمـوع وهـو يطالـع تقريـراً حـول نخيـل العـراق نشـرته مجلّـة «ألـف بـاء» يشـير فيـه إلى تراجـع أعـداد أشـجار النخيـل مـن ٣٢ مليـون نخلـة إلى ٢٢ مليـون وانقـراض العديـد مـن أنواعهـا.

التقرير يشير إلى زوال عشرة ملايين نخلة منذ عام ١٩٦٨ إلى ١٩٧٨!!

كما لـو انّ البعثييـن جـاءوا مـن أجـل تدميـر هـذا الوطـن.. إن ما قاسـاه العـراق فـي حكـم «المغـول» لا يقـاس أبـداً بما يعانيـه فـي حكـم «النغـول»!!

## حقل الأفراح - ٤

انتقل العريسان إلى «حي الشهداء» في منطقة المعقل على ضفاف شط العرب.. وتمّت الموافقة على انتقالها من اعدادية «القناديل» إلى اعداديّة «خولة بنت الازور».. أمّا عبدالأمير فقد تمّ نقله إلى «إعداديّة الجمهوريّة» في «حي الجمهوريّة» المجاور..

أطل فصل الخريف.. فصل الحنين حيث تصفرّ أوراق الأشجار وتتساقط على هون.. وتعبث النسائم فتطوح بها هنا وهناك.. خاصّة عند مروق السيّارات بسرعة.. تمتزج الأفراح والأحزان.. وتمضي الأيّام ولا ينفك الانسان عن الشعور بالأمل بغدٍ أفضل رغم كل الظروف..

اقتنى عبدالأمير راديو ترانستور صغير الحجم لمتابعة ما يجري من حوادث مثيرة في الشرق.. في إيران..

ارتفعت أسعار هذا الجهاز منذ بدء غليان الثورة.. وكان راديو «مونتي كارلو» يغطي أخبار المسيرات المليونيّة في طهران والمدن الايرانيّة الكبرى.. ملايين العراقيين يتابعون «پارونا ما» مونتكارلو في كلّ ليلة..

يذكر البعض ان اسعار أجهزة الراديو في مصر تضاعفت كثيراً بعد أن وافق القارئ المصري الشهير «عبدالباسط عبدالصمد» على بث تلاوته

عبـر اذاعـة صـوت العـرب مـن القاهـرة..

واليـوم فـي العـراق ترتفـع اسـعار الراديـو لأنّ الملاييـن تتـابع الأخبارالمثيـرة.. وقـد بـدا العالـم كلّـه مشـدوداً إلى ما يجـري مـن إيـران مـن ملحمـة جماهيريّـة سـتغيّر وجـه العالـم..

وذات مسـاء خريفـي اذاع راديـو ببـبـسى هيئـة الاذاعـة البريطانيّـة نبـأ اختفـاء الإمام مـوسى الصـدر خلال رحلتـه إلى ليبيـا وكان العقيـد معمّـر القذّافـي قـد وجّـه إليـه دعـوة رسـميّة مـن خلال السـفير الليبـي فـي بـيروت للمشـاركة فـي احتفـالات ذكـرى «الفاتـح مـن سـبتمبر» ..

السـيّد محمّـد باقـر الصـدر كان قـد اتّصـل بابـن عمّـه مـوسى فـي لبنـان قبـل سـفره إلى ليبيـا بأيّـام معـدودة وطلـب منـه مسـاندة الإمام الخمينـي فـي قيـادة الشـعب الايرانـي فـي انتفاضتـه الكبـرى..

وفـي تلـك الأيّـام نشـرت صحيفـة اللوموند الفرنسـيّة مقـالاً للسـيّد مـوسى الصـدر تحـت عنـوان «انتفاضـة الشـعب الايرانـي» أشـار فيـه إلى خصائـص هـذه الانتفاضـة الشـعبيّة وعـدم - ارتباطهـا بالشـرق السـوفيتي والغـرب الرأسمالـي وأنّهـا لا شـرقيّة ولا غربيّـة.. وعنـدما تلـقى الدعـوة عبـر السـفير الليبـي ابـرق إلى السـيّد محمّـد باقـر الصـدر يستشـيره فـي السـفر إلى ليبيـا فلديـه مشـكلة مـع القذافـي حـول مسـألة توطيـن الفلسـطينيين فـي لبنـان.. «هـل أذهـب أم لا؟»

أجـاب السـيّد محمّـد باقـر ابـن عمّـه؛ بأنّـه ليسـت لديـه فكـرة حـول الموضـوع ونصحـه باستشـارة مـن يثـق بـه مثـل الرئيـس حافـظ الأسـد.. فأجـاب مـوسى: إنّ الأسـد لا رأي لـه فـي هـذه المسـألة..

فـي يـوم ٢٠ رمضـان ١٣٩٨ هـ ٢٥ آب ١٩٧٨ سـافر السـيّد مـوسى الصـدر إلى ليبيـا وبرفقتـه الشـيخ محمّـد يعقـوب عضـو المجلـس الشـيعي الأعـلى وعبّـاس

بـدر الديـن صاحـب وكالـة «أخبـار لبنـان» وكان مـن المـقرّر أن تسـتغرق السـفرة أربعـة أيّـام والعـودة قبـل عيـد الفطـر المبـارك..

اختـفى السـيّد مـوسى ورفيقـاه وانقطعـت أخبارهـم ولـم يتلـق المجلـس الشـيعي كعادتـه أيّ اتّصـال مـن رئيسـه..

اجـرى السـيّد محمّـد باقـر الصـدر اتّصـالاً بفنـدق الشـاطئ فأجـاب مديـره اللبنانـي الأصـل انّ السـيّد اسـتحم وخرج فـي جولـة مـع وزيـر الداخليّـة ولـم يرجـع إلى الفنـدق أبـداً!!

وناشـد السـيّد الصـدر العديـد مـن المسـؤولين الحكومييـن فـي لبنـان وطلـب منهـم التدخّـل للكشـف عـن مصيـر ابـن عمّـه..

كان السـيّد محمّـد باقـر الصـدر فـي قـرارة نفسـه يائسـاً وتماماً.. وقـد وصـف القذافـي بـ «المجنـون» وقال فـي وقتهـا «خلـص.. انتـهى.. ابن عمّي» شـعرت السـيّدة فاطمـة الصـدر بالقلـق الشـديد فتوجّهـت إلى بيـت السـيّد الخمينـي وحثـت صهـر أختهـا السـيّد أحمـد نجـل الإمام الخمينـي عـلى التدخّـل مـن أجـل انقـاذ شـقيقها مـوسى!

ابـرق الإمام الخمينـي إلى ياسـر عـرفات بشـأن الموضـوع كما ابـرق إلى الرئيـس حافـظ الأسـد وطلـب منـه التدخّـل للكشـف عـن مصيـر السـيّد مـوسى الصـدر.. سـافرت السـيّدة فاطمـة إلى إيـران فسـطر بعلهـا رسـالة إلى ابـن عمّـه السـيّد رضـا الصـدر فـي قـم جـاء فيهـا:

– «وأمّـا محنـة ابـن العـم المفـدّى أبـي صـدري فقـد نغّضـت علينـا البقيّـة مـن صفـو الحيـاة فـي خضـم هـذه المحـن والآلام.. ولا حـول ولا قـوّة إلّا بالـلـه».

وفـي هـذه الفتـرة العصيبـة شـدّدت سـلطات البعـث المجـرم مـن مضايقاتهـا للإمام الخمينـي وأعادت اجـراءات الحصـار عـلى نحـو أكثر قسـوة..

فـقرّر الإمام مغـادرة العـراق إلى الكويـت التـي اعتـذرت عـن اسـتقباله كما اعتـذرت لبنـان كذلـك..

وأخيـراً اسـتحصل السـيّد أحمـد تأشـيرة سـفر إلى فرنسـا.. وصرّح الإمام وقتهـا إذا لـم توافـق فرنسـا عـلى اقامتـه فسـوف ينتقـل مـن مطـار إلى مطـار ويقـود الثـورة لاسـقاط الشـاه..

سـميرة وعبدالأميـر كما هـي الملاييـن يتابعـان عـلى نحـو يومـي تطـوّرات الاحـداث فـي إيـران..

تصاعـدت وتيـرة المظاهـرات والمسـيرات المليونيّـة مـع غـرّة أيلـول.. وحكومـة الجنـرال أزهـاري ورئيـس الـوزراء العسـكري يصـدر أمـر منـع التجـوّل مـن الفجـر حـتّى الـغروب.. المسـيرات تسـتمر لتبلـغ ذروتهـا فـي محـرّم.. الحكومـة العسـكريّة تمنـع إقامـة مراسـم العـزاء الحسـيني فـي الشـوارع وفـي المسـاجد.

العالـم يتـابع باهـتمام فصـول الملحمـة التـي يسـطرها الشـعب الايرانـي.. الإمام الخمينـي يوجّـه نـداءه إلى مسـيحي العالـم يطلـب منهـم الاحتجـاج على حكوماتهـم التـي تسـاند الشـاه كان ذلـك فـي ٢٣ كانـون الأوّل ١٩٧٨ وفـي اليـوم التالـي اقدمـت حكومـة أزهـاري العسـكريّة عـلى قتـل عـدد مـن الطلبـة وتأمـر بغلـق جميـع المـدارس فـي طهـران.. وفـي ٢٥ كانـون الأوّل قامـت الجماهيـر بتحطيـم تماثيـل الشـاه وأبيـه فـي العديـد مـن المـدن الايرانيّـة وفـي يـوم ٢٦ كانـون الأوّل اغتالـت عناصـر أمـن النظـام الأسـتاذ فـي جامعـة العلـوم الفنيّـة نجـاة اللهـي..

وفـي اليـوم التالـي أعلـن الموظفـون فـي الملاحـة الجويّـة المدنيّـة عـدم الـسماح بهبـوط الطائـرات الامريكيّـة والاسـرائيليّة فـي المطـارات الايرانيّـة..

وفـي اليـوم الأوّل مـن عام ١٩٧٨ يعلـن الشـاه عزمـه عـلى مغـادرة الـبلاد

للـعلاج والاسـتجمام..

وفـي يـوم ٣ كانـون الثانـي حصلـت حكومـة بختيـار المدنيّـة عـلى ثقـة المجلـس الوطنـي..

وفـي اليـوم التالـي فـرّ الجنـرال أزهـاري والجنـرال أويسـي بحجّـة الـعلاج وفـي ١١ كانـون الثانـي صرّح بختيـار:

– شـخصياً لا أعارض آيـة الله الخمينـي.. ان الشـاه سـيغادر إيـران إلـى الولايـات المتّحـدة فـي الأسـبوع القـادم.

وفـي يـوم ١٣ كانـون الثانـي قام الإمام بتشـكيل المجلـس الثـوري الإسلامـي وفـي اليـوم التالـي صرّح بختيـار:

– ما مـن أحـد يسـتطيع أن يأمـر آيـة الله الخمينـي بالقـدوم أو عـدم القـدوم إلـى إيـران..

وفـي يـوم ١٥ كانـون الثانـي الإمام الخمينـي يعيّـن أعضـاء الحكومـة الإسلاميّـة.. الملاييـن تتدفـق إلى الشـوارع ابتهاجـاً برحيـل الشـاه وتقـوم بتحطيـم جمـيع تماثيـل الشـاه وأبيـه.

وفـي يـوم ٢٤ كانـون الثانـي عشـرات الدبابـات والمصفحـات تحاصـر مطـار مهرآبـاد الدولـي..

حكومـة بختيـار تعلـن اغلاق جمـيع المطـارات لمـدّة ثلاثـة أيّـام والتلفزيـون الإيرانـي يقـوم بنقـل حـي لتفاصيـل عـودة الإمام الخمينـي إلى أرض الوطـن.. وبختيـار يـصرّح:

– لم آمر بالنقل التلفزيوني الحي عن وصول آية الله!

آلاف بـل عشـرات الآلاف مـن العراقييـن فـوق اسـطح المنـازل ينهمكـون بتنظيـم اتجـاه «الأريـل» لمشـاهدة الإمام الخمينـي جالسـاً بـكلّ سـكينة ووقار

وطمأنينة.. بينما الطائرة تواجه خطر اسقاطها في الأجواء الايرانيّة الأبصار مشدودة إلى عودة الإمام الخميني في ظروف عصيبة!! وقد بلغت القلوب الحناجر!!

العالم يتابع مشاهدة ذلك الرجل المهيب والشيخ الوقور بعينيه النافذتين وسكينته وهالة النور التي تغمر محياه والطاقة الروحيّة التي تشع من كيانه..

جيل الشباب العراقي الذي عاصر تلك اللحظات تصوّروا ان هذا الشيخ الوقور ينتمي إلى جيل الصحابة المنتجبين والأئمّة الميامين الذين كانوا مع النبي محمّد وعلي والحسين وانّه قادم من أرض كربلاء من يوم عاشوراء!!

وفيما كانت الملايين مشدودة إلى مشاهد البث الحي لعودة الإمام الخميني أرض الوطن انقطع البث فجأة وظهرت صورة الشاه وبث السلام الملكي!..

وتحوّلت طهران إلى مسرح عظيم لعمليّات فدائيّة دامية واندفعت الجماهير إلى معسكرات الجيش وتحديداً إلى مشاجب السلاح..

وصل الإمام الخميني أرض الوطن ليجد في استقباله ثمانية ملايين من شعبه مصطفين على امتداد ٢٣ كم!

وهكذا بدأت ملحمة عشرة الفجر.. حيث اتّجه موكب الإمام إلى مقبرة «جنّة الزهراء» جنوب العاصمة طهران وهناك ألقى الإمام كلمته التاريخيّة:

– أنا الذي يعيّن الحكومات في هذا البلد!

وفي يوم الأحد ١١ شباط ١٩٧٩ أعلنت حكومة بختيار حظر التجوال

فطلب الإمام من شعبه عدم مغادرة الشوارع وفي تلك الظهيرة العظمى انطلق صوت مزلزل:

– هنا طهران! صوت الثورة الإسلاميّة في إيران!

عمّت الفرحة بيوت الطيبين وكان يوم وصول الإمام الخميني إلى أرض الوطن عيداً عظيماً.. عندما انطلق الصوت الحماسي:

– هنا طهران! صوت الثورة الإسلاميّة في إيران.

وكان بدء غليان الثورة الإسلاميّة في إيران في خريف ١٩٧٨ قد تزامن مع ظهور وانتشار القصيدة الخالدة:

– «يا حسين بضمايرنا.. صحنا بيك آمنا

لا صيحة عواطفهاي.. لا دعوى ومجرّد راي..

هذي من مبادئنا.. صحنا بيك آمنا..

وقد أصبحت تلك القصيدة الملحميّة نشيداً للملايين من شيعة أهل البيت الكرام عليهم السلام..

وجاء انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران لينعش آمال وأحلام هذه الملايين.

في نهايات ربيع ١٩٧٩ ولدت إيمان.. ثلاثة أزهار تفتحت في حقل الأفراح.. وصول الإمام الخميني إلى أرض الوطن وبعد عشرة أيّام وفي يوم الأحد ١١ شباط سقط نظام الشاه إلى الأبد وأشرقت شمس الثورة الإسلاميّة.. شمس الإيمان بالحقيقة في عالم غارق في ظلمات الماديّة في الغرب والرأسماليّة والماديّة الشيوعيّة في الشرق.. وها هي إيران الإسلام ترفع رايتها الفريدة :لا شرقيّة ولا غربيّة..

رئيس وزراء إسرائيل موشي دايان يصرّح قائلاً:

– ما حدث في إيران زلزال ستصلنا هزّاته بعد قليل.

وقال الرئيس الفرنسي ميتران:

– ما جرى في إيران رصاصة انطلقت من عمق التاريخ لتستقر في قلب القرن العشرين..

أمّا السيّد محمّد باقر الصدر فقد أعلنها مدوية:

– لقد حقّق الإمام الخميني أحلام الأنبياء!

في مدينة البصرة ارتفعت أسعار «التلفزيون» وفوق اسطح المنازل يتّجه «الأيريل» باتّجاه الشرق.. الأطفال يحفظون أناشيد باللغة الفارسيّة وخاصّة النشيد الثوري: «الله أكبر.. خميني رهبر..

– من دموع اليتامى.. من دماء الشهداء..

جاء الملائكة وفرّ الشيطان..

سميرة وعبدالأمير ينظران إلى المستقبل بأمل يحتضنان ايمان يغمرانها بالمحبّة والحنان.. ايمان الطفلة تتشرّب لبناً طاهراً مفعماً بالايمان في بيت دافئ تتردّد في جنباته آيات القرآن الحكيم ونشيد التوحيد الله تبارك وتعالى والشهادة لمحمّد بالرسالة والنبوّة واعلان الولاء لوصيّه عليّ بن أبي طالب.. ربما ستكون ايمان آخر زهرة في حقل الأفراح..

في المساء وبعد أداء صلاة العشاء تجتمع الأسرة لمشاهدة التلفزيون.. وفي غمرة الليل يصعد عبدالأمير إلى سطح الدار ويوجه «الاريل» نحو الشرق وينتظر إشارة على صفاء البث.. يتطلّعون إلى وجه الإمام الخميني.. وإلى هالة النور التي تشع من ذلك الوجه وبالرغم من عدم معرفتهم باللغة الفارسيّة الا انهم يشعرون بتيار من الطاقة الايجابيّة ينفذ

فـي أعماقهـم..

لـم يعـد أحـد يرغـب فـي مشـاهدة التلفزيـون العراقـي.. الـذي كثّـف مـن دعايتـه لـ «الحـزب والثـورة».. كما بـدأ ببـث المسـلسلات الأجنبيّـة والتـي تشـتمل عـلى مشـاهد تخـدش الـذوق الأخلاقـي..

وفـي منتصـف شـهر تمـوز بـدأ الهمـس حـول ازاحـة «أحمـد حسـن البكـر» عـن منصبـه لصالـح «السـيّد النائـب صـدام حسـين» قليلـون جـداً الذيـن انتبهـوا إلى زيـارة وكيـل وزيـر الخارجيّـة البريطانـي إلى بغـداد «مسـتر كارنتـون».. غيـر ان الذيـن يعرفـون دسـائس «ابـو ناجـي» توجسـوا خيفـة..

وفـي مسـاء يـوم ١٧ تمّـوز ١٩٧٩ وفـي غمـرة الصخـب الاعلامـي وضجـيج الأبـواب الحزبيـة.. ظهـر المـذيع «ناطـق حسـن» يسـترعي انتبـاه المواطنيـن والمشـاهدين وكانـت دار الاذاعـة لا تنفـك تبـث الأناشـيد التـي تمجـد ثـورة ١٧ تمـوز «المجيـدة» وقـراءة برقيّـات التهنئـة وهـي تحيـي القيادتيـن القوميّـة والقطريـة لحـزب البعـث العربـي الاشـتراكي!

وأخيـراً ظهـر أحمـد حسـن البكـر يقـدّم اسـتقالته بسـبب «التعب» ويسـلّم الرايـة إلى السـيّد النائـب الرفيـق صدام حسـين!!

ولـم يسـتطع الرئيـس العجـوز اخفـاء مشـاعره الحقيقيّة..فقـد كانـت نظراتـه وارتجـاف كلماتـه تعبّـر بوضـوح عـن حجـم الضغـوط التـي مورسـت ضـدّه..

ولـم تمـض سـوى بضعـة أيّـام حـتّى أعلـن «الرئيـس المناضـل صـدّام حسـين» عـن اكتشـاف مؤامـرة ضـد الحـزب والثـورة فتسـاقطت اثـر ذلـك رؤوس كبيـرة ..

وبـدأت حمامات الـدم وظهـر الوحـش المتعطـش إلى سـفك الـدماء! ويبـدأ مسلسـل المحن..

## حقل الأحزان - ١

جلست سميرة تهدهد طفلتها وتشاهد التلفزيون.. عادة ما كان زوجها عبدالأمير يصعد إلى السطح حيث يوجّه «الاريل» نحو الأرض التي اشرقت منها الشمس.. شمس الحريّة والكرامة الانسانيّة.. شمس الأمل بغدٍ أفضل..

كان التلفزيون الايراني يعرض مشاهد من كلمة الإمام الخميني في «حسينيّة جماران» شمال العاصمة طهران وظهر السيّد الوقور جالساً على كرسي وقد ساد الصمت المهيب.. كان وجهه يتلألأ نوراً.. وشعرت سميرة بفيض من الطاقة الايجابيّة.. سكينة وجلال وشعور بالطمأنينة تطوف فوق ملامح وجه تحيطه هالة من نور قادم من عمق السماوات ولهذا فان حبّه ينفذ في القلوب..

وقد حفظ الكثيرون أبياتاً من قصيدة الشاعر الجزائري مصطفى الغماري:

– ورأيت في عينيك رمزاً ثائراً

ينه من شفة الضياء ويزهرُ

يمتدّ قرآن الخلود جبينه.. وجراحه بدمى التآمر تسخر

يمتدّ في نار الحضور حضوره.. إن ضجّ كسرى أو تململ قيصر

أبداً يريد الغرب شلّ عبيره.. تحجيم ثورته التي لا تقهر

هالة تتألق فوق جبهته الشمّاء وعلى شيبته..

السلام عليك يا روح الله!

السلام عليك يابن رسول الله.

شاء الله أن تظهر في هذا الزمن المرير.. في عصر يلفّه الضباب والدخان.. في زمن الشيطان..

في زمن رسم الرعب ملامحه في المدن الخائفة.

في هذا الزمن الصعب تمخضت الأرض فأنجبت روح الله..

وجه يحمل شارات الأنبياء.. سيفاً..قرآناً..صهيلاً مخزوناً من أرض كربلاء.. من يوم عاشوراء.

السلام عليك يا روح الله!

أيها القادم إلينا من أعماق التاريخ والانسان..

أيّها المضمخ بعبير النبوّات.. يا بشارة هذا العصر!

أيّها القادم ن أرض كربلاء..

جواداً ينبعث من أعماق رمال الصحراء..

صوتاً في انغام الزبور.. تراتيل التوراة بشارة الانجيل..

وآيات القرآن العظيم..

أيّها الروح الذي حطم أصنام الطغاة!

أيّها القلب الذي أصبح نبعاً للحياة..

وطريقاً للنجاة.

مذ رأيناك.. رأينا آية الاله..

معجزات الأنبياء

في قبضتك عصا موسى

تنسف سحر الشياطين..

فأس ابراهيم

تهشم وجوه الآلة المزيّفة..

في عينيك بريق الحسين

والجراح التي هزمت سيوف القبائل..

السلام عليك يا روح الله!

٤ رجب ١٣٩٩ هـ - ٣١ مايس ١٩٧٩

في يوم الأربعاء الرابع من شهر رجب الأصب ١٣٩٩ هـ ـ ٣١ مايس ١٩٧٩ ألقى السيّد محمّد باقر الصدر محاضراته في «التفسير الموضوعي» اختتمها بالحديث عن الحب الإلهي وتصادمه مع الحب الدنيوي.. حتّى لهجته تغيرت في آخر كلماتة:

– وننصرف الآن من منطقة الفكر إلى منطقة القلب.. من منطقة العقل إلى منطقة الوجدان.. خاصّة أن هذا اليوم الأخير.. سوف أودّعكم فيه..

اريد أن نعيش معاً لحظات بقلوبنا.. لا بعقولنا فقط.. بوجداننا.. نعرض هذه القلوب على القرآن الكريم بدلاً من أن نعرض أفكارنا وعقولنا في هذه اللحظات الأخيرة.. لحظات الوداع معكم..

هـذه القلـوب التـي فـي صدورنـا لمـن ولاؤهـا.. ما هـو ذاك الحـب الـذي يسـودها ويمحورهـا ويسـتقطبها؟

إنّ الله سـبحانه وتعـالى لا يجمـع فـي قلـب واحـد ولاءيـن.. لا يجمـع حبّيـن مسـتقطبين.. إمّـا حـبّ الله وإمّـا حـبّ الدنيـا.. أمّـا حـبّ الله وحـبّ الدنيـا معـاً فلا يجتمعـان فـي قلـب واحـد..

فلنمتحن قلوبنا..

فلنرجع إلى قلوبنا لنمتحنها..

هل تعيش حبّ الله سبحانه وتعالى؟

أو تعيش حب الدنيا؟

**حوادث غامضة!**

بـث القسـم العربـي فـي اذاعـة طهـران «صـوت الثـورة الإسلاميّـة فـي إيـران» نـص البرقيّـة الـتيّ وجّههـا الإمام الخمينـي إلى السـيّد محمّدباقـر الصـدر..

– بسم الله الرحمن الرحيم

سماحـة حجّـة الإسلام والمسـلمين الحـاج السـيّد محمّـد باقـر الصـدر دامـت بركاتـه.

علمنـا أن سماحتكـم تعتزمـون مغـادرة العـراق بسـبب بعـض الحـوادث إنّنـي لا أرى مـن الصالـح مغادرتكـم مدينـة النجـف الأشـرف مركـز العلـوم الإسلاميّـة وانني قلـق مـن هـذا الأمـر آمـل إن شـاء الله إزالـة قلـق سماحتكـم والـسلام عليكـم ورحمـة الله وبركاتـه.

روح الله الموسوي الخميني[1].

كانـت سـلطات البعـث قـد قامـت باحتجـاز البرقيّـة غيـر انّ السـيّد الصـدر اسـتمع إلى نصّهـا المسـجّل مـن اذاعـة طهـران فـي نشـرة المسـاء! وقـد

---

١. السيرة والمسيرة ج٤ ص١٠٥.

استغرب السيّد الصدر كثيراً لأنّه لم تكن في نيّته أن يهاجر من العراق!!

أعاد السيّد الصدر استماعه لنص البرقيّة ثلاث مرّات[١] والتزم الصمت ثمّ - نهض من مجلسه..

كانت الأجواء مشحونة بالخطر!! وسلطات البعث تعدّ العدّة لشن هجوم شامل على ايران لاسقاط النظام الاسلامي.. ارتال الدبّابات والدروع وكتائب المدفعيّة والصواريخ تتدفق إلى الحدود الدوليّة!

وفي تلك الظهيرة وصل «جواد» الطبيب الملازم في مستشفى الرشيد العسكري إلى بيت الشيخ «عفيف النابلسي»[٢] وركن دراجته الهوائيّة عند - الباب!

لقد تعمّد الطبيب ارتداء «الدشداشة» وركوب دراجة هوائيّة..

قال الطبيب الملازم:

– حكومة البعث قرّرت شن الحرب على إيران وقد شكلت طواقم طبيّة وأعدّت مجموعة من المستشفيات الميدانيّة في البصرة وفي مناطق قريبة من الحدود الايرانيّة..

قام الشيخ النابلسي بكتابة رسالة إلى السيّد الصدر يطلعه على هذه الأخبار المقلقة وطلب من السيّد نجاح الخطيب الحسيني ايصالها إلى السيّد الصدر وكان السيّد نجاح عادة ما يصلّي خلف السيّد الصدر[٣].

الخميس ٥ رجب ١٣٩٩ هـ - ٣١ مارس ١٩٧٩

جاء صوت المذيع في القسم العربي في اذاعة طهران القسم العربي:

---

١. . المصدر نفسه ص١١٠.

٢. . امام وخطيب جامع الهادي في مدينة الحريّة في بغداد.

٣. . المصدر نفسه ص١١٥.

– هنا طهران! صوت الثورة الإسلاميّة في إيران.. والساعة الآن تشير إلى الثانية عشر والنصف.. أيّها السادة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. تلقى الإمام الخميني زعيم الثورة الإسلاميّة برقيّة جوابيّة من سماحة حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر الصدر هذا نصّها:

– بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام المجاهد السيّد روح الله الخميني ﷺ

تلقيت برقيّتكم الكريمة التي جسّدت ابوّتكم ورعايتكم الروحيّة للنجف الذي لا يزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة.. وإنّي استمدّ من توجيهكم الشريف نفحة روحيّة كما اشعر بعمق المسؤوليّة في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف الأشرف وأودّ أن أعبّر لكم بهذه المناسبة عن تحيّات الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز الذين وجدوا في نور الإسلام الذي أشرق من جديد على يدكم ضوءً هادياً للعالم كلّه وطاقة روحيّة لضرب المستعمر الكافر والاستعمار الامريكي خاصّة ولتحرير العالم من كلّ اشكاله الاجراميّة وفي مقدّمتها جريمة اغتصاب أرضنا المقدّسة فلسطين.

ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمتّعنا بدوام وجودكم الغالي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخامس من رجب ١٣٩٩ هـ النجف الأشرف / محمّد باقر الصدر

كان السيّد الصدر قد كلّف السيّد محمود الخطيب أن يرسل البرقيّة الجوابيّة من خلال دائرة البريد..

تمّ احتجاز البرقيّة.. وتلقى السيّد الصدر مكالمة من مدير أمن النجف عنّفه فيها على ارسال البرقيّة وتوجيه تحيّة الملايين من المسلمين!!

وبالرغـم مـن احتجـاز البرقيّـة إلّا أنّهـا اذيعـت مـن راديـو طهـران العربـي.. فاتّصـل مديـر أمـن النجـف بالسـيّد محمـود الخطيـب وسـأله عـن كيفيّـة وصولهـا إلى إيـران؟!

سـتبقى برقيّـة الإمام الخمينـي إلى السـيّد الصـدر والتعبيـر عـن قلقـه حيـال نيّـة السـيّد الصـدر فـي مغـادرة العـراق لغـزاً أبديّـاً!!

هنـاك مـن يتّهـم الجهـة المسـؤولة عـن البرنامـج الاذاعـي فـي راديـو طهـران العربـي «عـراق اليـوم يبحـث عـن حسـين» وتشـير اصـابع الاتّهـام إلى «منظمـة العمـل الإسلامـي» فـي التخطيـط لإقحـام مرجعيّـة السـيّد محمّـد باقـر الصـدر ودفعهـا إلى المواجهـة المباشـرة ضـد نظـام البعـث!!

وعـلى وجـه السـرعة تلقّـت خلايـا الدعـوة الإسلاميّـة فـي العديـد مـن المـدن فـي الوسـط والجنـوب اشـارات بـضرورة تنظيـم وفـود جماهيريّـة تتوجّه إلى النجـف الأشـرف مـن أجـل اعلان الـولاء لمرجعيّـة السـيّد الصـدر ومبايعتـه رمـزاً وقائـداً ومعاهدتـه عـلى التضحيـة والفـداء..

كان عبدالأميـر ضمـن وفـد مدينـة البصـرة بزعامـة السـيّد عصـام عبّـاس شـبّر..

وتـردّدت فـي الأجـواء شـعارات تعبّـر عـن مسـاندة الجماهيـر وولائهـا ووفائهـا للقائـد الكبيـر السـيّد محمّـد باقـر الصـدر وتأييـداً لنهجـه فـي مواجهة نظـام العفالقـة المجرميـن!

– يا معين العلم يا رمز الهدى!

يا سديد الرأي يابن المصطفى

أنت سيف الله في وجه العدا

ترفع الأيدي رجاءً للولاء

لك تفديها نفوساً ودماء

– يا إمام الدين يا خير العباد

يا إمام البرّ يا حسن البلاد

أنت سيف الله دحراً للفساد

نرفع الأيدي رجاءً للولاء

لك نفديها نفوساً ودماء

– سيّدي نفديك روحاً ودما

يا إمام الدين يا قائدنا

يا فقيه العصر يا سيّدنا

قد أتينا لنجدّد عهدنا

– باسم الخميني والصدر

الإسلام دوماً منتصر

– عاش! عاش! عاش الصدر!

والدين دوماً منتصر![1]

وكان السيّد الصدر يستقبل الوفود بحرارة.

١٠ رجب ١٣٩٩

في يوم العاشر من شهر رجب ١٣٩٩ وصل وفد مدينة كربلاء بزعامة السيّد محمّد نجل السيّد محمّدعلي آل خير الدين وضمّ الوفد وجهاء ورموز وأدباء المدينة المقدّسة السيّد صادق محمّد رضا آل طعمة

١. . السيّد محمود الخطيب، ذكريات وخواطر ص٩٩ - ١٠٠.

والدكتـور أنـور الحمامـي وازهـر الطيّـار وسـعد عـودة ومجيـد معيلـو.. وكانـوا يشـدّون عـلى يـد السـيّد الصـدر تعبيـراً عـن اسـتعدادهم للتضحيـة والفـداء قال السـيّد الخطيـب:

– إن أبناء كربلاء جنود أوفياء جاؤوا مبايعين لسماحتكم!

أجاب السيّد الصدر بحرارة:

– أُرحّب بكم يا أبنائي واخوتي وعشيرتي..

إنّي اشمّ فيكم رائحة تراب كربلاء.

واجهش الجميع بالبكاء.

فقال السيّد الصدر:

– اضمكـم إلـى قلبـي يـا أبنـاء مدينـة الإمام الحسـين.. مدينـة حـوت تلـك الـدماء الطاهـرة التـي أراد السـلطان أن يسـتميلها بالـمال والجاه فأبـت.. دماء مـن؟! دماء أقـدس إنسـان علـى وجـه الأرض..[1]

الخميس ١٢ رجب ١٣٩٩ هـ / ٧ حزيران ١٩٧٩

فـي يـوم الخميـس ١٢ رجـب ١٣٩٩ هــ الموافـق للسـابع مـن حزيـران ١٩٧٩ توجّـه السـيّد محمّـد باقـر الصـدر إلى مدينـة كربلاء لزيـارة سـيّد الشـهداء الحسـين عليه السلام..

كان السـيد الصـدر قـد عقـد العـزم عـلى المواجهـة فجـاء يسـتمدّ القـوّة والثبـات مـن جـدّه الحسـين لخـوض ملحمـة الصـراع ضـد يزيـد العصـر..

وفـيما كان السـيّد يلهـج بـكلمات الزيـارة والـدعاء اقتـرب منـه أحـد تلامذته ولثـم أنامـل كفّـه اليمـنى وهنـا بـارك الأسـتاذ لتلميـذه الشـيخ حسـين الراضـي

---

١. . المصدر نفسه ص١٠١.

علی تعلیقته علی کتاب المراجعات وقال انّها لاتقل أهمیّة وجهداً عن أصل الکتاب فقال التلمیذ: «ان الفضل کلّه یرجع إلی سماحتکم فقد کنتم السبب فیه»[1] وبعد عودته إلی بیته وکان یتناول غداءه مع ضیفه وتلمیذه - الهندي ذي شان حیدر جوادي سأل تلمیذه عن موقفه من مطالبة الوفود له بالثورة ضد نظام البعث کما ثار السیّد الخمیني في إیران؟!

فقال السیّد الصدر:

– إن هؤلاء الشباب عندهم حماسة وثقافة وتدیّن إلّا انّهم لا یستوعبون الأوضاع والأجواء ولا یعرفون الفوارق بین الثورة في إیران والثورة في العراق.. لو قمنا بالثورة فأوّل شيء یتمسّك به النظام هو اثارة الطائفیّة في الدول المجاورة ومعنی ذلك أن نتحدّی کلّ الدول المجاورة وهذا ما لا نقوی علیه فعلاً.. ولعلّ الله یحدث بعد ذلك أمراً[2].

١٣ رجب ١٣٩٩ / ٩ حزیران ١٩٧٩

في الثالث عشر من رجب ١٣٩٩ الموافق للتاسع من حزیران ١٩٧٩ وصل وفد من مدینة النعمانیّة في محافظة واسط وکان بزعامة السیّد قاسم شبّر.. وکان وجهاء الوفد وشبابه یهتفون:

– سیّدي هذي حشود المؤمنین

– سیّدي جئناك زحفاً حامدین صابرین

أنت نبراس الوجود في الحیاة.. وسنبقی مخلصین

---

١. . السیرة والمسیرة ج٤ ص١٤١.

٢. . المصدر نفسه.

كان عبدالأميـر ضمـن وفـد مدينـة البصـرة بزعامـة السـيّد عصـام شـبّر الـذي تـخرج مـن كليّـة الفقـه بامتيـاز سـنة ١٩٧٤م وهـو مـن مواليـد مدينـة البصـرة عام ١٩٤٧، وكان معظـم أعضـاء الوفـد مـن الشـباب البصـري المثقّـف خريجـي الجامعـة والأطبّـاء.. وكانـت الشـعارات تعبّـر عـن تلاحـم جماهيـري ومسـاندة للسـيّد محمّـد باقـر الصـدر الـذي نهـض لمواجهـة طغـاة حـزب البعـث الماسـوني.. وظهـر الطاغيـة صـدّام فـي صـورة أُمويّـة دمويّـة ليكـون يزيـد العصـر.. وهـذه مـن سـنن التـاريخ.. تـاريخ الرسـالات الالهيّـة «وكذلـك جعلنـا لـكلّ نبـيّ عـدوّاً مـن المجرميـن»..

وبقيت كلمات السيّد محمّد باقر الصدر وهو يخاطب الوفد البصري:

«يا أهل البصرة لقد غسلتم عار الجمل»[1] تدوي في أعماقه!

الثلاثاء ١٧ رجب ١٣٩٩ / ١٢ حزيران ١٩٧٩

فـي يـوم الاثنيـن أدّى عبدالأميـر صلاة الظهـر فـي ظلال قبّـة أميرالمؤمنيـن عليه السلام وغادر مدينـة النجـف الأشـرف إلى الديوانيّـة ليسـتقل قطـار بغـداد البصـرة حيـث محطتّـه الأخيـرة فـي «المعقـل»...

القطـار يدفـدف فـي طريقـه إلى الجنـوب كأفـعى تتلـوى.. تداعـت فـي وجدانـه مقولـة تسرّبـت مـن أحـد الاجـتماعات التآمريّـة للبعثييـن للقضـاء عـلى حـزب الدعـوة.

– الدعوة حيّة راسها بالنجف وذيلها بالبصرة!!

توقـف القطـار فـي محطّـة «البطحـاء» وتوفـرت فرصـة لـه لأداء صلاة الفجـر..

السـكينة والـجلال تغمـران الـمكان ومـع ذلـك فقـد كان قلـب عبدالأميـر

---

١. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٣٦.

فارغاً كما لـو أنّـه يشـعر بما يجـري مـن ملحمـة كبـرى فـي مدينـة النجـف الأشـرف.. وتحديـداً فـي بيـت السـيّد محمّـد باقـر الواقـع بيـن شـارع الإمام زيـن العابديـن وسـوق الـعمارة والـذي بـدا فـي فجـر الثلاثـاء قلعـة تقـاوم الطغـاة.. طغـاة حـزب البعـث الماسـوني المنحـط!

**الحسين يولد من جديد**

نفـذ البعثيّـون سلسـلة اعتـداءات عـلى مناطـق ايرانيّـة فـي الحـدود الدوليّـة المتاخمـة لخانقيـن وكانـت الأسـلحة الخفيفـة والمتوسـطة تتدفـق نحـو المسـطحات المائيّـة لتوضـع عـلى حـافات هـور الحويـزة... والاعلام البعثـي يتحـدّث عـن «جبهـة تحريـر عربسـتان»..

وصـدرت خرائـط ملوّنهتشـير إلى جمهوريـة عربسـتان وعاصمتهـا «الاحـواز» وإلى «دولـة الامارات العربيّـة للسـاحل الشـرقي» وعاصمتهـا «بوشـهر» وفـي وحـدات الـدفاع الجويـي انزلـت «لوحـة تمييـز الطائـرات الحربيّـة الاسـرائيليّة» لترفـع مكانهـا «لوحـة تمييـز الطائـرات الايرانيّـة» وقـد بـدا واضحـاً ان البعثييـن يحـضّرون ويسـتعدون لعـدوان كبيـر!!

وانتشـرت أخبـار حـول تشـكيل دولـة مسـتقلّة عـلى أرض اقليـم «خوزسـتان» وارتفعـت حـمّى النعـرات الطائفيّـة والعنصريّـة واثـارة فتـن «عربيّـة - عجميّـة» وأخـرى «سـنّيّة - شـيعيّة»...

وفـي طهـران خرجـت تظاهـرات شـعبيّة تنـدد بالاعتـداء عـلى المناطـق الحدوديّـة واحـرق المتظـاهرون صـور «البكـر» ونائبـه «صـدام»!!

كان السيّد محمّـد باقـر الصـدر يراقـب عـن كثـب ما يقـوم بـه طغـاة البعث

لذلك وجّه رسالته إلى الشعب العربي المسلم في إيران جاء فيها: «.. فانّي أخاطبكم باسم الإسلام وأدعوكم لتجسيد روح الأخوّة الإسلاميّة التي ضربت في التاريخ مثلاً أعلى في التعاضد والتلاحم في مجتمع المتقين الذي لا فضل فيه لمسلم على مسلم إلّا بالتقوى.. مجتمع عمّار بن ياسر وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي.. فلتتوحد القلوب ولتنصهر كلّ الطاقات في اطار القيادة الحكيمة للإمام الخميني في طريق بناء المجتمع الإسلامي العظيم الذي يحمل مشعل القرآن الكريم إلى العالم كلّه..

والسلام عليكم ورحمة الله محمّد باقر الصدر النجف الأشرف ١٦ رجب[١].

وفي بغداد اجتمع قادة البعث وتقرّر اتّخاذ حالة التأهب القصوى سياسيّاً وعسكريّاً وأمنيّاً والتعامل مع محمّد باقر الصدر على انّه يقود ثورة ضد نظام البعث..

ولهذا قامت السلطات باستدعاء معظم كوادرها الأمنيّة والحزبيّة من مختلف المدن إلى مدينة النجف الأشرف لمراقبة الأوضاع واحتوائها إذا ما تطورت إلى المواجهة المسلّحة[٢].

وفي تلك الساعات اكتظت النجف بحشود آلاف المبايعين في وفود كبيرة وكان الهتاف الخالد يدويّ في محلّة «العمارة» وشارع «الإمام زين العابدين» وسيبقى يدوّي في وجدان الأجيال وسماء التاريخ:

— عاش! عاش! عاش الصدر.. والدين دوماً منتصر!

— بالروح بالدم نفديك يا إمام!

---

١. . أحمد أبو زيد، السيرة والمسيرة ج٤ ص١٤٦.

٢. . المصدر السابق ص١٤٧.

– باسم الخميني والصدر الإسلام دوماً منتصر[١].

كان زخم الوفود يتضاعف في يومي الخميس والجمعة واللقاءات تبدأ من الساعة الثامنة صباحاً وحتّى الساعة العاشرة مساءً[٢].

بعد منتصف ليل الاثنين ١٦ رجب ١٣٩٩ / ١١ حزيران ١٩٧٩ تجمّعت في الأجواء النذر، فقد كثفت قوّات الأمن من دورياتها المسلّحة وشدّدت اجراءات المراقبة وفرض طوق من الحصار على بيت السيّد الصدر الذي بدا خيمة تعصف بها رياح الزمهرير!

قطعان الذئاب تنتشر على طول الزقاق حيث ينهض بيت السيّد الصدر..

كان السيّد قد طلب من تلميذه الباسل «الشيخ طالب السنجري» أن يسافر إلى كربلاء في فجر الاثنين ليلتقي (س) وكان حركياً..

عاد السنجري إلى النجف في حدود الساعة السابعة مساءً وقصد بيت الأستاذ لينقل له نتائج رحلته.. كانت الأجواء مشحونة بالخطر..

وفي حدود الساعة الثامنة طرق الباب ليدخل عشرون شاباً اخبروا السيّد الصدر باعتقال السيّد جبّار الموسوي إمام مسجد «كميل» في مدينة النجف الأشرف.. طلب السنجري منهم الرحيل ولم يتمكّن من تهريب سوى خمسة منهم وبات الباقون في سرداب الدار.

ذئاب الليل تحكم الطوق على البيت المحاصر؛

الساعة ١١ ليلاً

كان الشاب محمّد رضا النعماني الذي يعيش في بيت السيّد الصدر

---

١. . أمل البقشي، وجع الصدر، ص٢٦٩.

٢. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٢٥.

ينظـر إلى الـزقاق مـن خلال فتحـة صغيـرة مـن النافـذة الزجاجيّـة المكسـورة فـرأى عناصـر أمـن النظـام تفـرض سـيطرتها عـلى الـزقاق، فأدرك بـأنّ السـلطات تنـوي اعتقـال السـيّد الصـدر فبـادر إلى اخبـاره، قال لـه السـيّد وهـو يطمئنـه:

– لا بأس!

وقال له انّه سيذهب للنوم بسبب التعب الشديد والشعور بالارهاق!

وفـي تلـك السـاعات مـن الليـل وصـل ضبـاط كبـار قادميـن مـن بغـداد وكانـت مهمتهـم اعتقـال السـيّد الصـدر حيـث تـمّ تطويـق بيتـه مـن جميـع الجهـات..

كان السـيّد محمـود الخطيـب قـد غادر بيـت السـيّد الصـدر وعاد إلى بيته في منتصـف الليـل ولـم ينتبـه إلى وجـود سـيّارة تابعـة لمديريّـة الكهربـاء تحمـل سـلّماً كبيـراً! كانـت السـيّارة تحـت تصـرّف قـوّات أمنيّـة فـي حـال اضطـرّت إلى تنفيـذ عمليّـة اقتحـام مـن فـوق سـطح الـدار أو مـن نوافـذ الطابـق العلـوي[١].

ارتفع أذان الفجر يهتف بنداء التوحيد الخالد:

– الله أكبر! الله أكبر!

كانـت عقـارب السـاعة تشـير إلى الرابعـة والنصـف وما يـزال الـظلام يغمـر الأزقـة الضيقـة الملتويـة.

تعالـت طـرقات عـلى البـاب اشـار سـيّد محمـود إلى زوجتـه ألا تفتـح الباب.. اشـتدّت الطرقات..

– أجابت أم محمّد تسأل من الطارق؟

– خلّي سيّد محمود يطلع!

١. . ذكريات وخواطر، ص١١٣.

– لسيّد ما موجود.

– ـ نعرف انّه موجود.. البارحة دخل الساعة ١٢ وما طلع!

اضطرّ سيّد محمود للنزول من السطح.. وفي الأثناء رنّ التلفون وكان على الخط مدير أمن النجف «أبو سعد» الذي قال:

– المسألة عاديّة جدّاً.. السيّد المدير العام طلب حضور السيّد الصدر وحضورك إلى بغداد.

– الاستدعاء لا يكون في هكذا وقت مبكر ولا يكون بواسطة هذا العدد الضخم من السيّارات ورجال الأمن!

بادر سيّد محمود للاتّصال بالسيّد الصدر واخبره فقال له مطمئناً:

– أنا توقعت هذا منذ آخر الليل.. البيت مطوّق بمجاميع كبيرة من أفراد الأمن والحزب والجيش الشعبي!

ارتدى سيّد محمود ملابسه وخرج ليفاجأ بأعداد كبيرة من عناصر أمن النظام اتّجهت به السيّارة إلى مبنى مديريّة أمن النجف وعندما وصل وجد الاجواء مشحونة بالخطر ..كانت المديريّة في حالة استنفار قصوى..

قال مدير الأمن:

– المسألة بسيطة.. المدير العام طلب حضور السيّد الصدر إلى بغداد وحضورك للاستفسار حول بعض الأمور..

طلب المدير العام (أبو سعد) من سيّد محمود أن يتحدّث إلى السيّد لصدر بهذا الشأن..

تحرّك رتل السيّارات الأمنيّة صوب بيت السيّد الصدر.. وعندما وصلت السيّارة إلى شارع الإمام زين العابدين وجد سيّد محمود المنطقة اشبه

بالثكنة العسكريّة فقد انتشرت قوّات أمنيّة وقوّات من الجيش الشعبي وكانت المنطقة مطوّقة تماماً.

وفي بيت السيّد الصدر قبل ساعات من طلوع فجر الثلاثاء؛ كانت بنت الهدى تراقب بقلق ما يجري في الزقاق؛ وتوقّعت أن تقوم السلطات باعتقال شقيقها فجراً.. جمعت العديد من الصور والرسائل ومذكراتها المخطوطة ووضعتها في صفيحة وأخذتها إلى سطح الدار وقامت باشعال النار فيها.. كانت تتوقّع أن يقوم رجال الأمن باقتحام الدار واعتقال الجميع خاصّة وقد لاحظت في تصرّفات شقيقها الوحيد عزماً على المواجهة..

وبعد طلوع الفجر تعالت طرقات على الباب.. فتح الشيخ طالب السنجري الباب وانتقد سيّد محمود الذي نحاه قائلاً:

– شيخنا اسكت.. بعدين اخبرك!

اغلق سيّد محمود الباب وراءه وأشار إلى الشباب من جماعة سيّد جبّار الموسوي إلى دخول السرداب واستأذن في الدخول على السيّد الصدر وكان مستغرقاً في الدعاء بعد صلاة الصبح.. قال له:

– الجماعة يريدون ابلاغك رسالة!

أجاب السيّد وبريق الشهادة يتألّق في عينيه:

– أنا على علم بما يحيكونه.. ليس عندهم رسالة غير الاعتقال.. ليدخلوا!

قام سيّد محمود بادخال «أبو سعد» مدير أمن النجف وهو برتبة رائد واسمه «اكرم سعيد حسن» ومعه مدير أمن الكوفة ويدعى «حاكم خلف عزيز» واجتمعوا بالسيّد الصدر في الطابق العلوي وكان الشاب

محمّـد رضـا النعمانـي يصغـي إليهـم مـن غرفـة مجـاورة..

وبعد أن استقرّ بهما المجلس بادر السيّد الصدر بالسؤال مستنكراً:

– ماذا تريدون؟! وما الذي جاء بك في هذا الوقت يا أبو سعد؟!

قال أبو سعد بصوت مرتعش:

– سيّدنا! القيادة ترغب بالاجتماع معكم!

– أنا لا أرغب بالاجتماع بهم.

قال أبو سعد:

– لابدّ من ذلك!

– أنا لا أذهب معك إلّا إذا كنت تحمل أمراً باعتقالي.

قال أبو سعد:

– ـ نعم عندي أمر باعتقالك.

هنالك احتدّ السيّد الصدر في كلامه قائلاً بغضب:

– أي سـلطة وأيّ نظـام هـذا؟! كممتـم الأفـواه وصادرتـم الحريّـات وخنقتـم الشـعب بقـوّة الحديـد والنـار.. تريـدون شـعباً ميتـاً يعيـش بـلا ارادة.. تريـدون شـعباً بـلا كرامـة!

فـوجىء أبـو سـعد بثـورة السـيّد الصـدر وسـيطر عليـه الاضطـراب واعتصـم بالصمـت وقـد اسـتولى عليـه الخـوف!!

وهنـا نهـض السـيّد الصـدر وفـي أعماقـه اصـرار عـلى الاستشـهاد.. يريـد لدمائـه أن تكسـر طـوق الخـوف عـن شـعب مضطهـد مقهـور.. كان يتمتـم بـكلمات التسـبيح والحمـد «سـبحان الله والحمـد لله ولا إلـه إلّا الله والله أكبـر».

اعترض الشيخ السنجري طريقه وطلب منه عدم مرافقتهم فانتهره أبو سعد فردّ عليه السنجري بقوّة تدخل السيّد الصدر وخاطب تلميذه الباسل قائلاً:

– شيخنا تفضّل!

شجرة السدر تنشر أغصانها فوق س احة الدار.. خرجت السيّدة بنت الهدى تريد مرافقة شقيقها المقهور!

قال أبو سعد:

– ارجعي نريد أبو جعفر!

قال السيّد لأخته:

– ارجعي يا أختي.

قالت زينب العصر:

– أريد مرافقتك كما رافقت زينب أخاها الحسين..

خرج السيّد الصدر ومعه محمّد رضا النعماني وطالب السنجري وسيّد محمود الخطيب والحاج عبّاس الأفغاني وخرجت خلفهم السيّدة أم جعفر والسيّدة بنت الهدى التي سبقتهم إلى السيّارة..

أشار السيّد إلى شقيقته بالعودة فقالت:

– لابدّ من شخص يصحب السيّد!

وفي هذه اللحظات ظهرت والدة السيّد الصدر وقد احنت ظهرها الأيّام.. كانت تتنفس بصعوبة وهي تخاطب رجال الأمن:

– خذوني مع ولدي!

كانت أعداد الذئاب البشريّة تناهز الثلاثمئة اتّجه السيّد الصدر إلى

السيّارة ليجلس في المقعد الخلفي وكان حاكم خلف مدير أمن الكوفة قد جلس في المقعد الأمامي وهنا حدث أمر لم يكن في الحسبان وبقيت السيّارة جاثمة نتيجة عطل فنّي!! وأثناء الانشغال بنقل السيّد الصدر إلى سيّارة أخرى واصرار طالب السنجري على مرافقة استاذه ألقت السيّدة بنت الهدى كلمتها الخالدة تخاطب الأوغاد:

– يا جبناء! لماذا تأتون في هذا الوقت المبكّر؟!

أخي وحده بلا سلاح.. بلا مدافع بلا رشاشات.. أمّا أنتم فبالمئات مع كلّ هذا السلاح!

هل سألتم أنفسكم لماذا هذا العدد الكبير ولماذا كل هذا السلاح؟ أنا أجيب.. والله لأنّكم تخافون.. لأنّكم تعلمون أنّ أخي ليس وحده.. كلّ العراقيين معه..

وهنا خاطبت السيّدة شقيقها:

– لك الله يا أخي!

كان الله معك يا أخي!

بعين الله يا أخي وسيّدي!

والتفتت إلى حشودهم المدججة بالسلاح:

– والله لا نخاف من شيء.. منكم ولا من غيركم.. لا نخاف من سجونكم ومعتقلاتكم.. ومرحباً بالموت إذا كان في سبيل الله.

ثمّ وجّهت خطابها إلى «أبو سعد» مدير أمن النجف:

– اعلم يا أبو سعد.. الناس لابدّ أن يستيقظوا.. انّهم لن يبقوا نياماً.. واذا اعتقلتم أخي في هذا الوقت فانّ الناس سوف يعلمون.. الناس

سوف يستيقظون من نومهم ويهبّون من سباتهم.. والتفتت تودّع أخاها الأسير المقهور:

– اذهب يا أخي.. فالله حافظك وناصرك.. وهذا طريق أجدادك الطاهرين!

أمر عجيب كانت حشودهم المسلّحة تفرّ من نظراتها ومن كلماتها وأراد أحد ضباطهم ويدعى «عارف جلوي» ارهابها فشهر مسدسه في وجهها ولكنّها استمرّت في كلمتها..

وعندما أراد ذلك الوغد اطلاق النار عليها نهره أحدهم وانتقد تصرّفه[1].

الحسين يولد من جديد.. هاهو ينهض وحيداً ليواجه اعتى نظام دكتاتوري في العالم على الاطلاق..

لقد بدأت ملحمة المواجهة الدامية.. وقد نهض السيّد محمّد باقر الصدر وحيداً ليرفع راية الحسين.. تسانده شقيقته بنت الهدى لتكون زينب هذا العصر المثقل بالآثام..

تحرّك رتل السيّارات الأمنيّة المؤلف من ثمان سيّارات فيما تفرق رجال الأمن في الأزقة القريبة ولم يبق منهم إلّا ما هو بعدد الأصابع..

وكان «أبو سعد» قد طلب من الشيخ طالب السنجري الترجّل من السيّارة فرفض بشدّة فشتمه مدير أمن النجف بألفاظ بذيئة فما كان من تلميذ الصدر الباسل إلّا ان يبصق في وجهه.. ابتسم السيّد الصدر ممجداً بسالته:

– بارك الله فيك!

رتل السيّارات يغادر مدينة النجف الأشرف، وكان السيّد الصدر ما انفك

---

١. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٥٢.

يتمتم بالحمد والثناء ويسبّح الله ويحمده:

– سبحان الله والحمد الله ولا إله إلّا الله والله أكبر!

وقفت «بنت الهدى» تترقب شروق الشمس وكانت عقارب الساعة تقترب من السادسة..

كانت زينب العصر قد قرّرت أمراً!! بادرت إلى حرم جدّها أميرالمؤمنين.. وعندما دخلت الصحن الحيدري هتفت لتعلن إلى العالم نبأ اعتقال شقيقها المرجع الديني وأمل الملايين من أبناء العراق المقهور:

– الظليمة الظليمة!

يا جدّاه إني أشكو إلى الله وإليك!

اعتقلوا ولدك الصدر!

يا جدّاه!

إنّي أشكو إلى الله وإليك ما يجري علينا من ظلم واضطهاد!

وكانت السيّدة بنت الهدى عندما عزمت على اعلان صرختها في حرم جدّها قال لها محمّد رضا النعماني:

– تريثي قليلاً حتّى يتبيّن الموقف.

أجابت السيّدة بنت الهدى:

– إن زمن السكوت قد ولّى!

لابدّ من فتح صفحة جديدة من الجهاد..

لقد سكتنا طويلاً.. وكلّما طال زمن السكوت كبرت محنتنا!

لماذا اسكت وأنا أرى مرجعاً مظلوماً في قبضة هؤلاء المجرمين؟!

ألم ترهم وقد تجمّعوا عليه كالحيوانات المفترسة.. قال النعماني:

– ولكـن هـؤلاء المجرميـن لا يتورّعـون مـن أن تمتـد أيديهـم القـذرة إليـك.. ويكـون مصيـرك الاعـدام!

– الله يشـهد أنـي أتمنّـى الشـهادة فـي سـبيله.. لقـد قـرّرت أن استشـهد منـذ اليـوم الأوّل الـذي جـاءت فيـه الوفـود..

أنـا أعـرف هـذه السـلطة.. إنهـا متوحشـة قاسـية مجرمـة.. لا فـرق فـي مقاييسـها بيـن الرجـل والمـرأة وبيـن الصغيـر والكبيـر!

أما أنـا فسـواء عنـدي أن أعيـش أو اقتـل مادمـت واثقـة أن موقفـي كان طلبـاً لمرضـاة الله ومـن أجلـه..

كان صوتهـا يجلجـل بيـن جنبـات الحـرم وقـد اشـرقت شـمس الثلاثـاء.. تخاطـب ضميرالعراقييـن فـي كلّ مكان ولسـوف تبـقى كلماتهـا تخاطـب قوافـل الأجيـال:

– أيّها الشرفاء المؤمنون!

هل تستكون وقد اعتقل مرجعكم؟!

هل تستكون وإمامكم يسجن ويعذب؟!

ماذا سـتقولون لجـدّي أميرالمؤمنيـن إن سـألكم عـن سـكوتكم وتخاذلكـم؟

أخرجوا وتظاهروا واحتجوا!

وهنا بادر أحد الخدم من عملاء السلطة وحاول منعها:

– اسكتي لا تثيري الضجة!

فما كان منها الا تنهره:

– أنت خادم الحرم ومحسوب على الامام!

ماذا قلت حتّى تحاول منعي عن الكلام؟!

أنا جئت اشكو ظلامتي إلى جدّي.

يا أعوان الظلمة!

أنا أقف أمام ضريح جدّي أميرالمؤمنين!

أرجو الله أن يأتي اليوم الذي تنال فيه جزاءك العادل وأرى رأسك هذا يداس بالاقدام.

وهنا انهال عليه الشرفاء بالضرب فولّى هارباً[١].

غادرت زينب العصر حرم جدّها وقصدت دار سيّد محمود الهاشمي الذي تمكن من مغادرة العراق قبل القبض عليه وفي الدار الشيخ محيي الدين المازندراني فأخبرته بأن «أبو سعد» مدير أمن النجف أخذ السيّد الصدر إلى بغداد فنفذ ما أوصاك به..

بادر الشيخ محيي الدين إلى اجراء اتّصالات مع السيّد صادق الطباطبائي ابن أخت أم جعفر الصدر، كما اتّصل بالشيخ محمّد مهدي الآصفي في الكويت واتّصل ببعض الأشخاص في الامارات وبغداد وبالسيّد حسين الصدر في الكاظميّة والشيخ حسن فرج الله في مدينة البصرة.

مسجد الكوفة الثلاثاء الساعة السابعة صباحاً

فوجىء المعتكفون والزوار في مسجد الكوفة بطالب شاب اسمه ستار يدخل المسجد مهرولاً وينادي مرعوباً:

– اعتقلوا السيّد الصدر.

---

١. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٤٩.

فسأله أحدهم عمّا جرى فقال:

– كنا صباحاً نصلّي في الحضرة (حرم الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام) وجاءت بنت الهدى وقالت: أيّها الشرفاء المؤمنون! اعتقلوا إماكم! فقالو له:

– ليس معقولاً أن تفعل بنت الهدى ذلك!!

فقال الشاب:

– أنا سمعتها بأذني!

قالوا:

– وما أدراك انها بنت الهدى؟

قال:

– قالت انها أخته وكانت تنادي الظليمة الظليمة يا جدّاه إنّي اشكو إلى الله وإليك.. اعتقلوا ولدك الصدر![1]

الثلاثاء ١٧ رجب ١٣٩٩ بيت السيّد الصدر الساعة السابعة صباحاً

عادت السيّدة بنت الهدى إلى بيتها في حدود الساعة السادسة والنصف واتّجهت إلى السرداب حيث بات فيه زهاء خمسة عشر شاباً اضطرتهم المطاردة إلى الاختباء في هذا البيت الكريم..

قالت تخاطبهم بصوت متهدج:

– يا اخواني! يا أبنائي.. أيّها المؤمنون!

استيقظوا من نومكم..

---

١. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٥٥.

اعتقل مرجعكم.

فهبّ الشباب وكانوا مستعدين للمواجهة وفي حدود الساعة السابعة طرقت الباب إحدى تلميذاتها وتدعى «أم فرقان» قالت لها وهي تحاورها:

– ـ سيّدتي! ماذا علينا أن نعمل؟ وهل أوصى السيّد بشيء؟

أجابت بنت الهدى:

– اعملوا ما بوسعكم! السيّد لم يكلفكم بشيء.

ولكن عليكم بالعمل.

العمل ترجمان الايمان.

والايمان هو يحدّد العمل!

– إذ كنتم تستطيعون الخروج بمظاهرات فاخرجوا.. أنا خرجت مبكرة وأعلنت للزوّار في حرم الإمام ان السيّد اعتقل فجر اليوم.. ليس في ذلك عار ولا عيب.. العيب والعار في السكوت والخضوع والشرف في التضحية والجهاد ورفض الظلم!

عيب على الانسان أن يساعد على ظلم نفسه.. عيب عليه أن يبقى مظلوماً ولا يثور بوجه الظالمين[١].

البصرة - المعقل، الثلاثاء ١٧ رجب ١٣٩٩/ ٢ حزيران ١٩٧٩

القطار القادم من بغداد يصل مشارف مدينة البصرة ويتّجه نحو محطّته الأخيرة في المعقل، حيث ينهض حيّ السكك أحد أقدم أحياء المدينة..

سميرة تنوء بحملها في ذلك الصباح تترقب ساعة المخاض.. كانت

١. . بطلة النجف، ص٦٠.

تصغي كعادتها إلى «صوت الثورة الإسلاميّة في إيران»..

الساعة تشير إلى الثامنة.. وهزّها النبأ العظيم! الذي يفيد باعتقال السيّد محمّد باقر الصدر واقتياده إلى بغداد..

القطار يسير على مهل وقد خفف من سرعته وهو يقترب من محطته الأخيرة..

ينطلق صوت القطار الحزين.. قبل أن يتوقّف في محطّة المعقل.. كانت الساعة تشير إلى التاسعة والنصف..

يترجّل المسافرون.. عبدالأمير يضع قدميه على الرصيف..ويغادر المحطّة متّجهاً إلى بيته في حيّ الشهداء.. لا يعرف سر شعور بالحزن في قلبه!! واحتدام الهواجس والأفكار في أعماق نفسه!!

بغداد ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ / ١٢ حزيران ١٩٧٩م

موكب السيّارات الأمنيّة يخترق شارع النضال ويدخل ساحة مبنى مديريّة الأمن العامة الجاثم في شرقي الشارع..

اقتيد السيّد الصدر ورفيقاه إلى غرفة السكرتير ويدعى النقيب خالد.. وفي الغرفة كرسي واحد جلس عليه السيّد الصدر..

بعد ربع ساعة دخل مدير أمن النجف «أبو سعد» وطلب من الشيخ طالب السنجري الانتقال إلى غرفة أخرى فرفض.. أخبروا مدير الشعبة الخامسة الخاصّة بمكافحة النشاط الديني المعروف بـ «زهير أبو أسماء» واسمه الحقيقي «سعدون صبري القيسي».

خاطب «زهير» الشيخ طالب بلهجة آمرة:

– عندنا شغل معك!

رفض السنجري مغادرة الغرفة.. ورأى السيّد الصدر ألا جدوى من ذلك فطلب من تلميذه الباسل أن يذهب قائلاً:

– استودعك الله.. الله معك.. الله معك.. الله معك!

اقتيد الشيخ طالب إلى غرفة التعذيب.. حيث انهالت عليه وحوش البعث بالسياط والصعقات الكهربائيّة إلى أن فقد الوعي كان السيّدالصدر مستغرقاً في تسبيح الله:

– سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر!

عاد أبو أسماء «سعدون صبري» وخاطب السيّد الصدر بلهجة قاسية:

– جنابك تحرّم الانتماء إلى حزب البعث؟!

أجاب السيّد وقد قرّر الاستشهاد:

– نعم!

– جنابك تحرّم العمل في حقول تربية الخنازير؟!

– نعم!

– جنابك تحرّم دخول الطالبات بدون حجاب؟!

– نعم!

– جنابك ترسل رسالة إلى الشعب العربي في المحمّرة تقول لهم: ادعموا دولة الخميني؟!

– نعم! وهذه الأمور من ضمن تكليفنا الشرعي!

التفت المجرم إلى السيّد الخطيب قائلاً:

– صاحبك مريض؟!

اعتصم السيّد الخطيب بالصمت وقد أوجس خيفة؛ فكرر الوغد سؤاله:

– جاوب! أقول لك صاحبك مريض؟!

وهنا انتفض الصدر بوجه الذئب البعثي قائلاً:

– اتركه! وجه خطابك لي.. تكلّم معي! تأدّب واحترم نفسك!

قال الوغد متوعّداً وهو يغادر الغرفة:

– تصرخ بوجهي؟! تقول لي: تأدّب؟! أقطع لسانك ولسان أختك.. راح اعلّمها من هم الجبناء!!

وهنا قال سيّد محمود لاستاذه بعد مغادرة الوغد:

– سيّدنا الوضع غير واضح لحدّ الآن وما ندري شيريدون.. بالراحة!!

قال السيّد الصدر لصاحبه مطمئنّاً:

– ابني! الموت مرّة أو مرّتين؟

– مرّة!

– خلص.. مرّة.. أنت فقط اصبر! لا تخف! الموت بكرامة أفضل من الموت بذلّة.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

اطمئن.. هذه بيعة مع الله وتجارة.. وما أعظمهما من تجارة.. المشتري هو الله سبحانه وتعالى والثمن هو الجنّة.

عاد زهير أبو أسماء مرّة أخرى وأمر جلاوزته بنقل السيّد محمود الخطيب إلى غرفة التحقيق في الطابق الثالث؛ أمّا السيّد الصدر فقد أخذوه إلى غرفة مدير الأمن العام «فاضل البرّاك» للتحقيق معه! وما إن استقرّ بالسيّد الجلوس حتّى بادره البراك بالسؤال:

– ما هي علاقتك بالخميني؟

قال السيّد الصدر ونفسه مطمئنّة:

– علاقة العالم بالعالم.

– الخميني سياسي مو عالم!

– أنا لازلت اعتقد انّه عالم دين ومرجع من مراجع المسلمين.

قال البرّاك وقد ازداد حنقاً:

– الخميني زعيم دولة!

– نعم الخميني زعيم دولة ونحن نعتبر أي علاقة به خارج القنوات الدبلوماسيّة للدولة العراقيّة نوعاً من العمالة!

قال السيّد باصرار:

– فسّروا ذلك بما شئتم أما أنا فسيبقى السيّد الخميني في نظري مرجعاً من مراجع المسلمين!

سكت البراك لحظات ثمّ قال:

– لماذا اصدرت بيانات تؤيّد الثورة الإيرانيّة؟!

قال السيّد بلهجة مفعمة بالتحدّي:

– هذا واجبي الشرعي وليس فيه ما يضرّكم وما صدر منّي لا يخالف سياسة الدولة.. أنتم تقولون: نحن نؤيّدالثورة الإسلاميّة وهذا الموقف ينسجم مع موقفكم.

قال البرّاك:

– نحن نعتبر ذلك تجاوزاً للسلطة والقانون إلّا إذا تمّ باشرافنا ومن

خـلال القنـوات الدبلوماسـيّة.

– أنـا عملـت بتكليفـي الشـرعي والأخلاقـي وليـس وراء ذلـك أهـداف أو اغـراض سياسـيّة!

– القيـادة تؤيّـد الثـورة الإسـلاميّة وتقـف منهـا موقـف المسـاند.. السـيّد الرئيـس أرسـل برقيّـة تأييـد إلـى السـيّد الخمينـي!

وهنا ردّ السيّد الصدر قائلاً:

– إذا كان موقفكـم مـن الثـورة الإسـلاميّة فـي إيـران بهـذا المسـتوى فلـماذا منعتـم العراقييـن عـن تأييدهـا مـن خـلال التظاهـرات؟!

– المواقـف السياسـيّة تحـدّد مـن قبـل القيـادة وليـس مـن حـق أحـد أن يعـارض أو يؤيّـد إلّا مـن خـلال القـرار السياسـي للقيـادة.

– قلـت قبـل قليـل ان القيـادة السياسـية أيـدت الثـورة وان العـراق مـن أوائـل الـدول المؤيـدة لهـا.. أليـس موقـف الجماهيـر ينسـجم مـع هـذا القـرار؟

– نعـم.. لكـن اتّخـاذ مواقـف سياسـيّة مـن مسـؤوليتنا ولا يحـق لأحـد أن يتدخّـل فـي هـذه الأمـور!

شـعر البـراك أنّـه فـي مواجهـة رجـل عنيـد لا يهـاب أحـداً ولا يخـشى مـن أحـد.. رجـل لا ينفـك يسـبح الله وحـده لا شريـك لـه.. فـي أعماقـه شـعور بالاعجـاب لرجـل ينهـض وحيـداً لمقارعـة نظـام مدجـج بالـسلاح وبـكل أدوات ووسـائل التعذيـب..

نظر البراك إلى بعض التقارير الامنيّة وسأل دون أن يرفع رأسه:

– ما هـو هدفـك مـن زيارتـك لبيـت الخمينـي فـي اليـوم الـذي غادر فيـه العـراق؟

– هكـذا هـي العلاقـة بيـن العلـماء.. ذهبـت لتوديعـه.. وهـذا يؤكّـد ما قلتـه سـابقاً.. علاقتـي بالسـيّد الخمينـي قائمـة علـى أسـس دينيّـة وأخلاقيّـة!

– ماذا يعني الخميني في برقيته إليك؟

– ..

– أين محمود الهاشمي؟ علمنا أنّه ذهب إلى إيران ليمثلك!

– ..

– اننا نعتبر ارساله عمليّة تحريض ضدنا!

– فسروا ذلك بما شئتم.

– الوفـود التـي جـاءت إليـك.. مـن نظمهـا؟ مـن يقـف وراءهـا؟.. ما هـو الهـدف منهـا؟

– الشـعب العراقـي كان وراءهـا.. هـو نظمهـا.. جـاءوا يطلبـون منـي البقـاء بينهـم!

– هل كنت تنوي مغادرة العراق؟

– لا.

– إذن لـماذا طلـب منـك الخمينـي البقـاء فـي العـراق؟ هـل تريـد أن تقـود الثـورة ضدّنـا بمسـاعدة إيـران؟

– لا علاقـة لايـران ولا لأي دولـة أخـرى فـي ذلـك.. الذيـن جـاءوا هـم أبنـاء العـراق وأنتـم تعرفـون ذلـك جيداً!

– نحن نعتبر ذلك تحريضاً للشعب ضد الحزب والثورة.

– أنتـم تقولـون نحـن أقويـاء.. فهـل بامـكان هـؤلاء الاطاحـة بالحـزب

والثـورة مـن خـلال تظاهـرات سـلمية؟!

– أنـت تعـرّض نفسـك للخطـر.. وكل واحـدة مـن هـذه القضايـا تسـتوجب الاعـدام.

شـعر السـيّد الصـدر بأنّـه بـات عـلى وشـك الرحيـل وأنّـه قريـب جـدّاً مـن الشـهادة لذلـك قال:

– أنـا فـي قبضتكـم فافعلـوا ما شـئتم! افتـح لـي غرفـة مـن هـذه الغـرف وأدخلنـي فيهـا وارح نفسـك واسـترح!

امسك مدير الأمن العام بالقلم وسجل:

– لـم ينـف محمّـد باقـر الصـدر فـي التحقيـق معـه هـذه الفعاليّـات باعتبارهـا مـن مهـمات المؤمنيـن المجاهديـن وأكّـد ان برقيـة خمينـي كانـت ايذانـاً ببـدء الجهـاد والنضـال فـي وقـت اعتبـر الفرصـة لتسـلّم السـلطة بعـد طـول انتظـار منـذ عام ١٩٥٨ وأضـاف محمّـد باقـر الصـدر..

وفـي هـذه اللحظـة رنّ جـرس التلفـون.. وأصـغى باحتـرام واكتـفى فـي ردّه بقوله:

– أمرك سيّدي!

أعاد سماعة الهاتف وقال مخاطباً السيّد الصدر:

– لم أر القيادة تتردّد في قتل أحد كما رأيتها تتردّد في قتلك..

دخـل السـكرتير وسـلّم فاضـل البـراك ورقـة فـراح ينظـر فيهـا وقـد تغيّـرت ملامـح وجهـه تماماً!!

فـي حـدود السـاعة الثامنـة صباحـاً أذاع القسـم العربـي فـي اذاعـة طهـران خبـر اعتقـال السـيّد محمّـد باقـر الصـدر فجـراً واقتيـاده إلى بغـداد!

والذيـن يسـتمعون إلى هيئـة الاذاعـة البريطانيّـة سـمعوا هـذا الخبـر المثيـر..

تلقّـت خلايـا حـزب الدعـوة الإسلاميّـة فـي العديـد مـن المـدن تعليمات فـي ضرورة الـخروج بمظاهـرات احتجاجيّـة.

كلّ هـذا جـرى فـيما كانـت السيّارة التـي تقـلّ السيّد محمّـد باقـر الصـدر والسيّد محمـود الخطيـب والشـيخ طالـب السـنجري ما تـزال فـي الطريـق إلى بغـداد!

وفـي ضـحى هـذا اليـوم تلقّـت خلايـا التنظيـم فـي مدينـة الثـورة الباسـلة اشـارات فـي ضرورة الـخروج بتظاهـرة تأييـد للسـيّد محمّـد باقـر الصـدر واحتجـاج ضـد حكومـة البعـث الماسـوني.. يجـب ألا يبـقى السيّد الصـدر قائـداً بلا جنـود وفارسـاً بلا جـواد.. وكان مـن الواجـب أن تشـارك المـرأة فـي هـذه التظاهـرات الاحتجاجيّـة اسـتجابة لنـداء زينـب العصـر السيّدة آمنـة الصـدر.

وانبـرى أحـد الـدعاة الشـباب ويـدعى «حسـين نعمـة» إلى التطـواف فـي قطـاعات مدينـة الثـورة بسـيارته واذاعـة الخبـر مـن خلال مكبّـرة صـوت:

– مـن فقـد طفـلاً يرتـدي ثوبـاً مخطّطـاً الحضـور اليـوم السـاعة الخامسـة فـي جامـع الإمام الباقـر عليه السلام لاسـتلامه!

وهكـذا تـمّ الابلاغ عـن مكان وزمان انـطلاق التظاهـرة الكبـرى واعلان صرخـة الاحتجـاج الجماهيريّـة عـلى اعتقـال السيّد الصـدر والمطالبـة بالافراج الفـوري عنـه.

فـي يـوم ١٢ حزيـران ومـن أمام جامـع الإمام الباقـر الواقـع فـي قطـاع ٤٩ انطلقـت الحشـود الغاضبـة تختـرق شـارع الداخـل ودوّت هتـافات مئـات الرجـال وعشـرات النسـاء والفتيـات بشـعارات الثـورة والرفـض للظلـم والاضطهـاد والدكتاتوريّـة والاسـتبداد:

– عاش الخميني والصدر.. والدين دوماً منتصر!

– يسقط صدام والبكر والدين لازم ينتصر[١]

وكانت مظاهرات غاضبة قد اندلعت في مدينة النجف الأشرف شاركت فيها المرأة.. ما استدعى مديريّة أمن النجف إلى ارسال تقارير عاجلة تحذر من اندلاع انفجار شعبي وشيك!![٢]

مدينة السماوة ١٧ رجب ١٣٩٩ / ١٢ حزيران ١٩٧٩

في مدينة السماوة جنوب العراق انطلقت تظاهرة كبرى من أمام الجامع الكبير وراحت تردّد شعارات مناهظة لنظام البعث المجرم مستنكرة اعتقال السيّد محمّد باقر الصدر ومن أبرز الشعارات التي صدحت بها الحناجر الغاضبة:

– الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله

– الموت لشاه بغداد صدام الخائن

وطافت الجماهير شوارع المدينة مروراً بالسوق الكبير إلى أن وصلت إلى بيت الشيخ مهدي السماوي ممثل المرجعيّة حيث ألقى الدكتور محمود شاكر خطاباً حماسيّاً طالب فيه سلطات البعث بالافراج فوراً عن السيّد الصدر..

هاجمت القوّات الأمنيّة المتظاهرين وحدثت اشتباكات انتهت بمقتل عدد من أفراد الأمن واعتقال المئات من المتظاهرين وفي طليعتهم السماوي والدكتور محمود شاكر والسيّد عمران السماوي وقاسم عبادة.

---

١. . مزيد من التفاصيل حول هذه المظاهرة الكبرى انظر رواية السماء تفتح أبوابها في المساء.

٢. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٧١.

وخاطب محافظ السماوة وكان فظّاً غليظ القلب الشيخ المعتقل قائلاً له: يا أعمى!

كان الشيخ السماوي ضعيف في بصره الّا انّه كان نافذ البصيرة قال له المحافظ ويدعى شهيد گاطع العلي:

– يا أعمى! تريد تصير رئيس الجمهوريّة؟!

فأجاب الشيخ الباسل وهو يشير إلى نعله الأصفر:

– أنت ورئيسك ورئاسة الجمهورية ما تعادلون عندي هذا الأصفر!!

وعندما تطاول المحافظ البعثي وتعدّى حدود الأدب نهض السيّد عمران الموسوي وبصق في وجهه وكان المشهد معبّراً عن بسالة الإسلام المقاوم.. إسلام محمّد وعلي والحسين ونهضته ضد طغاة البعث الماسوني..

وفي مدينة الفهود دوّت الهتافات المنددة بالنظام البعثي وهكذا في مدينة «الخالص» و «جديدة الشط» و«جيزان الجول».. سلطات البعث تستنفر جميع قوّاتها الأمنيّة والحزبيّة لمواجهة انتفاضة الشعب العراقي المقهور.

البصرة ١٧ رجب ١٣٩٩هـ / ١٢ حزيران ١٩٧٩م

نشر المساء ستائره وكانت النجوم تومض في مواقعها البعيدة وأغوارها السحيقة..

سميرة تنوء بحملها وقد اقتربت ساعة المخاض..

عبدالأمير يصغي إلى صوت الثورة الإسلاميّة في إيران.. نشرة الأخبار تحدّثت عن اعتقال السيّد محمّد باقر الصدر واقتياده إلى بغداد واندلاع مظاهرات في العديد من المدن العراقيّة في طليعتها مدينة النجف

الأشـرف وفـي مدينـة الثـورة شـرق بغـداد والكاظميّـة شمال بغـداد ومدينـة السماوة ومدينـة الفهـود وفـي الخالـص وجديـدة الشـط وجيـزان الجـول التـي فـرّ منهـا البعثيّـون وازلام النظـام الى مدينـة الخالـص[١] التـي شـهدت انتفاضـة - عارمـة انطلقـت مـن «حسـينيّة عليبـات» وفـي «جديـدة الشـط» دوّت هتافات: «عاش الخمينـي والصـدر والديـن لازم ينتصـر»[٢].

إلى جانـب خروج تظاهـرات فـي خـارج العـراق فـي أبـو ظبـي وبـيروت وطهـران ولنـدن وباريـس و...

اسـتغرب وهـو يصغـي إلى برنامـج «عـراق اليـوم يبحـث عـن حسـين» مـن دعـوات للشـعب العراقـي فـي أهميّـة الـخروج فـي تظاهـرة مدينـة الكاظميّـة فـي ذكـرى استشـهاد الإمام مـوسى الكاظـم عليه السلام بتـاريخ ٢٥ رجـب أي بعـد أيّـام وكان العمـل يجـري سريـاً فـي التحضيـر لهـذه المظاهـرة الكبـرى التـي سـتنطلق مـن مدينـة الكاظميّـة باتّجـاه القصـر الجمهـوري تنديـداً بسياسـات حـزب البعـث الحاكـم!!

كان نظـام العفالقـة يخطـط للقيـام بخطـوة اسـتباقيّة وشـنّ حملـة اعتقـالات واسـعة جـدّاً تطـال جميـع وكلاء السـيّد محمّـد باقـر الصـدر فـي العديـد مـن المـدن والمناطـق الحسّاسـة!!

وفـي منتصـف الليـل شـعرت سـميرة بدنـو الأمـر وقـد جاءهـا المخـاض كان عبدالأميـر قـد اسـتعار سـيّارة قديمـة بمسـاعدة شـقيق سـميرة «زكـي» أيقظـت سـميرة شـقيقتها الصغيـرة «ليـلى» البالغـة مـن العمـر سـتّة عشـر عاماً.. بـادرت ليـلى لايقـاظ عبدالأميـر فوجدتـه يصغـي إلى الراديـو الصغيـر..

استبدل عبدالأمير ثيابه على وجه السرعة وهبّ لمساعدة زوجه..

---

١. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٦٣.

٢. . م. ن ص١٦٢.

وفي سكينة الليل كانت السيّارة في طريقها إلى مستشفى الموانىء القريب من حيّ الشهداء.

بغداد شارع النضال مبنى مديريّة الأمن العامّة ١٧ رجب ١٣٩٩هـ / حزيران ١٩٧٩

فاضل البراك يعيد سماعة الهاتف ويخاطب السيّد الصدر:

– اكرّر لم أر القيادة تتردّد في قتل أحد كما رأيتها تتردّد في قتلك!

سكت لحظات ليقول وكانت الساعة الجداريّة تشير إلى العاشرة وعشرة دقائق.

– وهذا شي لا ينبغي أن أخبرك به.. أنا شخصياً اعتزّ بك.. اعتزّ بأنّي جالس أمام علامة مثلك.. عندي مكتبة وفيها بعض كتبك مثل «اقتصادنا» و«فلسفتنا» لكن في نفس الوقت أنا اقتلك وأبكي عليك!!

ليكن في علمك أننا صفّينا كلّ المعارضين للبعث وبقيت أنت وحدك!!

لا نسمح أن تجعل من نفسك حكومة ودولة مستقلّة داخل حكومتنا!! تبعث برقيّات إلى افغانستان وبرقيّة إلى انور السادات.. ان كلّ واحدة من هذه الأمور تستحق عليها الاعدام..

أشعل سيجارة وأخذ نفساً عميقاً وفي الأثناء دخل السكرتير ووضع على مكتب البراك جهاز تسجيل وقصاصة ورقية صغيرة..

التفت البراك إلى السيّد الصدر وقال:

– ماذا فعلنا لكي تخرج مظاهرات؟! اليوم خرجت مظاهرات في النجف والكاظمية ومدن أخرى احتجاجاً على اعتقالكم!!

ضغط على زر جهاز التسجيل وانبعثت أصداء هتافات مدويّة:

– عاش عاش الصدر والدين لازم ينتصر..

ودوى في الفضاء صوت اطلاق رصاصات!!

قال البراك وهو يقطع صوت المسجّل:

– هذا ليس اعتقال.. هذه زيارة.. حبّينا نتعرف على بعض الأمور من خلالكم مباشرة!!

قال السيّد الصدر:

– ـ وهل يتطلّب ذلك طرح هذا العدد الكبير من الأسئلة وبهذا الأسلوب؟!!.. وهل يستدعي ذلك تطويق بيتي من العصر حتّى الصباح.. وبهذا العدد الكبير من القوّات؟!

– هذا خطأ ارتكبه مدير أمن النجف.. قلنا له: نريد الاستفسار من السيّد الصدر عن بعض الأمور وأخبرناه أن يرافقكم إلى بغداد بكلّ احترام..

واردف متوددا:

– والآن أنت حر ويمكنكم العودة إلى النجف.. وأهلاً بك.

– لن أغادر من دون الشيخ طالب وسيّد محمود والافراج عن جميع المعتقلين..

– سنفرج فوراً عن مرافقيك.. أمّا المعتقلين في المظاهرات فهذا يحتاج إلى قرار من السلطات العليا.. لكن أعدك بأن أتوسط شخصيّاً لدى رئيس الجمهوريّة..

رفع البراك سماعة الحاكية واتّصل بـ «مدير الشبعة الخامسة»

المسـؤولة عـن مكافحـة النشـاط الدينـي.

– وين الخطيب؟

كان السيّد محمـود الخطيـب قـد اقتيـد إلى الطابـق الثالـث للتحقيـق وكان «زهيـر» واسـمه الحقيقـي سـعدون قصـي القيسـي مديـر الشـعبة يحقّـق معـه شـخصياً.. فسـمع صـوت البـراك يسـأل: ويـن الخطيـب؟

أجاب مدير الشعبة الخامسة:

– عندي!

– جيبه!

– سيّدي ما استكملت التحقيق معه!

– نزله! استلمنا برقيّة من ديوان الرئاسة بالافراج عنه.

هنا التفت زهير إلى سيّد محمود وقال:

– ولك حظّك عدل[١].

واردف:

– تعال معي!

نهـض سـيّد محمـود ونـزل برفقـة «زهيـر» إلى الطابـق الأرضـي مـن خلال السلالـم؛ خاطـب زهيـر سـيّد محمـود مهـدّداً:

– شوف! لو ما أمر السيد رئيس الجمهوريّة لقطعت إلساناتكم!

عندما دخل سيّد محمود استقبله استاذه بابتسامة وقال مطمئنّاً:

– اطمئـن! اطمئـن! وصلـت برقيّـة مـن ديـوان الرئاسـة تنـصّ علـى

١. . أي أنت محظوظ.

اطـلاق محمّـد باقـر الصـدر ومـن معـه! قـل لهـم يفرجـوا عـن شـيخ طالـب!

نهـض سـيّد محمـود وأبلغهـم طلـب السـيّد الصـدر.. كانـت السـاعة تشـير إلى حـدود الثانيـة عشـرة.. كان شـيخ طالـب فريسـة بيـن أيـدي ذئـاب الأمـن وقـد غطـت الـدماء أذنـه اليمـنى وأجـزاء مـن رأسـه.. فجـأة توقـف التعذيـب.. وأعيـدت إليـه عمامتـه باحتـرام وأعطـوه ملابسـه.. لكنّـه لـم يسـتطع غسـل الـدماء..

اقتيـد شـيخ طالـب إلى غرفـة مديـر أمـن بغـداد الـذي بصـق فـي وجهـه ردّاً عـلى ما فعلـه شـيخ طالـب عنـدما بصـق فـي وجـه مديـر أمـن النجـف «أبـو سـعد» قال لـه:

– راح ناخذ حقنا منك!

اقتيـد شـيخ طالـب إلى الغرفـة التـي يجلـس فيهـا السـيّد الصـدر واستبشـر السـيّد بدخولـه وعانقـه فقبـل شـيخ طالـب يـد اسـتاذه ووجنتيـه.. قال السـيّد لـه:

– نصلّي هنا؟

فأجاب التلميذ الوفي:

– هذا أمر يرجع إليك!

هنالك قال السيّد الصدر وقد عزم على اقامة الصلاة ربما تحدّياً:

– نصلّي هنا.

والتفت إلى سيّد محمود وطلب منه أن يجد مكاناً للوضوء.

وكان زهيـر قـد طلـب مـن سـيّد محمـود الاتّصـال ببيـت السـيّد أبوالقاسـم

الخوئـي واخبـاره بالافـراج عـن السـيّد الصـدر؛ فامتنـع متعـلّلاً بأنّـه لا يعـرف رقـم الهاتـف.. كان ذلـك بايعـاز مـن السـيّد الصـدر حـتّى بعـد أن أحـضروا لـه رقـم التلفـون..

قال «زهير»:

– زين اتّصل ببيت السيّد وأخبر بنت الهدى!

رفـض سـيّد محمـود ذلـك، فقـام العميـد «زهيـر» أو سـعدون قصـي بالاتّصـال عـلى بيـت السـيّد الصـدر وتحـدّث مـع السـيّدة بنـت الهـدى بلهجـة فيهـا تهديـد ووعيـد قال لهـا بعـد أن أبلغهـا بالافـراج عـن السـيّد الصـدر:

– ليـش تثيريـن النـاس ضدّنـا؟! تحرضينهـم علـى التظاهـر.. ترددين شـعارات الله أكبـر! الظليمـة! الظليمة!وتحرّكيـن النـاس للخـروج إلـى الشـارع.. (نحنـا) ما تخيفنـا المظاهـرات!

وجـاءه صـوت السـيّدة أبيـا مفـعماً بأصـداء صرخـة زينـب الكبـرى فـي يـوم عاشـوراء:

– وهـل تعلـم ما فعلـت قـوّات أمنكـم؟!! النـاس خرجـوا احتجاجـاً علـى اعتقـال مرجعهـم.

– من حق القيادة استدعاء أي مواطن وهذا أمر طبيعي.

– وهـل مجـيء مديـر أمـن النجـف مـع كلّ هـذا العـدد مـن القـوّات وفـي وقـت الفجـر أمـر طبيعـي؟!!

فردّ الوغد حانقاً:

– تجادليني؟!

ثـمّ أطبـق سماعـة التلفـون بعصبيّـة وهـو يتميّـز غيظـاً وكان شـاربه الكـث

يرتجف من شدّة الحنق..

فرش سيّد محمود عباءته وأقام السيّد الصدر صلاته ووقف سيّد محمود خلفه وانضم إليه شيخ طالب تحدّياً لأزلام النظام وإن نوى إعادة الصلاة بسبب الدماء التي ما تزال عالقة باذنه ورأسه وثيابه!

وبعد أن فرغ من الصلاة نهض سيّد محمود واجرى اتّصالاً مع بيت السيّد الصدر وأخبر أسرته بالافراج عنه وأنّه سيكون في النجف بعد ساعات[١].

طلب السيّد الصدر من تلميذه استئجار سيّارة تقلّهم إلى النجف الأشرف.. وفي الممر اعترض رجال الأمن طريقه وأخبروه بأنّهم سيقومون باستئجار «تاكسي» من شارع النضال، وسرعان ما جاءوا بسيّارة «تويتا» متهالكة موديل قديم.. رفض سيّد محمود هذه السيّارة وقال: أنا استأجر سيّارة.. وحدثت مشادّة بين سيد محمود وعناصر الأمن.. تناهت الضجّة إلى فاضل البراك مدير الأمن العام.. فأرسل سكرتيره الذي قال لسيّد محمود:

– ارجع! المدير العام أمر بنقلكم إلى النجف مباشرة بسيّارته الخاصّة.

غادر موكب السيّارات الأمنيّة ساحة مبنى مديريّة الأمن العامّة واجتازت شارع النضال.. بلغ عدد السيّارات الأمنيّة اثني عشر سيّارة وكانت التعليمات تقضي بعدم التوقّف في الطريق..

وتوقّفت السيّارة التي يقودها ضابط الأمن عند رأس الزقاق حيث يقع منزل السيّد الصدر.. وترجّل السيّد الصدر وسيّد محمود وشيخ طالب الذي أخذ طريقه إلى «مدرسة اليزدي» فيما أخذ السيّد الصدر ومعه سيّد

---

١. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٧٣.

محمـود الطريـق إلى بيتـه.. قال سـيّد محمـود:

– كيف ترى الأوضاع سيّدنا؟

قال السيّد الصدر وهو يطلق آهة حرّى:

– لـو كانـت القضيّـة متعلّقـة بمحمّـد باقـر الصـدر وكفـى لهانت..ولكـن الهجمـة كبيـرة وستشـمل الجميـع بمـن فيهـم الذيـن يقولـون ينبغـي أن ننسـجم مـع السـلطة بشـكل مـن الأشـكال.

خطـرت فـي بـاب سـيّد محمـود فكـرة انتقـال السـيّد الصـدر إلى مكان آخـر مادام الشـارع خالياً:

– سيّدنا لو نغيّر مكانكم اليوم؟

قال السيّد الصدر:

– هـذا سيفسّـر تفسـير آخـر وسـيقال عنّـي جبـان.. نبـات فـي بيتنـا وما قضـاه الله يقـع.

سكت لحظات ليقول له:

– اتّصـل بمديـر الأمـن وذكّـره بالاتّفـاق وضـرورة اطـلاق جميـع المعتقليـن وسـحب قـوّات الأمـن وعـدم مضايقـة الـزوّار.

وقبل أن يودّعه أوصاه بتأجيل سفره إلى دبي:

– أريدك قريباً منّي في هذي الايّام!

البصرة ١٨ رجب ١٣٩٩هـ / ١٣ حزيران ١٩٧٩م

عبدالأميـر أصـبح منـذ يوميـن يـدعى «أبـو ايمان» وزوجـه «أم ايمان» ..ولـدت ايمان وفتحـت عينيهـا عـلى الدنيـا فـي زمـن شـهد شروق شـمس الثـورة الإسلاميّـة.. وشـاء الله سـبحانه أن تولـد هـذه الطفلـة البريئـة فـي أيّـام

حبلى بالحوادث المزلزلة.. ملايين العراقيين يتطلعون بأمل كبير الى ما يجري في الأرض التي تشرق منها الشمس!! يترقبون تباشير الصبح القادم.. أليس الصبح بقريب..

عبدالأمير في طريقه إلى«التنومة» حيث تقع «جامعة البصرة» في شرق «شطّ العرب».. في هذه الجامعة درس عبدالأمير وتخرج وفي هذه الجامعة العريقة درست زوجته أم ايمان وتخرجت عام ١٩٧٣.. لا يعرف أحد تاريخ انتمائه إلى حزب الدعوة الإسلاميّة.. فهذه قضايا خطيرة في غاية السريّة.. أبو ايمان يمتطي دراجته الهوائيّة ويتّجه إلى «الطبگة» وهي عبارة عن سفينة قديمة تؤدّي عملها كجسر عائم حيث يجتمع الناس والسيّارات فتنقل العابرين المشاة والسيّارات والدرّاجات من شرق «الشط» إلى مركز المدينة وبالعكس..

لم ينس أن يأخذ معه علبة تشتمل على «الكليجة» وكانت والدته صنعت منها الكثير..

وفي قرارة نفسه أن يلتقي بعض رفاق الدرب ويتواصل معهم وإن كان الظاهر أنّه يريد أن يتحف بها اساتذته..

ومع ذلك فانّه يريد أن يهنّئ بعض أصدقائه بمناسبة الافراج عن السيّد الصدر اثر الانتفاضات الشعبيّة في العديد من المدن..

سأل هناك قبل أن يغادر الجامعة عن الطالب «محمّد ياسين» المرحلة الثانية في كليّة الهندسة فلم يحصل على جواب!!

وكان يقابل بالصمت والوجوم!

وعندما رأى أحد الطلّاب حيرته اقترب منه وهمس بصوت فيه حذر:

– لا تبحث عنه!

– لماذا؟!!

– أقول لك لا تسأل عنه!! انقطع عن المجيء إلى الجامعة!!

امتزجت مشاعر القلق والحزن والتساؤل وهو يقول:

– ولكن ما السبب؟!!

– قبل أيّام وقد احتدم الجدل في «الكافتيريا» صعد على كرسي وأطلق صيحة مدويّة وبلا مقدّمات: «ليعلم الجميع انّ السيّد الخميني اليوم هو حسين العصر وانّ صدّام هو يزيد العصر» بعض الطلبة أيّده وبعض الطلبة هرب إلى خارج الكافتيريا كانوا أعضاء في اتّحاد الطلبة.. وفي اليوم التالي لم يحضر محمّد ياسين..

سكت لحظات ليقول:

– لا تتصوّر اني اسمح لنفسي بالحديث معك حول هكذا أمور خطيرة لو لم اطمئن إليك.. هؤلاء لا يرحمون أحداً بهذا انصحك أن تغادر حالاً.. الاجواء هنا مشحونة.

غادر عبدالأمير مبنى الجامعة بعد أن شدّ على يد الطالب وشكره على تعاطفه..

ولم ينس عبدالأمير أن يودّع الاستاذ علوان الحسناوي استاذ الرياضيّات.. شعر انّه يراه للمرّة الأخيرة!

امتطى درّاجته الهوائيّة وأخذ طريقه عائداً إلى بيته.. وفي تلك الليلة تلقّت خلايا التنظيم في خطوط عديدة اشارات صريحة ببدء مرحلة الكفاح المسلّح وكان السيّد الصدر قد تأكّد تماماً «أنه لا نتيجة من الكلام مع هؤلاء (البعثيين) وطلب من سيّد محمود الخطيب أن يقطع

الاتّصال معهم.

بدأ حزب البعث حربه الاعلاميّة الشرسة ضدّ النظام الاسلامي في إيران وحلّت صورة گوگوش المطربة الايرانيّة في عهد الشاه محل صور الإمام الخميني وكان جزاء من يحمل صورة للامام والسيّد محمّد باقر الصدر الاعدام دون محاكمة وظهرت على مسرح الحوادث تشكيلات مناهضة لنظام الثورة الإسلاميّة «جبهة تحرير عربستان» و«الجبهة الشعبيّة لتحرير الاحواز» وكانت شحنات الأسلحة تتدفّق نحو هور الحويزة لتسليح العملاء وكانت الطائرات الحربيّة تقوم باختراق الأجواء الايرانيّة وتقوم بإطلاق النار كما حصل في منتصف حزيران ١٩٧٩ وكان ردّ السيّد الصدر فتواه المزلزلة بحرمة الانتماء إلى حزب البعث الماسوني وحرمة دخول الطالبات إلى الجامعات بدون حجاب شرعي.. وأمام اصرار البعثيين على فرض السفور و«الزي الموحد» على الطالبات لم يبق أمام الفتيات الملتزمات الا مغادرة الجامعات والتخلّي عن استكمال الدراسة الجامعيّة!!

إثر ذلك شنّ نظام البعث الماسوني حملة اعتقالات واسعة طالت عشرات الألوف من الشباب العراقي واعتقل جميع وكلاء السيّد الصدر الذي تحدّى ونهض ببسالة لمقاومة وحشيّة العفالقة.. كانت ارادته مشحونة بعزم الأنبياء..

كلّ هذه الحوادث المزلزلة جاءت بعد الزيارة المفاجئة لـ «جورج براون» وزير الخارجيّة البريطاني الأسبق واجتماعه بـ «صدّام» على انفراد حيث بدأ التحضير لاقالة رئيس الجمهوريّة «أحمد حسن البكر» وصعود صدّام رسميّاً ليكون «الطاغية» و«الدكتاتور» و«الذئب الاغبر» الذي سيحكم العراق بالحديد والنار..

حاول عبدالأمير التواصل مع السيّد عصام آل شبّر وكيل السيّد الصدر

وإمام منطقة «السيمر» في البصرة القديمة..

في ذلك المساء الحزين وجد المصلّين في المسجد حيارى يساورهم القلق من عدم قدومه وأدركوا انّه قد تعرّض للاعتقال مع المئات من شباب البصرة ورجالها الأشدّاء.

كان عبدالأمير قد تلقى تعليمات مؤكّدة حول بدء مرحلة الكفاح المسلّح وأنّ السيّد محمّد باقر الصدر قد أفتى بوجوب الكفاح المسلّح ضد نظام العفالقة الماسونيين وجوباً كفائيّاً..

لم تكن الخلايا التنظيميّة مستعدّة لهذه المرحلة الخطيرة.. وكانت البنية التحتيّة للتنظيم أساساً بنيّة ثقافيّة بالدرجة الأولى الأمر الذي جعل نشاطه مكشوفاً إلى حدٍّ ما.. لذلك تركت خطوة العبور إلى مرحلة الكفاح المسلح دون المرور بالمرحلة «السياسيّة» مضاعفات خطيرة خاصّة بعد زجّ الفتيات في هذه المرحلة واعدادهن لحمل السلاح والمشاركة بعمليّات فدائيّة.

وكان الأستاذ «عبدالأمير المنصوري» مسؤول الجناح العسكري في التنظيم قد تمكّن من اقناع قيادات التنظيم بضرورة القيام بانقلاب عسكري والاطاحة بطغمة البعث العفلقي الماسوني وفي مساء يوم الخميس ١٨ رجب وصل خبر يفيد بأنّ السلطات فرضت الحجز على السيّد الصدر في بيته يوم الأربعاء ومنعته من مغادرة البيت وكذلك منعت زيارته! بل ومنع العابرون من دخول الزقاق الذي تقع فيه دار السيّد الصدر.. وها هي الآن تبدو قلعة تحاصرها الذئاب الكاسرة أو سفينة تحيطها الأمواج المتلاطمة..

وفي منطقة المعقل وفي حيّ الشهداء.. وفي بيت أبي إيمان.. وفي ساحة البيت وقد بدا القمر حزيناً.

كان صوت أبي ايمان يتهدج وهو يقرأ دعاء كميل ودمعت عيناه في كلمات الختام:

– «يا من اسمه دواء.. وذكره شفاء.. وطاعته غنا.. ارحم من رأس ماله الرجاء.. وسلاحه البكاء..»

وختم الدعاء بمقطع من دعاء الافتتاح يعبّر عن رؤى واحلام وآمال ملايين المقهورين:

– اللهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة.. تعزّ بها الإسلام وأهله.. وتذلّ بها النفاق وأهله.. وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك.. والقادة إلى سبيلك.. وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة..

ليلى البالغة من العمر سبعة عشر ربيعاً تحتضن ايمان ابنة شقيقتها وتهدهدها.. ايمان تغفو بسلام.. الله وحده الذي يعلم ماذا تخبئ الأيّام وما الذي تضمره لهذا الجيل والأجيال التي تليه!!

كان عبدالأمير مستغرقاً في الحديث مع «فخري» و«زكي» و«بشير» أشقاء زوجته وكان الحديث يدور حول فرض الحجز على السيّد الصدر وتداعياته وفتواه بوجوب الكفاح المسلّح ضد نظام البعث الماسوني!

**عودة تمّوز**

ميـاه شـطّ العـرب تجـري بصمـت حزيـن وما يـزال تمثـال الشـاعر بـدر شـاكر السـياب.. يديـر ظهـره للميـاه وهـي تنسـاب فـي طريقهـا إلى الخلـيج.. صـوت يشـبه النشـيج ينبعـث مـن أعماق الأرض.. نشـيج لا يسـمعه إلّا الشـعراء..

«الريح تلهث بالهجيرة.. كالجثام على الأصيل..»

«اكاد أسمع العراق يذخر الرعود..

ويخزن البروق في السهول والجبال..»

«أكاد أسمع النخيل..»

«واسمع القرى تئنّ والمهاجرين..»

«تمّوز عاد.. بكلّ سنبلة تعابث كلّ ريح..»[1]

وأطـلّ تمّـوز ١٩٧٩ موحشـاً يُنـذر بوقـوع حـوادث مزلزلـة وقـد عـمّ الخـوف أرجـاء الوطـن إثـر موجـات الإعتقـال.. آلاف الشـباب يعتقلـون ويقـادون إلى أقبيـة البعـث المظلمـة.. وتنقطـع أخبارهـم!!

---

١. . بدر شاكر السياب، الديوان، ج٢.

فـي الثانـي مـن تمّـوز ١٩٧٩م يزور «اللـورد كارنتغـون» العـراق ويلتقـي صـدّام عـلى انفـراد!! وأعقـب ذلـك اللقـاء المشـؤوم تنفيـذ مخطـط رهيـب لـوأد الحركـة الإسلاميّـة والحـؤول دون تكـرار ما حصـل فـي إيـران عـلى أرض العـراق[١].

وظهر الطاغية صدّام.. وحشاً بشريّاً مصّاصاً للدماء..

وفـي تلـك الليلـة كان عبدالأميـر يصغـي إلى برنامـج «عـراق اليـوم يبحـث عـن حسـين» الـذي يبثـه القسـم العربـي فـي اذاعـة طهـران صـوت الثـورة الإسلاميّـة.. ويـكرّر نـداء المشـاركة فـي الانتفاضـة الكبـرى التـي سـتنطلق فـي ذكـرى استشـهاد مـوسى بـن جعفـر الكاظـم عليه السلام فـي الخامـس والعشريـن مـن رجـب ١٣٩٩ هـ والتـي تصـادف العشريـن مـن حزيـران ١٩٧٩ وذلـك مـن الصحـن الكاظمـي باتّجـاه القصـر الجمهـوري..

عبدالأميـر وسـميرة فـي سـاحة الـدار وقـد ظهـر القمـر مثلـوماً شـاحباً.. وكانـت النجـوم تومـض فـي مواقعهـا السـحيقة.. إيمان تغفـو بـسلام.. كلاهما ينظـران إلى ابنتيـهما.. نسـائم نديـة مشـبعة بنهكـة الميـاه الغرينيـة تهـب مـن شـط العـرب.. سـكينة الليـل تغمـر الـمكان.. وكان عبدالأميـر يصغي بحـزن إلى كلمات نابعـة مـن قلـب حزيـن كلمات إنسـان قرّر أن ينهـض لمواجهـة يزيـد العصـر..

وهكـذا يولـد الحسـين مـن جديـد.. وتنبعـث كربلاء مـرّة أخـرى.. وتقـع الملحمـة.. ملحمـة الفـداء وكان عـلى الحسـين أن يقتـل مـن أجـل أن يوقـظ بدمائـه التـاريخ والحضـارة والانسـانيّة.

كان عبدالأميـر قـد حصـل عـلى «كاسـيت» لآخـر محاضـرة للسـيّد الصـدر حـول «حـبّ الدنيـا».. كما لـو أنّـه يستشـرف المسـتقبل.. سـيدفع الشـعب

١. . انظر: مختار الأسدي، موجز تاريخ العراق السياسي الحديث ص١١٢.

العراقي ثمناً باهظاً جرّاء استغراقه في حبّ الدنيا واصرار الانسان العراقي على البقاء حيّاً بأيّ ثمن حتّى لو كان على حساب الحريّة والكرامة الانسانيّة وجاء صوت السيّد الصدر يقطر حزناً.. هو وهج من حزن الأنبياء:

– لسنا نحن اولئك الذين تركع الدنيا بين أيدينا.. لكي نؤثر الدنيا على الآخرة.. دنيا هارون الرشيد كانت عظيمة.. تعلمون أيّ دنيا غرق فيها هارون الرشيد؟! أي قصور مرتفعة عاش فيها هارون الرشيد؟!! أيّ بذخ وترف كان يحصل عليه هارون الرشيد؟! أي زعامة وخلافة وسلطان امتدّ مع ارجاء الدنيا حصل عليه هارون الرشيد؟!

هذه دنيا هارون الرشيد!!

نحن نقول إنّنا أفضل من هارون الرشيد!! أورع من هارون الرشيد!! أتقى من هارون الرشيد!!

... عجبا عرضت علينا دنيا هارون الرشيد فرفضناها؟!! حتّى نكون أورع من هارون الرشيد؟!!.. يا أولادي! يا اخواني! يا أعزّائي! يا أبناء علي! هل عرضت علينا دنيا هارون الرشيد؟! لا!!

عرضت علينا دنيا هزيلة.. محدودة.. ضئيلة..

دنيا ما أسرع ما تتفتت! ما أسرع ما تزول!

دنيا لا يستطيع الانسان أن يتمدّد فيها كما كان يتمدّد فيها هارون الرشيد!!

هارون الرشيد يلتفت إلى السحاب يقول له أين ما تمطرين يأتيني خراجك.. في سبيل هذه الدنيا سجن موسى بن جعفر.. دنيا هارون

الرشيد كلّفته أن يسجن موسى بن جعفر.. ما هي دنيانا؟! هي مسخ من الدنيا!

هي أوهام من الدنيا!!

ليس فيها حقيقة.. إلّا حقيقة رضا الله سبحانه وتعالى.. إلا حقيقة رضوان الله..

تجمّعت الدموع في العيون وأدرك أبو ايمان أنّ السيّد الصدر سينهض لمواجهة طاغوت البعث الماسوني ودنياه العظيمة!

النجف الأشرف ٢٠ رجب ١٣٩٩ هـ / حزيران ١٩٧٩م

بدا السيّد الصدر في بيته المحاصر أسداً جريحاً تحدق به آلاف الذئاب.. في هذا الحيّ القديم وفي هذا الزقاق الذي يؤدّي إلى شارع «زين العابدين» سيعيد التاريخ وقائع جرت فوق رمال كربلاء عندما حاصرت القبائل المجنونة مخيّم الحسين بن عليّ آخر الأسباط في تاريخ الرسالات الالهيّة.. شعر السيّد بالآلام تعتصر قلبه الحزين..

لم تغمض له عين في تلك الليلة وقد بدا القمر شاحباً..

كان السيّد قد تلقّى أنباءً تنذر بالأخطار! البعثيّون الأوغاد ينتهكون حرمة «الجامع» الذي يصلّي فيه السيّد قاسم شبّر.. داسوا بأحذيتهم الدنسة سجّاد المسجد؛ كان ذلك بين صلاتي المغرب والعشاء.. نهض السيّدقاسم للمواجهة رغم أنّه قد بلغ السادسة والتسعين من العمر!

وفوجئ البعثيّون بوثبة الشباب يهتف في الوجوه الكالحة:

– الله أكبر! الله أكبر!

ولّى البعثيّون الأدبار.. استحالوا إلى فئران مذعورة.. استحالت الوثبة إلى مظاهرة غاضبة تعبّر عن ضمير أمة مقهورة وشعب ينشد الخلاص من

براثـن الطغـاة[١]!

وفـي السـاعات الأخيـرة مـن الليـل نهـض السـيّد الصـدر ليوجّـه نـداءه التاريخـي الأول إلى الشـعب العراقـي..

اضطرتـه ظروف الحصـار إلى أن يسـجل النـداء عـلى شريـط الكاسـيت ليسـمعه هـذا الجيـل وربما الأجيـال القادمـة..

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمـد الله ربّ العالميـن والـسلام عـلى سـيّدنا محمّـد وعـلى آلـه الطاهريـن وصحبـه الميامين..

أيّها الشعب العراقي المسلم!

إنـي أخاطبـك أيّهـا الشـعب الحـرّ الأبـي الكريـم.. وأنـا اشـدّ النـاس إيمانـاً بـك وبروحـك الكبيـرة.. بتاريخـك المجيـد وأكثرهـم اعتـزازاً بما طفحـت بـه قلـوب أبنائـك البررة مـن مشـاعر الحـب والـولاء والبنـوّة للمرجعيّـة.. إذ تدفقـوا إلى أبيهـم يؤكـدون ولاءهـم للإسلام بنفـوس ملؤهـا الغيـرة والحميّـة والتقـوى.. يطلبـون منـي أن أظـلّ إلى جانبهـم أواسـيهم وأعيـش آلامهـم عـن قـرب لأنّهـا آلامـي..

وانـي أود أن أؤكّـد لـك.. يـا شـعب آبائـي وأجـدادي.. انـي معـك وفـي أعماقـك ولـن اتخـلّى عنـك فـي محنتـك.. وسـأبذل آخـر قطـرة مـن دمـي فـي سـبيل الله مـن أجلـك!

وأودّ أن أؤكّـد للمسـؤولين إن هـذا الكبـت الـذي فـرض بقـوّة الحديـد والنـار عـلى الشـعب العراقـي.. فحرمـه مـن أبسـط حقوقـه وحريّاتـه فـي ممارسـة شـعائره الدينيّـة.. لا يمكنـه أن يسـتمر.. ولا يمكـن أن يعالـج دائماً

١. . التفاصيل في رواية «السماء تفتح أبوابها في المساء».

بالقـوّة والقمـع..

إن القوّة لوكانت علاجاً حاسماً لبقي الفراعنة والجبابرة[١/٢]

البصرة تمّوز ١٩٧٩

عـلى ضفـاف شـطّ العـرب وقريبـاً مـن تمثـال الشـاعر بـدر شـاكر السـباب التـقى عبدالأميـر رفاق الـدرب..

كان قـد مـضى عـلى غروب الشـمس أكثـر مـن سـاعتين وقـد كسـرت نسـائم شـط العـرب الندية حـرارة الأجـواء.. أما الأجـواء السياسـيّة فما تـزال سـاخنة بالأحـداث.. جلـس رفاق الـدرب يتبادلـون الهمـوم وقـد خيّـم الوجـوم عـلى الـمكان..

الأخبـار القادمـة مـن بغـداد تنـذر بوقـوع الكارثـة.. آلاف المعتقليـن عـلى خلفيّـة المشـاركة فـي انتفاضـة رجـب الكبـرى يُحاكمـون بعـد جـولات مـن التعذيـب الهمجـي.. وقـد حكـم عـلى خمسـين مـن عـلماء الديـن وفيهـم وكلاء للسـيّد الصـدر بالاعـدام شـنقاً حـتّى المـوت وعـلى سـتّة وعشريـن عسـكريّاً رميـاً بالرصـاص كما حكـم عـلى مئتيـن بالسـجن المؤبّـد وعـلى ٨١٤ معتقـل بالسـجن لفتـرات مختلفـة؛ فـيما آلاف المعتقليـن يرزحـون فـي اقبيـة «الأمـن العامـة»..

كان عبدالأميـر يقـود أحـد خطـوط التنظيـم العسـكريّة وكان حـذراً فـي تحرّكاتـه غيـر أنّـه كان مستاءً مـن تـهريج القسـم العربـي فـي اذاعـة طهـران خاصّـة برنامـج عـراق اليـوم يبحـث عـن حسـين!

التـهريج يحبـط مظاهـره تـقرر انطلاقهـا مـن الكاظميّـة باتّجـاه القصـر

---

١. . النص الكامل للنداء في رواية «عليها السلام» مخطوطة.

٢. . السيرة والمسيرة ج٤ ص١٩٣ - ١٩٤.

الجمهـوري وكان الموعـد يـوم ٢٥ رجـب ذكـرى استشـهاد الإمام مـوسى الكاظـم عليه السلام الـذي أضـحى رمـزاً للسـجين العراقـي المقهـور.. الامهـات يقصدن ضريح الإمام عليه السلام عنـدما يضيـع أبناؤهـن وفلـذات أكبادهـن فـي زنزانـات البعـث المظلمـة..

فـي تلـك اللحظـات وكانـت إيمان بوجههـا المسـتدير المفعـم بالبـراء غارقـة فـي خـدر النـوم.. لا تـدري بما يـدور حولهـا مـن أهـوال ومـن أيـن لهـا أن تعلـم وهـي لما تكمـل شـهرها الأوّل بعـد؟!

أمّـا الأمّ الرؤوم فقـد كانـت تصغـي ربما للمـرّة العاشـرة إلى آخـر محاضـرة للسـيّد الصـدر حـول المحنـة وحـب الدنيـا.. أجـل حـبّ الدنيـا هـو التحـدّي الحقيقـي الكبيـر الـذي يواجـه المجتمـع العراقـي فـي ذلـك المنعطـف التاريخـي مـن مسـيرته..

تداعت في وجدانها مشاهد للإمام المقهور في سجون بغداد..

فـي سـجن المطبـق الرهيـب تحـت الأرض وفـي زنزانـة مظلمـة أمـضى الإمام الصابـر أكثـر مـن سـبع سـنين وهـو مثقـل بالسلاسـل والأغلال وكان معظـم الشـيعة يمارسـون حياتهـم اليوميّـة.. ولما زادت المحـن.. حصـل ما هـو أسـوأ عنـدما استشـهد الإمام مسـموماً داخـل السـجن ووضـع نعـش الشـهيد فـوق جسـر الرصافـة وتنطلـق نـداءات مـن الشـرطة! هـذا إمام الرافضـة!

ثـمّ وقـع الأسـوأ عنـدما بـادر بعـض وكلاء الإمام مـن الذيـن اسـتهوتهم الدنيـا بزخرفهـا وأنـكروا إمامـة نجلـه علـيّ بـن مـوسى طمعـاً بما فـي أيديهـم مـن حقـوق الفقـراء فخانـوا الأمانـة وأسّسـوا لحركـة «الواقفيّـة» الخطيـرة..

ترى هل تتكرّر المأساة مرّة أخرى في هذا الزمن الرديء؟!

هـل سـتمضي الحيـاة اليوميّـة بشـكل طبيعـي، فـيما يعيـش السـيّد الصـدر داخـل بيتـه سـجيناً محاصـراً مغيّبـاً تمهيـداً لتصفيتـه؟!

دوّت في وجدانها كلمات السيّد المحاصر:

– ما هي الدنيا؟!

مجموعة من الأوهام!

لكن دنيانا أكثر وهماً من دنيا الآخرين!

صدقت يا أبا جعفر.. ألم يقل جدّك من قبل: «الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر»؟!

أعرف يا سيّدي أنّك تشعر بالحريّة وأنت محاصر في بيتك ..وأدرك جيداً أنّ روحك العظيم يسبح في ملكوت السماء وأنّك حر لأنّك تجسد العبوديّة لله وحده.. أما الجلّادين وذيولهم فهم العبيد.. عبيد هذه الدنيا الزائلة..

سطعت في ضميرها حكاية من حكايات التاريخ يوم كان الإمام موسى بن جعفر سجيناً وقد حار هارون في أمر موسى.. هارون يسجد لدنياه العشرات بل المات والألوف.. هارون ليس لديه من هارون سوى الاسم.. أمّا الحقيقة فهو قارون الذي يملك والكنوز الذي يخاطب السحاب والغيوم المعصرة:

– أينما تمطرين يأتيني خراجك..

هارون يقف عاجزاً أمام موسى!

الطاغية يقف عاجزاً أمام الانسان الحرّ المكبّل بالسلاسل والأغلال!!

فكّر هارون فقتل كيف فكّر.. فكّر أن يغري السجين المقهور بفتاة حسناء.. إنّها من الفتنة والجمال ما يأخذ بالألباب..

أمر هارون رجله الغامض «مسرور» أن يصطحب «سحر» ويدخلها

بنفسه على موسى بن جعفر!

رجال الشرطة كانوا ينظرون إلى هذه الحسناء وقد ذهلوا لفتنتها..

وجدت الفتاة طريقها إلى سرداب بددت ظلمته القناديل.. قال مسرور لـ «موسى»: هذه جارية بعثها الخليفة لتخدمك!

نظر الإمام بعينين تتألق فيهما النجوم.. قال يخاطب العملاق:

– قل لهارون: بل أنتم بهديتكم تفرحون.. لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها..

الفتاة تنظر بدهشة إلى رجل عجيب!! ترى من يكون هذا الرجل الذي حار في أمره هارون؟!!

غادر مسرور وخلفه الفتاة الحسناء ليعود مرّة أخرى ومعه «سحر» قال «مسرور» الذي بدا جنياً قد أوقع بعروس البحر:

– يقول الخليفة: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخدمناك..

غادر مسرور وبقيت الفتاة الحسناء تنظر باجلال إلى رجل سجين يحاول هارون أن يقهره..

شعرت الفتاة أنّها تقف في رحاب انسان يشع طمأنينة وسلاماً.. نبع من السكينة تترقرق في جنبات السرداب الذي استحال إلى معبد..

موسى بن جعفر غارق في الصلاة.

قالت الفتاة بلهجة فيها تودد:

– هل لك حاجة؟

نظر الإمام إليها بعطف أبوي:

– ـ وما حاجتي إليك؟

قالت الفتاة:

– لا أدري! جاءوا بي لأجل خدمتك!

ثمّة عالم آخر يزخر بالحقائق لا يراه الإنسان إلّا عندما ترتفع الغشاوة عن بصره وبصيرته عالم في جوار عالم الدنيا.. عالم يرفل بالمحبّة والسلام!

في تلك اللحظات عندما يتوقّف الزمن.. أشار الانسان الذي مسّته السماء إلى الجدار الصخري وتمتم بكلمات مقدّسة.. وحدثت المعجزة الكبرى.. تحطّم جدار الزمن الصخري وظهرت حقائق العالم المجاور..

وإذا بالفتاة أمام مشهد لم يكن ليخطر على بال البشر.. تلال خضراء مغمورة بالنور.. مجالس مفروشة بالديباج.. وفتيات حسان يرفلن بالحرير الأخضر وقد توّجت رؤوسهنّ بأكاليل من اللؤلؤ والياقوت.. وفي أيديهنّ يحملن أباريق من فضّة وأكواب ومناديل من الحرير وأطباق الفاكهة!

كان المشهد مفعماً بالجلال والسكينة والشعور بالطمأنينة والسلام..

وسمعت ابنة حوّاء نداءً قادماً من عالم يغمره النور الذي يشرق في القلوب:

– ابتعدي عن الرجل الصالح!

وتهوي الفتاة الحسناء ابنة حوّاء ساجدة وقد سطعت أنوار الحقيقة في الروح..

هاهي تشعر بالتحرّر من أران العالم الطيني.. عيناها النجلاوان تذرفان الدموع.. قلبها يغتسل.. تتطهّر من كلّ أدران الأرض.. لسانها ما انفكّ يردّد:

– سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح![١].

نظرت أم ايمان إلى ابنتها الغافية ودمعت عيناها شوقاً إلى ذلك العالم المفعم بالسلام..

وفي تلك الليلة من تمّوز كانت سميرة تتمتم بمناجاة «العارفين» كانت الكلمات المقدّسة تحلّق في عوالم بعيدة عن ويلات الأرض.. عوالم مغمورة بالنور مفعمة بالصفاء:

– إلهي! قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك.. كما يليق بجلالك..

وعجزت العقول عن إدراك كُنه جمالك.. وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك..

ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلاّ بالعجز عن معرفتك.

الهي! فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم..

وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم..

فهم إلى أوكار الأفكار يأوون.. وفي رياض المحبّة بكأس الملاطفة يكرعون.. وشرايع المصافاة يردون..

قد كشف الغطاء عن أبصارهم.. وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم..

الهي!

ما ألذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب!

وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب..

---

١. . التفاصيل في رواية: على الجسر ببغداد.

وما أطيب طعم حبّك.. وما أعذب شرب قربك..

فأعذنا من طردك وإبعادك..

واجعلنا من أخصّ عارفيك.. وأصلح عبادك!

وفي تلك الليلة رأت سميرة نفسها في عالم أخضر يرفل بالسلام.. عالم مغمور بالصفاء والسكينة والجلال.. وقد تدفق نبع من الحب الخالد في قلبها الذي كان ينبض بانتظام..

دقات منتظمة تردد كلمة تختصر الوجود بأسره: حب! حب! حب! ما أروع هذا العالم.. تلال خضراء مغمورة بالنور.. والأنهار الصافية تجري في الأودية المطرزة بالعشب الزاهي الخضرة وقد نبتت الرياحين على الضفاف..

الأشجار مثقلة بالثمار وقد تدلّت الفاكهة في الأغصان الطريّة.. السكينة والسلام يغمران المشهد الحالم.. في قلبها نبع من السعادة يترقرق كساقية في الحقل..

البصرة ١٠ شعبان /١٣٩٩ ٥ تموز ١٩٧٩

عبدالأمير ومعه أربعة من رفاق الدرب والمصير في بيت يقع إلى جوار المسجد في حي الأبلّة العريق.. الساعة تشير إلى ما بعد العاشرة مساءً كانوا يترقبون إعادة بث الحوار الصحفي الذي أجرته جريدة جمهوري إسلامي مع السيّد الصدر.. وكان قد مضى على تأسيس الصحيفة شهر واحد فقط.. خيم الصمت والوجوم على الجالسين يريدون التقاط كل كلمة يقولها السيّد في هذا الظرف العصيب.. وأخيراً جاء صوته.. يشع بحزن الأنبياء:

جاء صوت السيّد الصدر وكأنّما يخترق الأسوار وجدران الزمن:

– وعليكم السلام!

– السلام عليكم!

وتسود فترة صمت قصيرة

– سيّدنا!

– نعم

– السلام عليكم

– وعليكم السلام

– سيّدنا!.. كيف صحّتكم؟

– الحمد الله

– مرتاحين إن شاء الله؟

– نحمدالله.. الله يرعاكم

– سيّدنا!

– نعم

– في.. في ما يخصّ الحوادث الأخيرة.. شنو نظركم؟

– يوجد هنا أجوبة على البرقيّات..

– نعم.. نعم.. تفضّلوا

– سماحة آية الله العظمى المجاهد السيّد الخميني دام ظلّه استمعت إلى برقيّتكم التي عبّرت

– نعم..

– عن تفقدكم الأبوي لي

– بكلّ سرعة أخاف ينقطع!

– استمعت إلى برقيّتكم التي عبّرت عن تفقّدكم الابوي لي وإنّي إذ لا يتاح لي الجواب برقياً.. لأنّي مودع في زاوية البيت.. لا يمكن أن أرى أحداً أو أن يراني أحد.. لا يسعني إلّا أن أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يديم ظلكم مناراً للاسلام ويحفظ الدين الحنيف بمرجعيتكم القائدة.. كما أسأله تعالى أن يتقبل منّا العناء في سبيله ويوفّقنا للحفاظ على عقيدة الأمّة ومثلها العظيمة.. فليست حياة أيّ إنسان إلّا بقدر ما يعطي لأمّته من وجوده وفكره.. وقد أعطيتم للمسلمين من وجودكم وحياتكم وفكركم ما سيظلّ على مرّ التاريخ مثلاً عظيماً لكلّ المجاهدين.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

– سيّدنا!

– نعم

– ـ هذا كان برقيّتكم للسيّد الخميني؟

– نعم

– سيّدنا!

– عن طريقكم ارسلها

– سيّدنا!

– نعم..

– سمعنا أخيراً أنّه صحّتكم غير جيّدة

– هناك برقيّة أُخرى

– نعم

– للسيّد الگلبايگاني

– نعم.. تفضّلوا اقروها

– سماحة آية الله العظمى المجاهد السيّد الگبايگاني دام ظلّه..

استمعت إلى برقيّتكم التي عبّرت عن تفقدكم الأبوي لي.. وإنّي إذ أعبّر عن مراتب الشكر والامتنان أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمتّعنا وسائر المسلمين بدوام ظلّكم الوارف.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

– طيّب سيّدنا!

– نعم

– اللي أنا أدري برقيّات كثيرة وكثيرة جداً من طهران بعثت إليكم ولكن ما توصل لايديكم..

– نعم.. أنا.. أنا فقط هذه سمعتها من الاذاعة..

– صحيح.. هناك برقيّات كثيرة وكثيرة جدّاً.. والتظاهرات والمظاهرات عظيمة في طهران تأييداً إليكم وللحركة الإسلاميّة في العراق..

– نسأل الله أن يرعاكم ويحفظكم بعينه

– الله يحفظكم

– والسلام عليكم

– ورحمة الله وبركاته

– سيّدنا!

هاي البرقيّات أرجو أن تصل عن طريقكم

– بحول الله.. بحو.. سيّدنا!.. ما عندكم شيء آخر تبلغونا؟

– الآن ما عندي شيء.. ما عندي شيء

– طيّب..

– الله يرعاكم..

– سيّدنا!.. صحّتكم زينه إنتو اليوم أو لا؟

– صحتي لا قيمة لها سيّدنا.. لا قيمة لها حبيبي..

وهكذا انتهت هذه المكالمة وتبادل رفاق الدرب المرير نظرات مثقلة بالحيرة مترعة بالحزن والأسى من أجل إنسان عظيم محاصر في داره.. وقد نهض وحيداً لمواجهة أعتى ديكتاتوريات الشرق الأوسط..

نظام حزب البعث الهمجي.. هو من أسوأ أنظمة الحكم في هذا العالم..

حزب البعث.. هذه العصابة الاجراميّة.. لا يعرف أحد كيف تشكّل وكيف تأسّس؟!!

النجف الأشرف ١٠ شعبان ١٣٩٩ / ٥ تموز ١٩٧٩

في تلك الليلة المثقلة بالآلام بدا السيّد الصدر غارقاً في حزن مرير.. هو قبس من حزن الانبياء.. كان مستاءً لا عادة بث المكالمة الهاتفيّة.. كان السيّد لا يريد أن يبدو وكأنّه على تنسيق مع نظام الثورة الإسلاميّة في إيران.. لكن الحوادث وضعته وجهاً لوجه مع القدر الذي ينتظره..

في تلك الليلة من تمّوز نهض السيّد إلى تسجيل نداء جديد بعد

مرور ثلاثـة أسـابيع عـلى ندائـه الأوّل فـي العشريـن مـن رجـب:

– بسم الله الرحمن الرحيم

والحمـد الله ربّ العالمينوالـصلاة والـسلام عـلى سـيّدنا محمّـد وآلـه الطاهريـن وصحبـه الميامـين

يا شعبي العراقي العزيز!

يـا جماهيـر العـراق المسـلمة التـي غضبـت لدينهـا وكرامتهـا ولحرّيّتهـا وعزّتهـا ولـكلّ ما آمنـت بـه مـن قيـم ومثـل!

أيّها الشعب العظيم!

إنّـك تتعـرّض اليـوم لمحنـة هائلـة عـلى يـد السـفاكين والجزاريـن الذيـن هالهـم غضـب الشـعب وتململ الجماهيـر بعـد أن قيدوهـا بسلاسـل مـن الحديـد ومـن الرعـب والارهـاب..

وخيـل للسـفاكين أنهـم انتزعـوا مـن الجماهيـر شـعورها بالعـزّة والكرامـة وجرّدوهـا مـن صلتهـا بعقيدتهـا وبدينهـا وبمحمدهـا العظيـم.. لكـي يحوّلـوا هـذه الملاييـن الشـجاعة المؤمنـة مـن أبنـاء العـراق الأبـيّ إلى دمى وآلات يحرّكونهـا كيـف يشـاؤون ويزقّونهـا ولاء عفلـق وأمثالـه مـن عـملاء التبشـير والاسـتعمار بـدل ولاء محمّـد وعلـي صلـوات الله عليـهما.

ولكـن الجماهيـر دائماً هـي أقـوى مـن الطغـاة مـهما تفرعـن الطغـاة.. وقـد تصبـر ولكنّهـا لاتستسـلم.. وهكـذا فـوجيء الطغـاة بـأنّ الشـعب لا يـزال ينبض بالحيـاة ولا تـزال لديـه القـدرة عـلى أن يقـول كلمتـه..

وهـذا هـو الـذي جعلهـم يبـادرون إلى القيـام بهـذه الحـملات الهائلـة عـلى عشـرات الآلاف مـن المؤمنيـن والشـرفاء مـن أبنـاء هـذا البلـد الكريـم وحـملات السـجن والاعتقـال والتعذيـب والاعـدام وفـي طليعتهـم العـلماء

المجاهـدون الذيـن يبلغنـي أنّهـم يستشـهدون الواحـد بعـد الآخـر تحـت سياط التعذيب.. وإنّي في الوقت الذي أدرك فيه عمق هذه المحنة التي تمرّ بك يا شعبي! يا شعب آبائي وأجدادي.. أؤمن بأنّ استشهاد هؤلاء العلماء واستشهاد خيرة شبابك الطاهرين وأبنائك الغيارى تحت سياط العفالقة لن يزيدك إلّا صموداً وتصميماً على المضيّ في هذا الطريق.. حتّى الشهادة أو النصر.. وأنا أعلن لكم يا أبنائي.. أني قد صمّمت على الشهادة.. ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي.. وأنّ أبواب الجنّة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتّى يكتب الله لكم النصر..

وما ألذّ الشهادة التي قال عنها رسول الله انّها حسنة لا تضرّ معها سيّئة.. والشهيد بشهادته يغسل كلّ ذنوبه مهما بلغت..

فعلى كلّ مسلم في العراق وعلى كلّ عراقي في خارج العراق أن يعمل كلّ ما بوسعه.. ولو كلّفه ذلك حياته.. من أجل ادامة الجهاد والنضال لإزالة هذا الكابوس عن صدر العراق الحبيب وتحريره من العصابة اللاانسانيّة.. وتوفير حكم صالح فذ شريف يقوم على أساس الإسلام..

- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
- عشرة شعبان
- محمّد باقر الصدر[1]
- ١٦ تموز ١٩٧٩م
- البعثيّون يملأون الدنيا صخباً.. الأناشيد السخيفة والأغاني الهابطة تتردد أصداؤها في الشوارع.. اللافتات في كلّ مكان تحيي القيادتين القوميّة والقطريّة بمناسبة ذكرى ثورة السابع عشر من

---

١. . السيرة والمسيرة ج٤ ص٢٠١.

تمّـوزه المجيـدة».

- حـزب البعـث العربـي الاشـتراكي الـذي اسـتحال إلـى عصابـة إجراميّـة منـذ عشـر سـنين يقيـم الدنيـا ولا يقعدهـا.. وكأن ما حصـل فـي ١٧ تمـوز ١٩٦٨ ثـورة شـعبيّة وماهـو إلّا انقـلاب عسـكري تـمّ التخطيـط لـه فـي الدوائـر الاسـتعماريّة والماسـونيّة العالميّـة..
- كل هـذا الضجيـج لـم يكـن بمقـدوره التغطيـة علـى حالـة الحـذر والتوجـس ..ثمـة ما يـدور فـي جنـح الظـلام..
- وفـي تلـك الليلـة ظهـر الرئيـس العجـوز أحمـد حسـن البكـر علـى شاشـة التلفزيـون ليعلـن اسـتقالته مـن منصبـه واسـناد رئاسـة الجمهوريـة العراقيّـة إلـى نائبـه «صـدّام حسـين»..
- لـم يتمكّـن البكـر مـن أخفـاء مشـاعره الحقيقيّـة وكان مـن الواضـح انـه اجبـر علـى الاسـتقالة وأن صـدام شـكل عصابتـه مـن جديـد وأن بريطانيـا رأت فيـه رجـل المواجهـة ضـد إيـران السـيّد الخمينـي.. قال البكـر انّـه يشـعر بالتعـب بسـبب ما يعانيـه مـن المـرض والتقـدم فـي السـن وأنّـه يسـمي نائبـه رئيسـاً للجمهوريّـة العراقيّـة..
- وهكـذا بـدأ عهـد جديـد وكشـر حـزب البعـث الماسـوني عـن وجهـه الحقيقـي البشـع وظهـرت أنيابـه تنـزّ صديـداً..
- وكانـت ماكنـة البعـث الاعلاميّـة ما انفكـت تعـزف علـى وتـر الطائفيّـة وتحـاول تصويـر الثـورة الإسـلاميّة بأنّهـا ثـورة شـيعيّة.. وأن حركـة السـيّد الصـدر إنّـما هـي حركـة شـيعيّة ضـد «الحكـم السـنّي» القائـم فـي بغـداد..
- كـما كانـت الاسـتعدادات تجـري علـى قـدم وسـاق لانتاج فلـم القادسـيّة الـذي يحـاول الايحـاء بـأنّ التاريـخ يعيـد نفسـه وأن إيـران عبـارة عـن

«فـرس مجـوس» وأنّ صـدّام هـو سـعد بـن أبـي وقّـاص!! وإلـى جانـب هـذا التوجّـه كان النشـاط قائـماً فـي التحضيرلفلـم «الأيّـام الطويلـة» مـن أجـل تمجيـد «بطـل الأمّـة العربيّـة» ونضالـه الطويـل!! لكـن الوجـه الطائفـي كان عنيفـاً جـداً لا يمكـن اخفـاؤه تحـت غطـاء ملفـق متهـرئ.

– ٢٣ شعبان ١٣٩٩هـ / ١٧ تموز ١٩٧٩م

– بـدا السـيّد الصـدر فـي تلـك الليلـة وهـو جالـس فـي مكتبتـه الصغيـرة فـي الطابـق العلـوي غارقاً فـي حـزن عميـق كـما لـو أنّـه فـي مأتـم أبـدي.. لا شـيء فـي الأفـق البعيـد سـوى ركام مـن سـحب الحـوادث التـي تنـذر بالخطـر..

– المجتمـع العراقـي باسـتثناء فتيـة آمنـوا بـدا مستسـلماً لقـدره والرغبـة فـي البقـاء علـى قيـد الحيـاة.. رغبـة عارمـة تؤكّـد وجـود جنـوح دنيـوي جـارف واستسـلام وتنـازل عـن الحريّـة والكرامـة الإنسـانيّة..

– السـيّد المحاصـر بـدا قائـداً بـلا جنـود وفارسـاً بـلا جـواد.. لهـذا عـزم علـى توجيـه نـداءه الثالـث يخاطـب عمـوم الشـعب العراقـي.. ويحـاول اسـتنهاض الهمـم والثـورة قبـل فـوات الأوان.. كان قـد مضـى شـطر مـن الليـل عنـدما بـدأ بتوجيـه نـداءه الثالـث:

– بسم الله الرحمن الرحيم

والحمـد لله ربّ العالميـن والـصلاة والـسلام عـلى محمّـد وعـلى آلـه وصحبـه الميامـين

يا شعبي العراقي العزيز!

أيّها الشعب العظيم!

إنّي أخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهاديّة بكلّ فئاتك وطوائفك.. بعربك وأكرادك.. بسنّتك وشيعتك.. لأنّ المحنة لا تخصّ مذهباً دون آخر.. ولا قوميّة دون أخرى..

وكما أنّ المحنة هي محنة كلّ الشعب العراقي.. فيجب أن يكون الموقف الجهادي والردّ البطولي والتلاحم النضالي هو واقع كلّ الشعب العراقي..

وإنّي مذ عرفت وجودي ومسؤوليّتي في هذه الأمّة.. بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسنّي على السواء.. ومن أجل العربي والكردي على السواء.. حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً وعن العقيدة التي تضمّهم جميعاً.. ولم أعش بفكري وكياني إلّا للإسلام طريق الخلاص وهدف الجميع!

فأنا معك يا أخي وولدي السنّي بقدر ما أنا معك يا أخي وولدي الشيعي.. أنا معكما بقدر ما أنتما مع الإسلام.. وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم لانقاذ العراق من كابوس التسلّط والذلّ والاضطهاد.. إنّ الطاغوت وأولياءه يحاولون أن يوحوا إلى أبنائنا البررة من السنّة أنّ المسألة مسألة شيعة وسنّة.. ليفصلوا السنّة عن معركتهم الحقيقيّة ضد العدو المشترك..

إن الحكم الواقع اليوم ليس حكماً سنيّاً.. وإن كانت الفئة المتسلّطة تنتسب تأريخيّاً إلى التسنّن..

إن الحكم السنّي لا يعني حكم شخص ولد من أبوين سنّيين.. بل يعني حكم أبي بكر وعمر الذي تحدّاه طواغيت الحكم في العراق اليوم في كلّ تصرّفاتهم فهم ينتهكون حرمة الإسلام في كلّ يوم وفي كلّ خطوة من خطواتهم الاجراميّة..

ألا ترون إلى احتكار هؤلاء للسلطة احتكاراً ثرياً يسبغون عليه طابع الحزب زوراً وبهتاناً؟! وسدّ هؤلاء أبواب التقدم أمام كلّ جماهير الشعب سوى أولئك الذين رضوا لأنفسهم بالذلّ والخنوع.. وباعوا كرامتهم وتحوّلوا إلى عبيد أذلّاء..

إنّ هؤلاء المتسلّطين قد امتهنوا حتّى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي حيث عملوا من أجل تحويله من حزب عقائدي إلى عصابة تطلب الانضمام إليها والانتساب لها بالقوّة والاكراه.. وإلّا فأي حزب حقيقي يحترم نفسه.. في العالم.. يفرض الانتساب إليه بالقوّة؟!

يا إخواني وأبنائي من أبناء الموصل والبصرة.. من أبناء بغداد وكربلاء والنجف.. من أبناء سامراء والكاظميّة.. من أبناء العمارة والكوت والسليمانيّة.. من أبناء العراق في كلّ مكان..

إنّي أعاهدكم بأنّي لكم جميعاً.. ومن أجلكم جميعاً.. وإنّكم جميعاً هدفي في الحاضر والمستقبل.. فلتتوحد كلمتكم.. ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الإسلام.. من أجل إنقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلطة.. وبناء عراق حرّ كليم تغمره عدالة الإسلام وتسوده كرامة الانسان ويشعر فيه المواطنون جميعاً.. على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم.. بأنّهم إخوة.. يساهمون جميعاً في قيادة بلدهم وبناء وطنهم.. وتحقيق مثلهم الإسلاميّة العليا المستمدّة من رسالتنا الإسلاميّة وفجر تاريخنا العظيم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. محمّد باقر الصدر.. النجف الأشرف..

كلماته تقطر حزناً وأسىً وأسفاً لما وصلت إليه الدنيا من انحدار وتسافل.. فإذا بالمعروف يرحل موليّاً وإذا بالمنكر يعربد ويسود وإذا

بـالأوغاد يصبحـون هـم الأسـياد..

هـذا زمـن يصلـب فيـه الأنبيـاء ويستأسـد فيـه الجبنـاء.. هـذا زمن تسـتحيل فيـه الدنيـا سـجناً قاسـية قضبانـه وقفصـاً ضيقـاً يحطّـم أجنحـة الحمائـم.. حمائـم الـسلام!

وهكـذا يعيـد التـاريخ نفسـه.. فاذا بآخـر الأسـباط فـي التـاريخ يغـادر مدينـة جـدّه فـي أخريـات رجـب سـنة ٦٠هـ مايـس أيـار سـنة ٦٨٠ للمـيلاد.. القافلـة تغـادر المدينـة لـيلاً والحسـين يتلـو آيـات القـرآن «فـخرج منهـا خائفـاً يترقـب..» ولمّـا توجّـه تلقـاء مكّـة «قال عـسى ربـي أن يهدينـي سـواء السـبيل..».

«الدولـة دولـة يزيـد» ولا مكان لمـن لا يركـع للامويـين الأوغاد.. الدولـة دولـة صـدّام ولا مكان لمـن لا يركـع للبعثيـين الجبنـاء.. لا مكان فـي عـراق البعـث إلّا لمـن يركـع.. الا لمـن يتنـازل عـن كرامتـه.. فـي يـوم التروية ٨ ذي الحجّـة ألقـى الإمام الحسـين كلمتـه التاريخيّـة وهـو يغـادر مكّـة إلى الأرض التـي سـتكون مسـرحاً لأعظـم ملحمـة فـي تـاريخ الانسـانيّة:

- خـط المـوت علـى ولـد آدم مخـطّ القـلادة علـى جيـد الفتـاة.. وما أولهنـي إلـى أسـلافي اشـتياق يعقـوب إلـى يوسـف.. وخيـر مصـرع أنـا لاقيـه.. كأنّ بأوصالـي تقطّعهـا عسـلان الفلـوات بيـن النواويـس وكربـلاء.. لا محيـص عـن يـوم خـطّ بالقلـم.. رضـا اللهِ.. رضانـا أهـل البيـت نصبـر علـى بلائـه ويوفينـا أجـور الصابريـن.. وفـي الثانـي مـن تشـرين الأوّل سـنة ٦٨٠ للميـلاد الثانـي مـن محـرّم الحـرام سـنة ٦١ للهجـرة خاطـب الحسـين بـن علـيّ أنصـاره قائـلاً:
- أما بعـد.. فقـد نـزل بنـا مـن الأمـر ما قـد تـرون.. وإنّ الدنيـا قـد تغيّـرت وتنكّـرت وأدبـر معروفهـا.. ولـم يبـق منهـا إلاّ صبابـة كصبابـة الإنـاء..

وخسيس عيش كالمرعى الوبيل.. ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به؟!.. وأنّ الباطل لا يتناهى عنه؟!

ليرغب المؤمن في لقاء الله.. فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما..

السيّد الصدر يضيق ذرعاً بهذه الدنيا التي استحالت في عينيه إلى سجن رهيب فهو يتوق إلى الخلاص والحريّة.. لم يعد له مكان في هذه الدولة الظالم أهلها.. صدّام يطلب منه المستحيل.. يطلب منه أن يتنازل عن كرامته ويركع.. فتدوّي في أعماق الصدر.. كلمات جدّه عليّ بن أبي طالب:

– الموت في حياتكم مقهورين.. والحياة في موتكم قاهرين.

وتدوّي في ضميره كلمات نجله الحسين:

– هيهات منّا الذلّة.. يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون..

وتضجّ في ضميره كلمات حفيده عليّ زين العابدين:

– لا يحلّ للمؤمن أن يكون ذليلاً!

وهتف الصدر في زمن الخنوع:

– لا! لا! لا!

ليدفع حياته ثمناً ويلتحق بالقافلة.. قافلة الحسين ويتألّق اسمه ساطعاً في ضمير الأجيال وسجلّ الخالدين[١].

١. . تلقي رواية عواطف وأمل الأضواء على جانب من معاناة السيّد الصدر في الأسابيع الأخيرة من حياته واعتقاله ومصرعه في القصر الجمهوري ببغداد.

## شموع ودموع

تلـقى عبدالأميـر أنبـاءً مؤسـفة تفيـد بـارتكاب نظام البعـث الماسـوني مذبحة بحـق سـتّة وتسـعين مـن كـوادر حـزب الدعـوة وقياديـه وفـي طليعتهـم الشـيخ حسـين معـن وعدنـان سـلمان الكعبـي وجـواد كاظـم الزبيـدي..

وكان الشـيخ حسـين معـن مـن أبرز تلامـذة السـيّد الصـدر وأبرز وكلائـه فـي مدينـة الحلّـة..

وكان النظـام البعثـي قـد بـدأ بملاحقـة رمـوز الـدعاة منـذ عام ١٩٧٤ حيـنما أقـدم عـلى تنفيـذ أحكام الاعـدام بحـق الشـيخ عارف البصـري ورفاقـه الأربعـة فـيما عـرف بـ «قبضـة الهـدى».

اضطـرّ الشـهيد حسـين معـن إلى التـواري عـن الأنظـار طـوال تلـك السـنين وعنـدما خفّـت حـدّة المطـاردة عاد إلى مدينـة النجـف يتـابع دراسـته باسـم مسـتعار هـو المعلـم «فاروق محمـد» وقـد قبـض عليـه وتعـرّض لتعذيـب رهيـب وحوكـم ليحكـم عليـه بالسـجن المؤبّـد ونُقـل إلى سـجن «أبـو غريـب» وبعـد سـبعين يـوماً تعـرّف عليـه أحـد السـجناء فاعيـدت محاكمتـه باسـمه الحقيقـي وحكـم عليـه بالاعـدام..

تـرك الشـيخ حسـين معـن عـدّة بحـوث ودراسـات فـي طليعتهـا بحـث فـي

نظريّـة المعرفـة ويذهـب البعـض إلى أن هـذه الدراسـة هـي شرح لغوامـض «الأسـس المنطقيّـة للاسـتقراء» كما كتـب فـي أيّامـه الأخيـرة «نظـرات فـي الاعـداد الروحـي» والكتـاب عبـارة عـن تعاليـم أخلاقيّـة مـن أجـل إعـداد الـدعاة روحيـاً فـي مواجهـة نظـام البعـث الهمجـي وقـد تلـقى الـدعاة أنبـاء المذبحـة بحـزن مريـر وغضـب وكانـت ردود الفعـل اللجـوء إلى الكفـاح المسـلح..

وكانـت مدينـة البصـرة تمـوج بالغضـب ومدينـة الثـورة شـرق بغـداد عـلى فوهـة بـركان ثائـر..

فـي مسـاء يـوم ٣١ آذار ١٩٨٠ أذاع راديـو بغـداد البيـان الرسـمي الصـادر عـن مجلـس قيـادة الثـورة:

«اسـتناداً إلى أحكام الفقـرة «أ» مـن المادة الثانيـة والأربعيـن مـن الدسـتور المؤقـت قرّر مجلـس قيـادة الثـورة بجلسـته المنعقـدة بتـاريخ ١٩٨٠/٣/٣١ ما يلـي:

لما كانـت وقائـع التحقيـق والمحـاكمات قـد أثبتـت بأدلّـة قاطعـة أن حـزب الدعـوة هـو حـزب عميـل مرتبـط بالاجنبـي وخائـن لتربـة الوطـن والأهـداف ومصالـح الأمّـة العربيّـة ويسـعى بـكلّ الوسـائل إلى تقويـض نظـام حكـم الشـعب ومجابهـة ثـورة ١٧ تمـوز مجابهـة مسـلّحة.

لـذا قرّر مجلـس قيـادة الثـورة تطبيـق أحكام المادة (١٥٦) مـن قانـون العقوبـات بحـق المنتسـبين إلى الحـزب المذكـور أو العامليـن لتحقيـق أهدافـه العميلـة تحـت واجهـات ومسـمّيات أخـرى..

ينفّـذ هـذا القـرار عـلى الجرائـم المرتكبـة قبـل صـدوره والتـي لـم يصـدر قـرار باحالتهـا عـلى المحكمـة المختصّـة.. صـدام حسـين.. رئيـس مجلـس قيـادة الثـورة..١

١. السيرة والمسيرة ج٤ ص٢٦٧، بالاستناد إلى سنوات الجمر ص٥٧٠.

## سمير.. ستبقى بطلاً في ضمير الأجيال

وفي اليوم التالي أي في الأوّل من نيسان ١٩٨٠ كانت أرض الجامعة المستنصريّة مسرحاً لعمليّة بطوليّة نفّذها طالب الفيزياء في كلية العلوم سمير نور علي.. كان من المقرّر أن يلقى طارق حنّا عزيز رجل الماسونيّة في العراق كلمة لبيان الموقف الحقيقي لنظام البعث تجاه الثورة الإسلاميّة في إيران.. وأثناء ترجّله من السيّارة.. هاجمه البطل سمير وألقى برمانته اليدويّة وفرّ الجبان مذعوراً.. فيما ردّ رجال حمايته بتوجيه زخّات من الرصاص على الشاب فهوى شهيداً مضمخاً بدماء الكرامة والتضحية والفداء..

وأدرك الطاغية أنّه أمام تحدٍّ كبير يتمثل برجال وشباب الحركة الإسلاميّة..

لم يخطر في بال سميرة وهي تصغي إلى زوجها يروي تفاصيل الحادثة البطوليّة أنّها ستلتقي ذات يوم بفتيات كنّ في بيت الشهيد سمير..[١]

---

١. الشهيد سمير نور علي طالب المرحلة الثالثة قسم الفيزياء هو من نفّذ هذه العمليّة البطوليّة وقد هوى شهيداً في مسرح الحادثة قام البعثيّون الأوغاد وبعد الكشف عن هويّته بمحاصرة بيت الحاج نور علي الكائن في شارع فلسطين بالقرب من ساحة بيروت واعتقال جميع أفراد أسرته شيوخاً ونساءً وأطفالاً

## البصرة - المعقل مساء الأوّل من نيسان ١٩٨٠

ايمان غافيــة فــي المهــد وكانــت الأم قــد توقفــت عــن هدهــدة المهــد، عبدالأميــر يقــوم بتنظيــف «المســدس» وســميرة تراقبــه عــن كثــب..

لقـد بـدأت مرحلـة جديـدة مـن الصـراع مـع نظـام البعـث الهمجـي.. هـؤلاء الأوغاد لا يعرفـون سـوى لغـة القـوّة..

---

وصـودرت جمـيع ممتلكاتهـم المنقولـة وغيـر المنقولـة. كان عـدد المعتقليـن ١٥ فـرداً.. اقتـادوا والدتـه مـع أربع مـن شـقيقات الشـهيد إلى الحـدود مـع ايـران وذلـك بعـد نشـوب الحـرب التـي فرضهـا صـدام عـلى الجمهوريّـة الإسلاميّـة الفتيـة حيـث تركـت المـرأة مـع بناتهـا فـي المنطقـة الحـرام حفـاة لا يرتديـن سـوى الثيـاب المتهرئـة الممزقـة؛ أما مصيـر البقيّـة فقـد كان الاعـدام بما في ذلـك الطفليـن وسـام وأميـر وكان وسـام في الثامنـة مـن العمـر أمّـا أميـر فقـد كان فـي العاشـرة!!!

ومـن بيـن المعتقليـن شـقيقة سـمير «سـعديّة نـور علـي» اعتقلـت مـع زوجهـا «أحمـد شـكر رحيـم» وكان الأوغاد قـد اقتحمـوا الـدار بعـد منتصـف الليـل وبقي طـفلاهما «علاء» و«وسـن» وحـدهما خائفيـن إلى أن امتـدّت لـهما يـد أحـد الجيـران الا انّـه وبسـبب الرعـب قام بتسـليمها إلى دار الأيتـام حيـث تبنّـت احـدى الأسـر علاء فسـجل باسـم «علاء فـؤاد عبدالغنـي» فـيما سـجلت وسـن باسـم «وسـن ضيـاء هاشـم» وبعـد سـنوات طويلـة أمضتهـا الأم «سـعديّة» رحّلـت إلى إيـران أما والـد الطفليـن فقـد كان مصيـره الاعـدام!

أمّـا الطـفلان فقـد كبـرا ولا يعلـم أحـدهما عـن الآخـر شـيئاً كما لا يعلـم أحـد عـن مصيـرهما شـيئاً.. وشـاء القـدر أن يلتقيـا بأمّـهما بعـد سـقوط النـمرود وذلـك بعـد ربع قـرن مـن الزمـن أمّـا شـقيقة الشـهيد «سـميرة نـور علـي» فقـد اعتقلـت مـع زوجهـا عبدالسـتّار وكانـت ابنتـهما الطفلـة علا فـي الثانيـة مـن العمـر وقـد بقيـت عنـد الجيـران، اعـدم زوجهـا «عبدالسـتار» وبقيـت فـي السـجن سـنين طويلـة ثـمّ رحلـت إلى ايـران وبعـد سـقوط الصنـم عادت الأم لتلقتـي مـع ابنتهـا الشـابّة بعـد ٢٤ سـنة مـن الفـراق.

أمّـا دار الحـاج نـور علـي فقـد صـودر ليصـبح «مديريّـة أمـن الثـورة» واسـتحال إلى جحيـم لتعذيـب النسـوة والفتيـات وانتـزاع الاعتـرافات فـي جـولات التعذيـب الهجمـي، وهكـذا اسـتحال ذلـك البيـت الدافـئ فـي شـرق القنـاة الـذي كان يزخـر بضـحكات الاطفـال الأبريـاء إلى وكـر لذئـاب حـزب البعـث المجـرم!!

صحيح أنّ المعركة غير متكافئة.. وأنّه لا يمكن اسقاط نظام مدجج بكل أسلحة الدمار ووسائل البطش.. إلّا أنّه لا يمكن الخضوع له والاستسلام لمشاريعه في مسخ الهويّة..

لقد هوى سمير في أرض المعركة مضمخاً بدماء العزّة والكرامة والشرف وكانت عمليّته البطوليّة زلزالاً هزّ أركان النظام البعثي المجرم..

ظهر صدّام بوجهه الكالح يتوعّد ويهدّد بالانتقام للدماء التي سالت:

– والله! والله! والله! إن هذه الدماء التي جرت على أرض المستنصريّة لن تذهب سدى!

وأثناء زيارته للجرحى قالت له احدى الجريحات:

– سيّدي سفّر الايرانيين!

فقال:

– نعم! سنفعل ذلك!!

ومن أدراها ان منفّذ العمليّة من أصل ايراني؟!!

ولم تمض سوى ساعات معدودة فقط حتّى شنّت أجهزة البعث المجرم حملة رهيبة لتهجير ذوي الأصول الايرانيّة وشملت الحملة العراقيين الذين يحملون شهادات الجنسيّة العراقيّة!!

ورافقت الحملة موجات اعتقال واسعة للشباب المؤمنين ممّن تشمّ فيهم رائحة الولاء للسيّد محمّد باقر الصدر..

وصل عدد المسفّرين إلى أكثر من ١٣٢٠٠٠ مواطن وسادت أجواء من الرعب وظهر صدام وحشاً مصاصاً للدماء!

تلقى عبدالأمير عبر بعض معارفة في منظمات حزب البعث اخباراً

مقلقة حول نيّة سلطات البعث في اعدام السيّد محمّد باقر الصدر..

وكانت الأخبار القادمة من النجف حول محنة السيّد الصدر في بيته المحاصر لا تبشّر بخير!

**السبت ٥ نيسان ١٩٨٠**

في وقت متأخّر من الليل تلقى عبدالأمير خبر اعتقال السيّد الصدر في حدود الساعة الثالثة بعد الظهر!

وفي يوم الاثنين ٧ نيسان أذاع راديو لندن «هيئة الاذاعة البريطانيّة» النبأ العظيم: «مصرع الإمام محمّد باقر الصدر في القصر الجمهوري ببغداد»!

وفي عصر يوم الثلاثاء بدت الأجواء مشحونة بحالة من التوتر.. وشيئاً فشيئاً سادت صفرة كثيفة اشتدّت لتتحوّل إلى حمرة مخيفة.. والغبار يغمر الأرض دونما رياح!! حتّى تعذّرت الرؤية لأبعد من أربعة أمتار.. وساد الوجوم والخوف الوجود.. وأدّى البعض صلاة الآيات.. وتساءل رجل بصوت يشوبه الحزن والقلق:

– أتراهم قتلوا سيّداً؟!!

**النجف مساء الأربعاء ٩ نيسان ١٩٨٠**

الساعة تشير إلى ما بعد التاسعة مساءً وقد تكاثف الغبار على نحو مخيف وهبّت رياح سوداء.. ولاحظ القادمون إلى النجف مئات السيّارات الأمنيّة تطوق المدينة التي غرقت في ظلام دامس حتّى مطلع السحر!

وتحوّلت بعض أحياء المدينة إلى مسرح لتحرّكات مريبة وشهدت مقبرة وادي السلام هي الأخرى حركة غير عادية لسيارات غير عادية!!

**دمشق ١٠ نيسان ١٩٨٠**

تظاهـر عشـرات العراقييـن أمام مبـنى سـفارة نظـام صـدام فـي دمشـق احتجاجـاً عـلى اعتقـال السـلطات الإمام محمّـد باقـر الصـدر ورفـع المتظـاهرون لافتـات تديـن اعتقـال السـيّد الصـدر وتهتـف بالمـوت للعميـل صـدام التكريتـي ووزع المتظـاهرون مناشـير تطالـب بالافـراج عـن الإمام فـوراً.. ولـم تتدخـل القـوات الامنيّـة لمنـع التظاهـرة.

وفـي بـيروت عقـد مجلـس قيـادة حركـة أمـل (أفـواج المقاومـة اللبنانيّـة) اجـتماعاً بعـد الظهـر وصـدر عـن المجلـس بيـان جـاء فيـه:

«يسـتنكر المجلـس أشـدّ الاسـتنكار اعتقـال آيـة الله السـيّد محمّـد باقـر الصـدر والتعـرّض للعـلماء والمؤمنيـن ويـرى فـي ذلـك سـابقة وتماديـاً خطريـن لا يمكـن السـكوت عنـهما.. وسـيتابع مجلـس قيـادة حركـة أمـل «تطـورات الموقـف» وشـهدت الضاحيـة الجنوبيّـة مـن العاصمـة بـيروت اضراباً لمـدّة سـاعتين مـن السـاعة الثامنـة إلى العاشـرة اسـتنكاراً لاعتقـال آيـة الله السـيّد محمّـد باقـر الصـدر وقـد اقفلـت المـدارس والمتاجـر والمـجلات فـي برج البراجنـة والغبيـري وحـي السـلم والسـيّاح والأوزاعـي.. وطافـت الأحيـاء سـيّارات تحمـل مكبّـرات للصـوت كانـت تدعـو إلى الاضـراب وتطالـب بالافـراج عـن السـيّد الصـدر وتنـدّد باعتقالـه.

**طهران ١٤ نيسان ١٩٨٠**

نشـرت جريـدة «جمهـوري اسلامـي» والتـي كانـت قـد أجـرت حـواراً مـع السـيّد الصـدر بتـاريخ ٣٠ حزيـران ١٩٧٩ مـن خلال مراسـلها السـيّد محمّـد حسـين الهاشـمي وأثـارت المكالمـة الهاتفيّـة حنـق نظـام البعـث الصدامـي..

وهاهـي الان تنشـر عـلى صفحاتهـا النبـأ العظيـم حـول مقتـل السـيّد الصـدر ومصـدر الخبـر عـن رجليـن مـن الامارات كانـا قـد قصـدا النجـف والتقيـا أحـد أقارب السـيّد الصـدر الـذي تـولّى دفنـه.

**الكويت ١٤ نيسان ١٩٨٠**

نشرت صحيفة القبس خبر مقتل السيّد الصدر تحت عنوان «اعدام آية اللهباقر الصدر» وجاء فيه:

«علمت القبس من مصادر مطلعة أنّ آية الله محمّد باقر الصدر أعدم قبل أيّام في بغداد.. وكان مجلس قيادة الثورة العراقي قد أصدر قراراً يقضي بانزال عقوبة الاعدام على كلّ من انتمى لحزب الدعوة أو روّج لأفكاره أو سهّل مهمّته.. ولم تذكر المصادر ما إذا كانت شقيقة آية الله الصدر قد أعدمت أيضاً.. وكانت القبس قد استفسرت أمس عن أنباء متضاربة مصدرها طهران حول مصير آية الله الصدر فقد ذكرت صحيفة «انقلاب اسلامي» الايرانيّة والناطقة باسم أبو الحسن بني صدر أنّ آية الله اغتيل مع شقيقته في بغداد يوم الأربعاء الماضي ونشرت صحيفة السياسة في نفس اليوم خبر اغتيال السيّد الصدر تحت عنوان: «أنباء متضاربة عن اغتيال الزعيم الديني في العراق».. وجاء في سياق الخبر: «إنّ الدوائر وثيقة الصلة بالامام الخميني ذكرت أنّ آية الله السيّد محمّد باقر الصدر الزعيم الديني قد يكون على قيد الحياة ومحتجزاً في أحد سجون بغداد منذ يوم الأحد الماضي.. وكان الزعماء الدينيّون الايرانيّون قد أعربوا منذ عدّة أيّام عن قلقهم تجاه مصير آية الله باقر الصدر.

**بيروت ١٥ نيسان ١٩٨٠**

نشرت جريدة «صوت الشغيلة» اللبنانيّة مقالاً تحت عنوان:

- «النظام العراقي يرتكب جريمة نكراء».
- «اليوم إضراب عام وتظاهرات في لبنان استنكاراً للجريمة وتحت العنوان الأخير جاء ما يلي:

«أيّة جريمة بربريّة ونذلة يرتكبها نظام الاجرام في العراق؟! أية

هستيريا يعيشها هذا النظام وهو يتلذذ بالدم والقتل؟!

أي حقد دفين أسود يحمله هذا النظام على الانسان والحياة؟!

يؤكّد هذا النظام بجريمته الجديدة ومع سبق الاصرار والتصميم أنّه يتفوق على أسلافه المجرمين الفاشيين أمثال هولاكو وهتر وموسوليني والصهاينة.. واليوم يخرج شعبنا اللبناني.. يخرج كلّ الوطنيين والشرفاء لاستنكار الجريمة واعلان غضبتهم العارمة على حكّام بغداد المجرمين..

اليوم يعبّر اللبنانيّون والعرب الشرفاء عن تضامنهم مع شعبنا العراقي الثائر وهو يواجه المحنة بصمود وتحدٍّ باسلين.. واليوم سيكون الخيار والحدّ الفاصل بين الأسود والأبيض.. من مع نظام القتل والدم والاجرام الحاكم في العراق ومن مع الشعب العراقي وقواة الوطنيّة المناضلة.. اليوم يتحطّم الصمت والتحالف المشبوه مع حكم بيغن العراق..

لقد سقطت أوراق التوت وافتضحت عورات حكام العراق دون اقنعة ومساحيق.. أعداء الحريّة والانسان.. أعداء الثورتين الايرانيّة والفلسطينيّة.. لقد دقّت ساعة الفرز ودقت ساعة النضال لاسقاط حكم الدم والعمالة.. والويل لطغمة القتل الفاشية.. الويل لرأسها صدام.. ولن يكون مصيرهم بأحسن من مصير أسلافهم الخونة.. وإن غداً لناظره قريب».

**بيروت ١٨ نيسان ١٩٨٠**

السيّدة رباب الصدر شقيقة الإمام المغيب موسى الصدر شقيقة زوجة السيّد محمّد باقر الصدر تصدر بياناً باسم عائلة الصدر جاء فيه:

«في المسار الحسيني الصامد وفي الموكب المهيب لشهداء الثورة الإسلاميّة في العراق تقدّم آية الله العظمى السيّد محمّد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى فنالا شرف الشهادة وفي عرس الشهادة هذا نقسم يوم المبايعة للدم الثائر على الظلم ليتقدّم فيه كلّ من استعدّ ليبذل الله

مهجتـه..»

**طهران ٢٢ نيسان ١٩٨٠**

اذاع القسـم العربـي فـي راديـو طهـران نـص بيـان الإمام الخمينـي بعـد التأكّـد مـن خبـر استشـهاد السـيّد الصـدر وشـقيقته:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّـا الله وإنّـا إليـه راجعـون.. تبيّـن ببالـغ الأسـف مـن خلال تقريـر السـيّد وزيـر الشـؤون الخارجيّـة والـذي تـمّ التوصّـل إليـه عـن طريـق مصـادر متعـدّدة وجهـات مختصّـة فـي الـدول الإسلاميّـة وحسـب ما ذكرتـه التقاريـر الـواردة مـن مصـادر أخـرى.. أنّ المرحـوم آيـة الله الشـهيد السـيّد محمّـد باقـر الصـدر وشـقيقته المكرّمـة المظلومـة والتـي كانـت مـن أسـاتذة العلـم والأخلاق ومفاخـر العلـم والأدب قـد نـالا درجـة الشـهادة الرفيعـة عـلى أيـدي النظـام البعثـي العراقـي المنحـط وذلـك بصـورة مفجعـة!

فالشـهادة تـراث نالـه أمثـال هـذه الشـخصيّات العظيمـة مـن أوليائهـم.. والجريمـة والظلـم تـراث نالـه أمثـال هـؤلاء.. جنـاة التـاريخ مـن أسلافهـم الظلمـة..

فلا عجـب لشـهادة هـؤلاء العـظماء الذيـن أمضـوا عمـراً مـن الجهـاد فـي سـبيل الأهـداف الإسلاميّـة عـلى أيـدي أشـخاص جنـاة قضـوا حياتهـم بامتصـاص الـدماء والظلـم.. وإنّما العجـب هـو أن يمـوت مجاهـدو طريـق الحـق فـي الفـراش دون أن يلطـخ الجنـاة أيديهـم الخبيثـة بدمائهـم..

ولا عجـب أن ينـال الشـهادة المرحـوم الصـدر وشـقيقته المظلومـة.. وإنّما العجـب أن تمـرّ الشـعوب الإسلاميّـة وخاصّـة الشـعب العراقـي النبيـل وعشـائر دجلـة والفـرات وشـباب الجامعـات الغيـارى وغيرهـم مـن الشـبّان الأعـزّاء فـي العـراق عـلى هـذه المصيبـة الكبـرى التـي تحـلّ بـالاسلام وأهـل بيـت رسـول

الله صلىاللهعليه وآله دون أن تأبه لذلك.. وتفسح المجال لحزب البعث اللعين لكي يقتل مفاخرهم ظلماً الواحد تلو الآخر..

والأعجب من ذلك هو أن يكون الجيش العراقي وسائر القوى النظاميّة آلة بأيدي هؤلاء المجرمين يساعدونهم على هدم الإسلام والقرآن الكريم..

إنّني يائس من كبار القادة العسكريين.. ولكنّني لست يائساً من الضبّاط وذوي المراتب والجنود وما أتوخّاه منهم هو؛ إمّا أن يثوروا أبطالاً وينقضّوا على أساس الظلم كما حدث في ايران وإمّا أن يضعوا أيديهم بأيدي الشعب العراقي وأن يزيلوا هذا العار عن بلاد العراق..

أرجوه تعالى أن يطوي بساط ظلم هؤلاء الجناة.. وها أنا أعلن الحداد العام لمدّة ثلاثة أيّام اعتباراً من يوم الأربعاء الثالث من شهر (اردیبهشت) (الثالث والعشرين من نيسان) كما أعلن يوم الخميس عطلة عامّة.. وذلك تكريماً لهذه الشخصيّة العلميّة ولهذا المجاهد الذي كان من مفاخر الحوزات العلميّة ومن مراجع الدين ومفكّري المسلمين.

أرجو الخالق تعالى أن يعوضنا عن هذه الخسارة الكبرى والعظيمة على الإسلام والمسلمين..

والسلام على عباد الله الصالحين..

روح الله الموسوي الخميني

## برقيّة موجّهة إلى صدام

وفـي خضـمّ بيانـات العـزاء والاسـتنكار والتأبيـن أبـرق السـيّد عبـدالله الشـيرازي إلـي طاغيـة العـراق:

«بغداد - صدام حسين المدّعي لرئاسة الجمهوريّة العراقيّة.

أهنّئـك قبـل كلّ شـيء لدخولـك وخلـودك فـي العـذاب الأليـم عـلى الجرائـم العظيمـة التـي قامـت بهـا حكومـة البعـث مـن إزالـة الشـعائر الدينيّـه وقتـل آلاف الأبريـاء وتشريـد العـلماء والمحقّقيـن واخلاء الحـوزات العلميّـة لاسيّما الحـوزة العلميّـة فـي النجـف الأشـرف فـي حيـن كان العـراق فـي جميـع العصـور مهـداً للعلـم ومدينـة فاضلـة مكتظـة بالعـلماء والفـضلاء.

لقـد حـذّرت الزمـرة الحاكمـة فـي العـراق مـن مغبّـة هـذه الخطـوات الاجراميّـة ونهيناكـم عـن الـتمادي فـي الغـيّ فلـم تسـتجيبوا بـل ارتكبتـم ما هو أمـرّ وأدهى حيـث شـرّدتم عشـرات الألـوف مـن الرجـال والنسـاء عـن أوطانهـم مـن دون ذنـب وابتززتـم أموالهـم مـن دون مـبرر شـرعي ولا قانونـي..

وأفجـع الجرائـم البشـعة هـو قتـل آيـة الله السـيّد محمّـد باقـر الصـدر تلـك الشـخصيّة الإسلاميّـة العظيمـة التـي تعتبـر مـن مفاخـر العالـم الإسلامـي وكذلـك قتـل شـقيقته تلـك المـرأة المؤمنـة الفاضلـة.

فسجّلك التاريخ بذلك أشقى من يزيد بن معاوية وابن زياد.. لأنّهما ما قتلا زينب بنت علي عليهما السلام مع أنّ موقفها في قبالهما كان أشدّ من مواقف هذه المرأة المؤمنة الفاضلة في قبالك وقبال زمرتك..»

**بيروت ٢٤ نيسان ١٩٨٠**

في مساء يوم الخميس ٢٤ نيسان اصدرت حركة أمل (أفواج المقاومة اللبنانيّة) بياناً جاء فيه:

– «إن اغتيال آية الله السيّد محمّد باقر الصدر وشقيقته المجاهدة بنت الهدى بصورة غامضة وسريعة على أيدي حكّام العراق جريمة شنعاء تذكّرنا بقتل الأنبياء والصالحين.. وهي واحدة من سلسلة من الجرائم والاغتيالات والمحاكمات الصوريّة التي غالباً ما تأتي بعد تنفيذ الأحكام..

إن ما يجري في العراق حيث يضطهد الانسان وتمتهن حقوقه وتعطّل حريّته كلّها أمور تعني الانسان أي انسان كان وفي أي مكان وزمان ولا يؤخذن بالقول إنّه شأن عراقي لا علاقة لنا به لاسيّما وأنّ آية الله السيّد محمّد باقر الصدر هو أحد كبار مراجع ومفكري المسلمين في العالم.

إنّنا نهيب بالشرفاء والأحرار أن يقولوا كلمتهم مدويّة في هذه الجريمة النكراء لأنّ السكوت على ذلك يزيد الضالين ضلالاً..

والحركة إذ تؤكّد انّها لن تتوانى عن مساندة الحق في مواجهة الباطل في كلّ مكان.. تطالب جماهيرنا بالالتزام باعلان الحداد خلال الأيام الثلاثة والالتزام بمضمون بيان المجلس الشيعي الأعلى والتخلّي عن كلّ تصرّف يضرّ بالوطن والأمّة والمبادئ».

**بيروت ٢٥ نيسان ١٩٨٠**

نشرت صحيفة أمل الأسبوعيّة مقالاً تحت عنوان: «زنيم بغداد»:

صدام التكريتي يغتال الإمام السيّد محمّد باقر الصدر وشقيقته المجاهدة بنت الهدى..

والمقال عبارة عن رسالة موجّهة إلى الإمام موسى الصدر المغيب منذ أكثر عام ونصف:

«إلى القائد العام الإمام موسى الصدر من مجاهد في مسيرة «أمل» سيّدي! لقد فعلها حفيد أبي جهل «زنيم بغداد» وتجرّأ على قتل أخيك وابن عمّك أبي جعفر السيّد باقر.. قتله صدّام لأنّه أنكر ربوبيّته وعلّم الناس أن يقولوا ربّنا الله..

أعدمه لأنّ فكره بدأ يهزّ أركان الكفر ويبدّد أحلام صهيون.. ولأنّه بارك الثورة الإسلاميّة المنطلقة من ايران وأيّد قائدها الإمام الخميني في نهجه وحربه مع الاستعمار وإسرائيل..

لقد نفّذ أوامر سادته في واشنطن وتلّ أبيب ضمن خطتهم لضرب الثورة الإسلاميّة فكرياً وعقائدياً مع ضربها سياسيّاً واقتصاديّاً.

سيّدي! وهذا أمر له في التاريخ مثيل فكثيراً ما أُعتدي على الأنبياء ولطالما قتل الأئمّة والصالحون.. لكن زنيم بغداد قتل أيضاً بنت الهدى؛ فأتى بما لم يأت به يزيد وسجل الرقم القياسي الأعلى في الجهالة والقذارة والسفالة..

سيّدي أخفوك ليشلّوا حركة الإنسانيّة ويسكتوا صوت الحقيقة والمبادىء وقتلوا أبا جعفر وبنت الهدى ثأراً لصهيون من العروبة والإسلام.. وهم يحاربون الثورة الإسلاميّة وقائدها انتصاراً للاستعمار والشاه..

**البحرين ٢٥ نيسان ١٩٨٠**

في البحرين نظم مئات الأشخاص مسيرة حداد واحتجاج على مقتل الزعيم الديني العراقي آية الله السيّد محمّد باقر الصدر وكان المتظاهرون قد أطلقوا شعارات تندّد بصدام ورفع المتظاهرون لافتات كتب عليها انّ باقر الصدر شهيد قتلته حكومة العراق البعثيّة..

وقامت ما يسمى بشرطة قمع الشغب باطلاق الغازات المسيلة للدموع لتفريق أكثر من سبعمئة متظاهر..

كما قامت الشرطة بأعمال الدورية في بعض المناطق الشيعيّة البحرينيّة وعززت الحراسة على مباني الحكومة وأغلقت مئات الحوانيت أبوابها بعد استخدام الشرطة للغاز المسيل للدموع.

**الكاظميّة شمال بغداد الخميس ٢٧ نيسان ١٩٨٠**

اندلعت تظاهرة غاضبة في مدينة الكاظميّة مسقط رأس الشهيدين واشتبك المتظاهرون المسلّحون بالعصي والسكاكين مع عناصر أمن واستخبارات النظام المجرم وذلك بالقرب من صحن الإمام الكاظم عليه السلام واستخدم أزلام البعث الرصاص الحيّ فسقط العديد من الجرحى ومع فقدان التكافؤ بين الجانبين الّا ان المتظاهرين تمكّنوا من قتل ثمانية من عناصر عملاء النظام العميل للدوائر الاستعماريّة..

**البصرة ٢٨ نيسان ١٩٨٠**

حامية - عسكريّة في مدينة البصرة تمت محاصرتها اثر تمرّدها ورفضها الانصياع للأوامر الصادرة من القيادة العسكريّة العليا في استبدال لوحة تمييز الطائرات الاسرائيليّة بأخرى تشير إلى الطائرات الايرانيّة ما يعني ان نظام العفالقة في بغداد يعتبر ايران السيد الخميني هي العدو وليس الكيان الصهيوني الغاصب!!

وبقيت الحامية العسكريّة تقاوم على مدى أيّام إلى ان نفدت الذخيرة..

**بيروت ٣٠ نيسان ١٩٨٠**

تعرض مبنى سفارة نظام البعث المجرم في بيروت إلى قصف من قبل شباب الاسلام ثأراً للسيّد الشهيد وشقيقته وفي ١٥ ماريس تمت تصفية ضابط المخابرات البعثي أحمد حسين أحمد وفي ١٨ مايس وبمناسبة أربعين الشهيدين تمّ تفجير شركة النقل البرّي الذي تتّخذه المخابرات الصدامية وكراً لها.

**روما ٤ حزيران ١٩٨٠**

شنّ شباب العراق الأبطال هجوماً جريئاً على سفارة النظام الصدامي في روما وقتل عدد من رجال مخابرات البعث المجرم واستشهد في هذه العمليّة البطوليّة مظفّر بكر.

**بيروت ٩ حزيران ١٩٨٠**

هاجم شباب العراق الأبطال عدداً من عناصر المخابرات الداميّة في بيروت وفي ٢٨ تموز تمكن شباب الاسلام الغيارى من تصفية العميل البعثي موسى شعيب عضو القيادة القطريّة ومعه ثلاثة من عناصر مخابرات النظام المجرم.

**نيودلهي ٢٤ نيسان ١٩٨٠**

أقام المسلمون مجلس عزاء على روح السيّدالشهيد وشقيقته وتلقّت سفارة نظام صدام زهاء خمسين ألف برقيّة استنكار لجريمة نظام العفالقة في بغداد.

كتبت صحيفة «Lematin» (الصباح) الفرنسيّة:

«صدام ارتكب باعدام آية الله محمّد باقر الصدر خطأ سياسيّاً كبيراً

أدّى إلى دفع الشيعة العراقيين لمناهضة النظام بنحو حتمي».

كتب المفكّر المصري زكي نجيب محمود في صحيفة الاهرام: إنّ اعدام مفكّر ساهم في تنمية العقل العربي الاسلامي تثير لدينا مشاعر التقزّز والاشمئزاز؛ فالدول المتقدّمة تكرم أفذاذها، أما العراق فيعدم مفكّريه».

المفكّرة المصريّة صافي ناز كاظم: وكان قتل الإمام الصدر يعني انّه لم يعد هناك حياء.. ولم تعد هناك حدود.. ولم يعد هناك معقول ولا معقول.. ولم يعد هناك ما تتوقعه وما لا تتوقعه.. كلّ حرمات الشعب العراقي مستباحة ومهتوكة تحت سنابك حصان الغازي صدام».

يوميات بغداد ص٣٢

## في أحد أسواق العاصمة بيروت

شاهد أحد اللبنانيّين السيّد هاشم معروف الحسني وقد احمرّت عيناه من الحزن والأسى والبكاء فقال له:

– سيّدي المفروض بكم أن تعلموا الناس الصبر على المصيبة.

فأجاب السيّد المفجوع:

– هذا صحيح.. ولكنّ الخسارة فادحة.. نحن لم نفقد عالماً فحسب بل فقدنا مرجعاً ومفكّراً وقائداً[1].

١. كلّ ما ورد في هذا الفصل اقتباس من الكتاب القيّم السيرة والمسيرة ج٤ ص٣٠١ - ٣٣١.

**نداءات ما بعد الرحيل**

في مطلع شهر مايس آيار ١٩٨٠ وقد مرّت ثلاثة أسابيع على استشهاد السيّد الصدر وشقيقته تحوّلت مدينة البصرة في الليالي إلي مسرح لعمليّات بطوليّة ألجأت عناصر أمن النظام وعناصر الجيش الشعبي سيء الصيت إلى الاختباء في أوكارهم وجحورهم واستحالوا إلى جرذان مذعورة!!

وفي احدى الليالي وقد خيّم الحزن على الشرفاء فوجىء الكثيرون باذاعة طهران تبث نداءات السيّد الشهيد الصدر بعد أن تمّ تهريب أشرطة الكاسيت إلى ايران وتبيّن أنّ السيّد الشهيد المحاصر منذ شهور طويلة قد قام في أخريات رجب وشهر شعبان بتسجيل ثلاثة نداءات موجّهة إلى الشعب العراقي..

عبدالأمير وسميرة كانا يصغيان إلى كلمات السيّد الشهيد المنقوعة بالحزن والألم والمرارة خاصّة عندما يقول:

– «وإنّي في الوقت الذي أدرك فيه عمق هذه المحنة التي تمرّ بك يا شعبي! يا شعب آبائي وأجدادي.. أؤمن بأنّ استشهاد هؤلاء العلماء واستشهاد خيرة شبابك الطاهرين وأبنائك الغيارى تحت

سياط العفالقة.. لن يزيدك إلّا صموداً وتصميماً على المضيّ في هذا الطريق حتّى الشهادة أو النصر..

وأنا أعلن لكم يا أبنائي أني قد صممت على الشهادة ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي.. وإنّ أبواب الجنّة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتّى يكتب الله لكم النصر..

لقد مرّت شهور عشرة على تسجيل هذه النداءات إلّا انّها ما تزال في عنفوان حرارتها.. تلهب وجدان الغيارى والأحرار من شباب العراق.. لتتحرّك قوافل الشهداء وتنطلق قوافل الأحرار نحو الشهادة أو النصر..

عبدالأمير يراقب بحزن شمعتين كانت أم أيمان قدأشعلتهما رمزاً لرحيل الشهيدين العظيمين..

السيّد محمّد باقر الصدر يتقدّم إلى محراب الشهادة ليكون رمزاً للرجال والشباب والشهيدة بنت الهدى تسانده وتقف إلى جانبه لتكون رمزاً للنساء والفتيات..

كلماته أصداء لكلمات جدّه الحسين في ليلة عاشوراء:

– «وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها.. ولم يبق منها إلّا كصبابة الاناء.. وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل.. ليرغب المؤمن في لقاء الله.. فانّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما..

أجل يا سيّدي الصدر.. هذا زمن البعث.. هذا زمن يصلب الأنبياء.. هذا زمن البعثيين الأوغاد الجبناء.. وصدق الله عزّ وجلّ حيث يقول: «وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً من المجرمين».

صعلوك مأبون يتحكّم بمصير البلاد والعباد يقتل الأحرار رجالاً

ونساءً.. هذا زمن البعث.. الشرطي الأوّل فيه لا يتورّع حتّى عن أكل رؤوس الأطفال!!

أجل يا سيّدي لقد فقدت الحياة طعمها ومعناها في ظلّ العفالقة.. لأنّ الحياة من دون كرامة ومن دون حرية ليست حياة إنسانيّة.. بل هي أدنى من الحياة الحيوانيّة.. من أجل ذلك أطلقها صرخة مدوية:

– ما هي الدنيا؟!!

مجموعة من الأوهام!!

لكن دنيانا أكثر وهماً من دنيا الآخرين!

**البصرة ٢٥ نيسان ١٩٨٠**

فجّر «النبأ العظيم» براكين الغضب المتأججة تحت رماد الصبر العميق وكان لنداءات السيّد الشهيد التي بثت بعد الرحيل الدامي أثرها الكبير حيث اندمجت مع اعلان الإمام الخميني الحداد العام ثلاثة أيّام واعلان يوم الخميس عطلة رسميّة.. وظهرت مدينة البصرة في عنفوانها الثوري واجتاحت رجالها وشبابها وحتّى فتيانها موجة عارمة من العواطف المتأجّجة فهي على فوهة بركان يوشك على الانفجار العظيم..

الجنوب يرنو إلى هذه المدينة الباسلة فيما كان أهالي بغداد وشمال بغداد يتطلّعون إلى شباب «مدينة الثورة» شرق العاصمة..

على امتداد الطريق بين «المعقل» ومركز مدينة البصرة خط ساخن والتحضير لتظاهرة كبرى يجري على قدم وساق وكان الشباب الذي يناهز العشرين في ذروة العنفوان والحماس الثوري الذي أثار هواجس الكثيرين وكان بعضهم يحذّر من هكذا تحرّك عاطفي.. ويتوجسون خيفة

مـن انتفاضـة «حلفائيّـة»[١].

وكان الشـباب المتحمّـس للثـورة يتـابع باسـتمرار إذاعـة طهـران صـوت الثـورة الإسلاميّـة خاصّـة بعـد الضربـة القاصمـة التـي وجّههـا نظـام البعـث للحركـة الإسلاميّـة وتقطّـع خيـوط التنظيـم الـذي تحـوّل إلـى مجمـوعات وخلايـا شـبه مسـتقلّة تعمـل ذاتيـاً فهـي تخطّـط وتنفـذ.. وكان معظـم نشـاطها مكشـوفاً أومختـرقاً مـن قبـل اسـتخبارات النظـام وأجهزتـه الأمنيّـة..

بـدأ التحضيـر لمظاهـرة كبـرى تـقرّر انطلاقهـا فـي يـوم الجمعـة الثالـث مـن مايـس وسـتكون بنايـة اعداديّـة الوحـدة فـي الطويسـة حيـث يقـع المسـجد الـذي يصلّـي فيـه وكيـل السـيّد الشـهيد الصـدر السـيّد عصـام بـن السـيّد شـبّر..

عجيـب أمـر هـذا الجيـل مـن الشـباب فـي هـذه الفتـرة العصيبـة.. بعضهـم دون الثامنـة عشـرة ويفكّـر فـي أمـور كبـرى يفكـر بالثـورة والـخلاص مـن براثـن نظـام دمـوي همجـي لا يرحـم مـن لا يقـف إلى جانبـه ويصفـق لـه فما بالـك بمـن يعارضـه وينتفـض ضـده!!

فـي تلـك الأمسـية آخريـات نيسـان جـاء صـوت الشـاعر العراقـي المهاجـر قويـاً جهوريـاً مـن طهـران صـوت الثـورة الإسلاميّـة فـي إيـران!

– ثلاث مرّات سقطت بغداد تحت الاحتلال الهمجي..

فمرّة حين غزا ترابها المغول..

ومرّتين حينما جاء للحكم بها النغول..

ومرّة رابعة ذاك يسمّى المستحيل..

---

١. إشـارة إلى نبـات «الحلفـاء» المـعروف بسـرعة اشـتعاله وتأججـه إلّا أنّـه سـرعان ما تخمـد نيرانـه!!

علّق عبدالأمير قائلاً:

– صحيح والله هؤلاء نغول وهم أسوأ من المغول.. بيّضوا وجه المغول..

وقد لاحظ الكثيرون منذ عام ١٩٦٨ وما تلاها من الأعوام أن نظام البعث كان يرعى الساقطين أخلاقيّاً فكانوا يرتقون سلّم المواقع الحزبيّة ويصبحون هم السادة في مجتمع عريق..

وقد أطلقها زفرة الأستاذ والشاعر أحمد عباس المياح في إحدى المناسبات الكبرى وهي الثالث عشر من رجب ذكرى ميلاد الإمام عليّ عليه السلام:

أليس من نكد الدنيا وغرّتها

أن يحكم البغي فينا سادة الأمم

وكان في الأصل بدل «البغي» كلمة «البعث» لكن أصدقاءه رجوه أن لا يقرأها.. خاصّة وأن سياق القصيدة يؤكّد أن قصد الشاعر هو «البعث» وأنّ الحضور من النباهة بحيث يعرف مراد الشاعر من «البغي» انّه حزب البعث الباغي و«البغي» وهو «البغيّ» الذي أقدم على ارتكاب جريمة قتل سيّد عظيم من ذريّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن هوان الدنيا أن يهدى رأس النبي يحيى إلى «بغي» من بغايا بني إسرائيل.. لقد اهدي رأس النبي إلى «سالومي» إحدى البغايا..

واليوم يتحكّم بمصير العراق «ابن بغي» ويحكم النغول هذا البلد العريق..

«البعثي» كائن غريب الأطوار!! كائن يختزن في أعماقه غابة تضجّ بعربدة الغرائز.. فهو ذئب كاسر في دمويته وخنزير قذر في شهواته

وثعلب في مكره وفي أعماقه جرذ مذعور في جبنه.. ليس فيه من الآدميّة إلّا الشكل فقط انّه في حقيقته «دراكولا» مصاصاً للدماء.. وهو «أبو طبر» الذي لا يتورّع حتّى عن أكل رؤوس الأطفال!!

انّه يشبه الانسان لكن ليس فيه من الانسانيّة شيء أبداً!

ولقد كتب على جيل الشباب الحرّ من الذين ولدوا في الخمسينات والستّينات أن يواجهوا البعث المجرم المدجج بأسلحة الدمار وآلات التعذيب ووسائل البطش..

أجل في هكذا ظروف قاسية نهض جيل من شباب البصرة ورجالها الأشدّاء للمواجهة وخوض الملحمة..

إذا اقتربت من بيوت المعقل فستجد شباباً في العشرين وفتيان دون العشرين يحملون أرواحهم على الأكفّ ويستعدون لخوض معركة المصير!

«بشير» الفتى له من العمر ١٩ سنة شقيق «سميرة» يتواصل مع صديقه الأصغر منه سنّاً ويضاهيه نضجاً «عادل» بربيعه السابع عشر ويفكّران بخوض الملحمة..

عادل يتلقّى تعليمات حول الاستعداد للمظاهرة الكبرى التي ستنطلق في يوم الجمعة القادم ٣ مايس ١٩٨٠ بعد الصلاة.. المكان مسجد سيد عصام شبر في «الطويسة» كان ذلك في ٢٥ نيسان.. عادل يبلغ الكثيرين حول موعد المظاهرة.. بما في ذلك «بشير» وفي اليوم التالي اختفى بشير!!

وفي يوم الثلاثاء ٢٩نيسان تعرّض «عادل» للاعتقال.. وسيق إلى «أمن المعقل» ليجد بشير أمامه ويجد عدداً آخر من شباب لا يعرفهم!

وظهـر ان بشـير اعتـرف عـلى كثيريـن مـن أصدقائـه ورفاقـه ومعارفـه.. بما فـي ذلـك عادل..

اختفى بشير ولم يعرف له أثر!..

وتلقّـت أسـرته الخبـر الأليـم بصبـر يراودهـم أمـل بالعثـور عليـه فـي معتقـل ما فـي هـذا السـجن الكبيـر..

أمّـا عادل فقـد مكـث فـي المعتقـل ثلاثيـن ليلـة! ليعـود بعدهـا إلى أهلـه وإلى عمّـه ومربيّـه أحمـد الـذي تعلّـق بـه مـذ كان طـفلاً غريـراً فـي الخامسـة مـن العمـر!

شـنّت أجهـزة البعـث المجـرم حـملات اعتقـال واسـعة النطـاق شـملت جمـيع أرجـاء العـراق..

وتلقّـت الحركـة الإسلاميّـة ضربـة قاصمـة اضطـرت العديـد مـن كوادرهـا إلى الـهروب خـارج الوطـن والحفـاظ عـلى وجودهـا والتقـاط الأنفـاس..

وكان نظـام البعـث يحصـل عـلى مزيـد مـن الدعـم «العربـي» والدعـم «الغربـي» الأوربـي والامريكـي وحـتّى «السـوفيتي» وتوحـد العالـم مـن أجـل الاطاحـة بالنظـام الإسلامـي الـذي يتمـرّد عـلى الشـرق والغـرب ويرفـع شـعار: لا شـرقيّة.. لا غربيّـة.. جمهوريّـة إسلاميّـة!

**العدوان على السلام**

الحشود العسكريّة تتدفّق نحو الشرق وتتمركز في مناطق متاخمة للحدود مع إيران والدعاة الذين ترسّخت في ضمائرهم وصايا السيّد الشهيد الصدر أن ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام.. يحاولون المستحيل من أجل ايصال تقارير إلى المسؤولين في الجمهوريّة الإسلاميّة تحذّرهم من عدوان وشيك سوف يشنّه الطاغية الأرعن صدّام.. حتّى بعض الأطبّاء لاحظ تشكيل مستشفيات ميدانيّة بالقرب من المناطق الحدوديّة المتاخمة إلى إيران!

ويبدو أن إيران كانت تمرّ بمخاض جديد فقد برز تيار يحاول سرقة الثورة الإسلاميّة وركوب الأمواج باتّجاه آخر بعيد عن الأهداف الحقيقيّة لقائد الثورة الإسلاميّة ومؤسّس الجمهورة الإسلاميّة الإمام روح الله الموسوي الخميني.

حتّى أن أحدهم علّق على ما يلاحظه من مشاهد متناقضة قائلاً: أن إيران تمرّ بمرحلة «الثولة» فلا هي «ثورة» ولا هي «دولة».

ثمّ ظهر فيما بعد أن أعداء الثورة كانوا يعملون بخفاء وذكاء على إعادة التاريخ إلى الوراء.. فظهرت مؤسّسات ثقافيّة واعلاميّة تحت لافتات

مضلّلة كانت تسعى في التأثير في العمق الاجتماعي.. وقد وصل بها الأمر إلى انتاج العشرات من الكتب والمجلاّت وحتّى انتاج العديد من الأفلام لاحداث الانفصال بين الوجدان الاجتماعي وقيم الثورة الإسلاميّة وأهدافها الانسانيّة..

وكانت هذه المؤسّسات المشبوهة تموّل من الخارج ثمّ نجحت فيما بعد إلى الحصول على تخصيصات ماليّة من ميزانيّة الدولة!!

بدأ الاعلام البعثي يكثف هجومه على إيران ويتّهمها بتحريض الشعب العراقي ضد نظام البعث؛ والذي يتغافل عن الحقيقة وهي ان الانسان الحر في العراق يفكّر بطريقة عابرة للحدود وانه يتسامى فوق كل الاعتبارات القوميّة والعرقيّة والعنصريّة.. لتتجلّى هذه الحقيقة وهي إن العقيدة هي الوطن الحقيقي وهذا ما تفسره «معركة بدر الكبرى» فقد اصطف المهاجرون من مكّة مع الأنصار في جبهة واحدة ضد قريش الوثنيّة.

في المدارس الابتدائيّة بدأ التثقيف على أن إيران هي عبارة عن فرس مجوس!! هكذا وبكلّ وقاحة يحاول رسم صورة مشوهة تماماً عن المجتمع الإيراني المسلم الذي انصهر في ولائه لأهل البيت عليهم السلام وكانت ثورته الإسلاميّة تتألّق بثقافة عاشوراء ونهضة سيّد الشهداء.

يدخل المعلّم إلى الصف.. ينهض التلاميذ:

- قيام!
- عاش القائد صدّام!
- جلوس!
- الموت للفرس المجوس!

بعثر الملايين لانتاج فلم القادسيّة من أجل اثارة النعرات العنصريّة.. وشيئاً فشيئاً انكشفت حقيقة حزب البعث العفلقي وبدا صدّام كما لو أنّه النمرود والاله الذي يحيي ويميت:

– آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالميشيل نبيّاً ما له ثاني!!

وميشيل اشارة إلى ميشيل عفلق الصليبي الماسوني مؤسّس هذا الحزب الماسوني!

وفي «سبيل» كتابي عزِ منزلة ضربت بالذكر عمداً عرض حيطاني؟؟...

«وفي سبيل البعث» هوكتاب ميشيل عفلق الذي أصبح الكتاب المقدّس لدى البعثيين ليضربوا عرض الحائط «الذكر» الذي هو كتاب الله العزيز.. وانتشر الرعب في كلّ مكان وكلّ من يريد أن يشعر بالأمان عليه أن يكون عبداً ذليلاً لصدام.. عليه أن يتخلّى عن كرامته وحرّيّته.. وأن ينتمي وينتسب إلى حزب البعث وأن يكون عميلاً لأجهزة النظام القمعيّة والبوليسيّة.. عليه أن يكتب التقارير عن جيرانه وزملائه ومعارفه وأقاربه باستمرار ودون توقف..

وهكذا من الطبيعي أن يحصل التصادم العنيف بين السيّدالشهيد محمّدباقر الصدر الذي كان يتطلّع إلى عراق حرّ كريم يعيش فيه المواطنون جميعاً في رفاه وأمان وذلك بعد تحريره من العصابة اللا انسانيّة».

**بغداد ١٧ ايلول ١٩٨٠**

ظهر الطاغية الأرعن صدّام في مبنى المجلس الوطني (الوثني) وبيده أوراق هي كما يقول نص اتّفاقيّة الجزائر التي كان صدّام (السيّد النائب) قد وقّعها مع إيران الشاه ١٩٧٥ راح الأرعن يمزق الأوراق بحركة بهلوانيّة ليواجه بعاصفة من التصفيق من قِبَل قطيع المجلس الوثني حيث "السبعاوي" الأخ غير الشقيق لصدام يمثل أهالي مدينة الثورة شرق بغداد!! هذا المعتوه

القـادم مـن «العوجـة» يمثـل أهالـي الجنـوب الشـرفاء!!

وقـد سـبق ذلـك بأسـابيع تحـرش للبعثييـن وقصـف مناطـق حدوديّـة ايرانيّـة بذريعـة أنّهـا فـي الأصـل مناطـق عراقيّـة وكان الاعلام البعثـي يـملأ الدنيـا نعيقـاً حـول منطقـة «زيـن القـوس» و«سـيف سـعد»!!

**٢٢ ايلول ١٩٨٠**

فـي يـوم ٢٢ الاثنيـن ايلـول ١٩٨٠ شـنّ الطاغيـة الأرعـن هجومـه وعدوانـه الشـامل واجتـازت اثنتـا عشـر فرقـة عسـكريّة الحـدود الدوليّـة وراح راديـو بغـداد يزعـق ويطبـل لـ «قادسـيّة صـدّام» وانطلقـت عشـرات الاناشـيد..

**البصرة ٢٢ ايلول ١٩٨٠**

فـي حـدود السـاعة الرابعـة عصـراً دوّت صفـارات الانـذار وجلجلـت اصداؤهـا المرعبـة وظهـرت فـي اليـوم التالـي طائرتـا فانتـوم.. تـمّ اسـقاط احـداهما فـوق شـطّ العـرب بعـد قصفهـا مصـفى المفتيـة الواقـع عـلى الضفـاف كما ارتفعـت سـحب الدخـان فـوق مصـفى الشـعيبة.. البعثيّـون يقصفـون مصـفى عبـادان فارتفعـت فـي السـماء ثلاثـة سـحب للدخـان تخيـم فـوق أجـواء البصـرة.. فهـي سـوداء نهـاراً وحمـراء كالـدماء لـيلاً!!

وظهرت الصحافة تتصدرها مانشيتات:

– نار عبادان تضيء البصرة!!

وذلـك بعـد قصـف مصافـي النفـط والمنشـآت النفطيّـة.. وزجّ النظـام بالشـباب العراقـي فـي حـرب عبثيّـة ليحـلّ محلّهـم المصريّـون الذيـن كانـوا يتدفقـون إلى العـراق وظهـرت لافتـات مكتـوب عليهـا: «العراقيـون للحـرب والمصريـون للبنـاء»!!

وقـد اجتاحـت قـوّات الـغزو البعثـي مناطـق واسـعة تمتـدّ عـلى الشريـط

الحـدودي مـن شمال قصـر شـيرين إلى جنـوب مدينـة خرمشـهر وارتكـب البعثيّـون الأوغاد جرائـم ينـدى لهـا جبيـن الانسـانيّة وظهـر صـدّام يتبجـح بـأنّ الحـدود مـع إيـران سـوف تتغيّـر وهـي آخـذة فـي الصعـود!

وتحـدّث وزيـر دفاعـه وابـن خالـه «طلفـاح» عـن اشـتراك أكثـر مـن ١٢ فرقـة مدججـة بالـسلاح فـي هـذه الحـرب الشـاملة وبلغـت مسـاحة الأراضـي المحتلّـة زهـاء عشريـن ألـف كـم.. أي ما يعـادل ضعـف مسـاحة لبنـان..

وكانـت مطـابع بغـداد تـوزع خرائـط ملوّنـة لـ «عربسـتان الحـرّة» و«دولـة الامارات العربيّـة للسـاحل الشـرقي»!!

فـي هـذه الـظروف الصعبـة نهـض شـباب الحركـة الإسلاميّـة للـدفاع عـن معسـكر الإمام الحسـين فـي مواجهـة يزيـد العصـر الطاغيـة صـدّام الأرعـن لتبـدأ واحـدة مـن أكبـر ملاحـم المقاومـة داخـل العـراق المقهـور.. واثبـت الاحـرار فـي العـراق انّهـم فـوق كلّ الاعتبـارات القوميّـة والعنصريّـة وأن الوطـن الحقيقـي للانسـان المسـلم هـو «الحـق» والحـق وحـده وهكـذا بـدأت معركـة بـدر الكبـرى مـن جديـد، وتبـدأ ملحمـة كربلاء مـن جديـد.. وينضـوي آلاف المجاهديـن تحـت رايـة الإمام الخمينـي فـي مواجهـة يزيـد العصـر الطاغيـة صـدّام الأرعـن.

كانـت العيـون كلّ العيـون تتطلـع إلى مدينـة النجـف الأشـرف إلى حيـث ترتفـع رايـة المقاومـة والتحـدّي:

– في النجف الأشرف يا بلادي الحزينة..

يا قلعة الأبطال.. يا بيارق المدينة..

ولدت مثل شعلة تعبر وجه الدرب

تنوّر الفيافي الخضراء..

كنت لها البرعم إن أقحلها الأعداء

يا وطني!

يا قلعة الاباء!

يا مرفأ الأئمّة الأطهار..

يا جنينة السماء..

ماذا جرى؟!

سماؤك الزرقاء مكفهّرة

وأرضك الخضراء.. تحرقها بنادق الأعداء

تركت فيك ألف ألف بيرق

وألف ألف ثائر..

وألف ألف قائد..

يعانق السماء

يلوي وجوه القدر الغاضب كالعنقاء..

ماذا جرى؟!!

أما ترى ايران قد ثارت بلا هوادة؟!

تدك حصن الظالم المارد بالدماء

وتعشق الموت بلا وسادة

يا وطني! ماذا جرى؟!!

**عمليّة تشرين - اكتوبر ١٩٨٠**

عنـدما يتعـرّض الانسـان الحـر إلى الاختيـار والاختيـار الحتـم بيـن الحـق والباطـل.. بيـن أن تمـوت حـرّاً كريماً أوتعيـش خانعـاً وذليـلاً بيـن أن تقتـل مـع الحسـين أو تعيـش مـع يزيـد فانّـه سـوف يختـار الحـق ولـو كلّفـه ذلـك حياتـه..

مـن أجـل ذلـك انحـاز شـباب الحركـة الإسلاميّـة إلى الوقـوف تحـت رايـة الإمام الخمينـي.. لأنّهـا فـي الحقيقـة رايـة الحسـين واختـاروا المـوت بكرامـة عـلى الحيـاة الذليلـة..

آلاف بـل عشـرات الآلاف مـن العراقييـن الأحـرار حسـموا خيارهـم فـي الانضـواء تحـت رايـة الحسـين وخـوض ملحمـة المواجهـة ضـد يزيـد العصـر صـدّام المجـرم.. بعـض هاجـر عنـدما ضاقـت بـه الأرض وبعـض ظـلّ يقاتـل فـي ظروف قاسـية يواجـه مـع رفاقـه أعتـى الأنظمـة الهجميّـة لقـد بيّـض «النغـول» وجـه «المغـول».

أجـل.. حسـم شـباب الحركـة الإسلاميّـة خيارهـم وتسـاموا فـوق كلّ الاعتبـارات القوميّـة والعرقيّـة.. لأنّ الحـق هـو الوطـن الحقيقـي للانسـان الحـرّ.. هـذه هـي الحقيقـة..

وعنـدما شـنّ الطاغيـة الأرعـن الحـرب الشـاملة لـم يتـردّد الأحـرار فـي

الاختيـار وانحـازوا إلى معسـكر الحسـين..

وهـذا ما يفسّـر موقـف عبدالأميـر وسـميرة وأشـقائها وشـقيقاتها فـي السـير فـي الطريـق الصعـب الـذي لا يـؤدّي إلّا إلى النهايـة الداميـة..

وهـذا ما يفسّـر موقـف «عادل» البالـغ مـن العمـر سـبعة عشـر ربيعـاً وصديقـه فخـري الـذي فقـد شـقيقه «بشـير» منـذ سـبعة شـهور.

لقـد اسـتجاب أحـرار العـراق وشـبابه الأبطـال إلى نـداء السـيّد الشـهيد محمّـد باقـر الصـدر:

– «.. فعلـى كلّ مسـلم فـي العـراق وعلـى كلّ عراقـي خـارج العـراق أن يعمـل كلّ ما بوسـعه ولـو كلّفـه ذلـك حياتـه مـن أجـل ادامـة الجهـاد والنضـال لازالـة هـذا الكابـوس عـن صـدر العـراق الحبيـب وتحريـره مـن العصابـة اللاانسـانيّة».

بعـد اشـتعال الحـرب جـاء فخـري البالـغ مـن العمـر سـبعة عشـر ربيعـاً إلى عادل يقـترح عليـه القيـام بعمليّـات فدائيّـة واستشـهاديّة لـم يتـردّد عادل فـي الاختيـار.. عبّـر عـن اسـتعداده التـام.. وهنـا ندخـل فـي منطقـة غامضـة يتعـذّر فيـه الضـوء للتعـرّف عـلى ملابسـات الحـوادث المثيـرة بعـد أيّـام معـدودة مـن بـدء الحـرب المجنونـة التـي شـنّها حـزب «العبـث»!

## الحلم الكبير

منذ مطلع الستّينات بدأ عمل ثقافي منظم تحت لافتة «مكتبات السيّد محسن الحكيم» التي انتشرت في عشرات المساجد والجوامع والحسينيّات وكان لها دور عميق في تربية جيل من الشباب المؤمن يتطلّع إلى وطن حرّ وحياة كريمة.. جيل ينظر إلى نظام البعث كجسم غريب.. جيل ينتمي بقوّة إلى جذوره التاريخيّة.. ويتطلّع إلى تحقيق أحلامه وراؤه..

هذا الجيل هو الذي استجاب إلى نداء السيّد الشهيد الصدر في الاستمرار في النضال والقتال والصراع إلى أن يتحقّق النصر العظيم!

مؤشّرات كثيرة تشير إلى تواصل بعض قيادات التنظيم في الداخل مع قيادات في الحرس الثوري وبدء التخطيط لعمليّة جريئة والسيطرة على بعض المراكز الحسّاسة في مدينة البصرة تمهيداً لتحرير البصرة من براثن حزب البعث المجرم..

كان الدكتور شاكر صيهود وهو من قادة الخطوط في التنظيم أحد أبرز المخطّطين لعمليّة تشرين وكان الرابط مع «ح. شريعة مداري» في الحرس الثوري.. وتمّ الاتّفاق على موعد التنفيذ في يوم ٢٢ تشرين الأوّل ١٩٨٠ أي بعد مرور شهر كامل على بدء الحرب الشاملة..

وتـمّ حشـد كفـاءات وكـوادر الأجنحـة العسـكريّة فـي التنظيـم اضافـة إلى عـدد مـن الفتيـات فـي الطليعـة ليـلى البالغـة مـن العمـر ١٦ ربيعـاً وهـي الشـقيقة الصغـرى لـ «سـميرة» و«سـناء» و«هيفـاء» و«حيـاة» وفتاتـان مـن «الجنينـة» إحـداهما طالبـة فـي كليّـة الطـب..

وكان مـن المـقرّر أن تتزامـن هـذه العمليّـة الجريئـة مـع تنفيـذ عمليّـات هجـوم جـوّي عـلى أهـداف امنيّـة وعسـكريّة حسّاسـة فـي مدينـة البصـرة والتمهيـد لتحريرهـا بالكامـل.. خاصّـة وأنّ التقاريـر تؤكّـد ان الـرأي العـام سـيكون مسـانداً وأن عواطـف المجتمـع البصـري مـع الثـورة الإسلاميّـة وقائدهـا السـيّد الخمينـي..

بهـذه الطريقـة كان يفكّـر هـذا الجيـل.. لقـد سما فـوق كلّ الاعتبـارات الجغرافيّـة والقوميّـة والتحـم مـع القيـم الخالـدة.. قيـم السـماء حيـث تصبح يثـرب الوطـن الحقيقـي لـكلّ الذيـن هـاجروا مـن ديارهـم واضطرّهـم سـادة مكّـة الوثنيّـون عـلى خيـار الـهروب واللجـوء إلى مدينـة يثـرب..

وفـي غمـرة الصـراع المحتـدم قرّرت شريحـة واسـعة مـن شـباب العـراق الأحـرار الاسـتمرار فـي المواجهـة داخـل أرض الوطـن المقهـور وخـوض ملحمـة الصـراع فـي ظروف قاسـية..

لا توجـد مؤشّـرات عـلى الاطلاق حـول مشـاركة عبدالأميـر فـي عمليّـة تشريـن الجريئـة بالرغـم مـن قيادتـه لمجموعـة مـن رفاقـه الذيـن آمنـوا بـأنّ نظـام البعـث لا يفهـم سـوى لغـة الرصـاص! ومـن المحتمـل جـدّاً انّـه كان يتعـاون مـع أشـقاء زوجتـه فخـري وزكـي كما أن ليـلى التـي كانـت ضمـن المجاميـع الفدائيّـة ربما تكـون قـد أطلعـت شـقيقتها الكبـرى سـميرة عـلى الأمـر.

كان فخـري وقبـل أكثـر مـن أسـبوع مـن موعـد عمليّـة تشريـن قـد

زار صديقه عادل في بيته.. واقترح عليه المشاركة في عمليّات فدائيّة استشهاديّة.. ولم يتردّد عادل في التعبير عن استعداده التام.. وأثناء خروج فخري من بيت عادل لمحه العم أحمد الذي استغرب هذه الزيارة..

كان أحمد يتمتّع بحس أمني ولعلّ كونه شاعراً وعلى وعي بما يجري من تطوّرات ولّد لديه رؤية نافذة.. لذلك تساءل عن دواعي زيارة فخري لابن أخيه؟!!

أجاب عادل بصراحة وأخبره بأن فخري دعاه للمشاركة في تنفيذ عمليّات فدائيّة.. وان لديه موعد لحضور اجتماع احدى المجاميع الفدائيّة.. كان فخري قد امتطى دراجته الناريّة وغادر المكان..

قال العم لابن أخيه الذي كان يعزّه كثيراً:

– ابتعد عن فخري.. لأن عملهم مكشوف.

قال:

– اتفقنا على موعد للقاء!

– لا تروح للموعد! هذه تهلكة.. هذا القاء للنفس في التهلكة ومع ذلك خبّر والدك!

استشار عادل والده الذي التزم الصمت ثمّ قال بهدوء:

– ما أدري.. هذا جهاد في سبيل الله.

كرّر «أحمد» مخاوفة لابن أخيه.. ورأى عادل أن يحترم رأي عمّه.. لذلك قرّر عدم الذهاب إلى الموعد وحضور اللقاء!

## في تلك الليلة الخريفيّة

فـي تلـك الليلـة الخريفيّـة وقـد خلـدت ايمان إلى النـوم وكان وجههـا البـرئ يتبسـم.. «ايمان» التـي اجتـازت السـتّة عشـر شـهراً تغفـو بسـكينة وسلام لا تشـعر بما يجـري حولهـا مـن أهـوال..

عبدالأميـر يشـكو إلى زوجتـه ورفيقـة دربـه المريـر ملاحقـات مديـر مدرسـته «الرفيـق سلام»..

الرفيـق سلام مـن أهالـي مدينـة القرنـة التـي تقـع شمال البصـرة عـلى مسـافة سـبعين كيلومتـراً.. القرنـة ملتـقى النهريـن دجلـة والفـرات..

عضـو قيـادي فـي تنظـيمات حـزب البعـث فرع البصـرة.. وجهـه المكفهـرّ يعبّـر عـن نفسـيّته الاجراميّـة.. مرتـزق منحـط أخلاقيّـاً يحقـد عـلى النـاس الطيبيـن.. لـه علاقات وثيقـة مـع النقيـب ماجـد الذئـب البشـري الـذي عـرف بـ «الكومبيوتـر» لقـوّة ذاكرتـه.. ولـو صادفـه المـرء فـي الشـارع لما خطـر فـي بالـه ان هـذا الشـاب الوسـيم المحبّـا هـو فـي حقيقتـه وحـش مصـاص للـدماء.. دماء الأبريـاء.. يحفـظ أسماء العشـرات مـن الشـباب الأحـرار سـواء كانـوا يرزحـون فـي المعتـقلات أو الذيـن حصدتهـم أعـواد المشـانق والبنـادق..

وبسـبب تجاربـه كان يكتشـف نقـاط الضعـف لـدى بعـض المعتقليـن

ومـن خلالهـا يقـوم بتجنيدهـم وزرعهـم كجواسـيس ينقلـون أخبـار ما يجـري فـي الزنزانـات..

ويبـدو أنّـه نجـح فـي اختـراق المجموعـة الفدائيّـة التـي كانـت تخطّـط لتنفيـذ «عمليّـة تشريـن» التـي تـمّ تحديـد سـاعة الصفـر فـي يـوم ٢٢ تشريـن الأوّل.

كان النقيـب ماجـد دائـم التواصـل مـع الرفيـق سلام مديـر اعداديّـة الجمهوريّـة الواقعـة مقابـل «نـادي الادارة المحليّـة».

شكا عبدالأميـر لزوجتـه تقاريـر هـذا الرفيـق البعثـي التـي حصـدت أرواح العديـد مـن شـباب الحركـة الإسلاميّـة.. كانـت نظراتـه الحاقـدة تتوعـد عبدالأميـر بالويـل والثبـور..

أزهقـت تقاريـره الكيديّـة أرواح العديـد مـن الشـبان وأرسـلت الكثيريـن إلى المعتـقلات والسـجون..

يحقـد عـلى عبدالأميـر الـذي كان يتمتّـع بمحبوبيّـة بيـن طلابـه.. وكانـت تقاريـر المنـظمات الحزبيّـة تذهـب مباشـرة إلى الدوائـر الأمنيّـة لـم يتـردّد «الرفيـق سلام» فـي توجيـه تقاريـره حـول نشـاط عبدالأميـر ورفضـه الانـتماء إلى حـزب البعـث.. وشـكوكه فـي انتمائـه إلى «حـزب الدعـوة العميـل»..

**موعد مع القدر**

أطـل يـوم ٢٢ تشريـن الأوّل وقـد امـتلأت أجـواء المعقـل بعبـق الشـط وكان فخـري قـد أبلـغ شـباب مجموعتـه بالتأهـب وتنفيـذ عمليّـات هجوميّـة والسـيطرة عـلى الاذاعـة وكذلـك السـيطرة عـلى مبانـي تابعـة لدوائـر أمنيّـة واسـتخباريّة..

اغتسـل الجمـيع غسـل الشـهادة وارتـدت الفتيـات حلّـة الرحيـل البيضـاء تحـت الثيـاب..

كانـت ليـلى بربيعهـا السـادس عشـر متأهبـة تماماً للرحيـل احكمـت نهايـات حلّتهـا البيضـاء وارتـدت ثيابهـا وخرجـت مـع أخيهـا فخـري..

وكانـت أجهـزة الأمـن قـد نجحـت فـي اختـراق إحـدى المجاميـع المكلّفـة بتنفيـذ الهجـوم عـلى عـدد مـن المراكـز الحسّاسـة.. وكلّ ما تعرفـه هـو موعـد الهجـوم فقـط.. لذلـك كانـت فـي حالـة تأهـب قصـوى وقـد نشـرت عناصرهـا فـي العديـد مـن النقـاط الحسّاسـة وكانـت قـوّات مـن «الجيـش الشـعبي» قداسـتدعيت للمسـاندة.

كانـت ظاهـرة الاختـراق تفتـك فـي جسـم التنظيـم وباتـت تحركاتـه مكشـوفة إلى حـدٍّ كبيـر.

تـمّ القبـض عـلى العديديـن مـن الذيـن بـادروا إلى سـاعة الصفـر وتنفيـذ هجـومات العمليّـة.. وفـي الطليعـة الفتيـات اللائـي ارتديـن الأكفـان..

أفلـت كثـيرون حيـث راحـت عناصـر أمـن البعـث المجـرم تلاحقهـم فـي كلّ مكان..

اختـفى فخـري وليـلى وسـناء وهيفـاء وحيـاة وكلّ الفتيـات اللائـي خرجـن لتنفيـذ العمليّـة الجريئـة فـي صبـاح ٢٢ تشريـن الأوّل[١] ١٩٨٠.

١. بقـي بصيـص مـن الأمـل يـراود أسـرة عـودة عبدالجليـل بوجـود ابنتهـم رهـن الاعتقـال فهـي لـم تبلـغ الثامنـة عشـر ولـم تحاكـم؛ غيـر أنّ الحقيقـة التـي ظهـرت فـيما بعـد ان وحـوش مديريّـة أمـن البصـرة كانـوا ينفـذون مهرجانـات اعـدام جماعيّـة حيـث يتـمّ نقـل الضحايـا ومعهـم الذيـن استشـهدوا تحـت التعذيـب إلى مناقطـق صحراويّـة واطلاق الرصـاص عليهـم ودفنهـم فـي مقابـر جماعيّـة؛ وذلـك بعـد اسـتحصال موافقـات شـفهيّة تلفونيّـاً مـن بغـداد..
وقـد سـرّب أحـد البعثييـن بعـد يقظـة ضميـر معلومـة تفيـد بـأن أزلام البعـث والمجرميـن فـي مديريّـة أمـن البصـرة قـد اصطحبـوه ومعـه عـدد كبيـر مـن عناصـر الجيـش الشـعبي إلى جبـل «سـنام» الـذي يقـع عـلى الطريـق المؤدّيـة للسـعوديّة لحراسـة عمليّـة سرّيّـة حيـث تـم نقـل ما بيـن ٣٠٠ الى ٤٠٠ شـاب بينهـم عـدد مـن الفتيـات وكانـوا مربوطـي الأيـدي مـن الخلـف وقـد عصبـوا أعينهـم جميعـاً؛ وتـمّ اطلاق الرصـاص عليهـم ليدفنـوا فـي حفـرة كبيـرة مقبـرة جماعيّـة. انظـر مذكـرات سـجينة ج١ ص١٤٢.

**شاكر صيهود**

فارع الطـول وجهـه العريـض القمحـي تعلـوه ابتسـامة وشـهامة وبسـالة ذلـك الطبيـب هـو القائـد الميدانـي لعمليّـة تشريـن والرابـط بيـن خلايـا التنظيـم فـي الداخـل والقيـادة فـي الجمهوريّـة الإسلاميّـة التـقى أحـد قادة الحـرس الثـوري.. سـافر إلى إيـران قبـل وقـوع الحـرب والتـقى بعـض المسـؤولين.. وعاد إلى الوطـن لخـوض ملحمـة المواجهـة ضـد أعـتى النظـم الدكتاتوريّـة فـي العالـم.. نظـام حـزب البعـث الهمجـي.. شـاكر بشـخصيّته المهيبـة يتنقـل مـن مكان إلى مكان.. يحتفـظ فـي حقيبـة صغيـرة بثيـاب قرويـة.. فهـو يسـافر تـارة مرتدياً الدشداشـة والغتـرة.. وتـارة يظهـر مرتدياً بدلـة عصريـة..

مـن أهالـي الگرمـة.. دوّخ أجهـزة الأمـن.. التـي كثّفـت حملاتهـا وجنّـدت عملاءهـا للقبـض عليـه.. وكان شـرطي الأمـن «حسـن» وشـقيقه يطـاردان خطواتـه فـي كلّ مكان..

كان شـاكر صيهـود مـع أحـد رفاق الـدرب المريـر فـي محطّـة بنزيـن سـاحة سـعد.. عنـدما وقعـت عينـا شـرطي الأمـن حسـن فـراح يـصرخ: هـذا دكتـور شـاكر صيهـود وشـاركه أخـوه فـي الصـراخ وراحـا يطلقـان الرصـاص.. وحدثـت معركـة حاميـة الشـرطي وشـقيقه والدكتـور ورفيقـه ما أدى إلى نسـف محطّـة

الوقـود..

طلـب شـاكر مـن رفيـق الـدرب أن يطلـق عليـه الرصـاص حـتّى تدفـن معـه الأسـرار لكـن رفيـق الـدرب رفـض ذلـك.. وراح يوجـه رصـاص الانتقـام إلى الشـرطيين إلى أن هـوى شـهيداً..

وهنا وجّة الدكتور سلاحه إلى رأسه لكن الرصاصة أصابته في عينه..

وتكاثـرت عليهـا المفـارز المسـلحة بقيـادة الوحـش النقيـب حسـن حيـث القـي القبـض عليـه وسـيق جريحـاً إلى أقبيـة التعذيـب فـي مديريّـة أمـن البصـرة..[١]

١. يروي عادل البالـغ مـن العمـر يومهـا ثمانيـة عشـرة عاماً: - .. الـذي جلـب انتباهـي فـي «الموقـف رقـم ٥».. يـا الهـي! مـن هـذا؟ استفسـرت مـن أخوتـي الذيـن كانـوا معـي فـي «الموقـف» قالـوا: هـذا دكتـور شـاكر صيهـود كان وجهـه القمحـي الباسـم وصـدره العريـض وشـخصيّته القويّـة تفـرض نفسـها عـلى الناظـر.. كان مهيبـاً.. وبعـد أيّـام تـمّ اسـتدعائي للتحقيـق أيضـاً وبعدهـا أمـر ضابـط التحقيـق ارسـالي لـ «الموقـف رقـم ٥».. كان فـي اسـتقبالي الدكتـور شـاكر وكان بنفسـه ينظـم طريقـة جلوسـنا بسـبب ضيـق الـمكان ونومنـا في الموقـف.. سـلمت عليـه وأجلسـني قربـه عرفتـه بنفسـي؛ فقـال: أنـت ابـن أخ الشـاعر أحمـد.. صديقـي ورفيقـي فـي سـجن الفضيليـة! تحسّـر وقال: قبـل ثلاثـة أشـهر كان عمـك فـي هـذا «الموقـف» وتـمّ تسـفيره إلى الأمـن العامّـة (فـي بغـداد) وتـمّ اسـتدعاءه بالاسـم مـن قبـل المجـرم فاضـل البـراك مـع مجموعـة مـن قيـادات الدعـوة.. ثـمّ سـألني عـن سـبب اعتقالـي قلـت: يدّعـون ان أحـد زملائـي بالمدرسـة اعتـرف علـيّ.. فقـال: اذن قضيتـك سـهلة.. اصبـر وقاوم.. إذا سـألوك عـن شـيء أو تنظيـم أو حـتّى مفاتحـة للتنظيـم ولـم تسـتطع الصمـود فـي التعذيـب فاجعـل التـاريخ قبـل تمـوز ١٩٧٩ لأن قانـون العفـو يشـمل تلـك الأحـداث..

## الدرس الأخير

لاحـظ عبدالأميـر فـي تصـرّفات «الرفيـق سلام» مديـر اعداديّـة الجمهوريّـة نظـرات ولفتـات غيـر عاديّـة وأدرك ان «الرفيـق» يدبـر لـه أمـراً.. وقرّر مغـادرة الـمكان والعـودة إلى البيـت..

أما سميرة فكانت تلقي آخر دروسها في ذلك اليوم الخريفي الحزين..

اعتـادت سـميرة وهـي تقـوم بتدريـس اللغـة العربيّـة ضـخ قيـم الحريّـة والكرامـة الانسـانيّة وفـي درسـها الأخيـر تحدّثـت عـن البلاغـة فـي التعبيـر وأشـارت إلـى بعـض الجمـل البليغـة خطـت بالطباشـير وفـي خـط جميـل:

- الموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين
- ما أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما

راحـت سـميرة وهـي تـشرح هـذه العبـارات البليغـة تتحـدّث عـن قيمـة الحيـاة الحـرّة الكريمـة.. وان الحيـاة تفقـد معناهـا إذا سـلب المـرء حرّيّتـه وديسـت كرامتـه..

وتطرّقـت فـي محاضرتهـا إلى «لاميـة العجـم» للطغرائـي وهـي قصيـدة كانت ضمـن المنهـج الدراسـي فـي كتـاب «نصـوص أدبيّـة» وفيهـا يقول الشـاعر:

ما كنت أحسب أن يمتدّ بي زمني

حتّى أرى دولة الأوغاد و السفل

كانت عدّة طالبات تصغي جيداً إلى كلمات «ست سميرة» وتدرك ما وراءها..

غير ان الضجيج الاعلامي لماكنة البعث كانت وعلى مدى أكثر من عشر سنين عجاف تملأ الدنيا نعيقاً وزعيقاً.. وقد سخّر النظام كلّ الامكانات الاعلاميّة والفنيّة لتحطيم الشخصيّة العراقيّة كانت الحكومة تتلقّف الأطفال في سن مبكرة وتدخلهم في برنامج «الطلائع» وتضخ لهم التعاليم المناهضة للدين وبعدها ينتقلون في سنيّ المراهقة إلى برنامج «الفتوة» وتنظم لهم سفرات مختلطة وتقيم لهم مخيّمات بعيدة عن الأهل وتشجعهم على الاختلاط.. أمّا القنوات التلفزيونيّة فكانت تبث المسلسلات الهابطة والتي تعج بالمشاهد الخادشة للحياء والتي تجرح الذوق الأخلاقي بشدّة..

وقد انتجت العديد من المسلسلات والأفلام التي لا تمت بصلة إلى طبيعة المجتمع العراقي ولم يشاهد المتلقي وعلى الاطلاق أيّ مقطع يشتمل على اضرحة أهل البيت عليهمالسلام في مجتمع تتجذر في أعماقه ثقافة الزيارة من قبيل «الأربعين» و«الشعبانيّة» أو «الرجبيّة» بل أنّه حارب زيارة الأربعين بقوّة وتمّ حظرها رسميّاً في عام ١٩٧٧؛ فكانت انتفاضة صفر الكبرى[١].

١. ثمّة تفصيل حول هذه الحادثة في رواية «السماء تفتح أبوابها في المساء».

## جحيم البعث

إذا أردت أن تتصوّر الكائن البعثي خاصّة في مديريّات الأمن والمنظمات الحزبيّة فما عليك الّا أن تتخيّل غابة تعجّ بالحيوانات الضارية.. في أعماق البعثي ذئاب تعوي وخنازير تعربد.. وجرذان مذعورة وخفافيش مصاصة للدماء البعثي الحقيقي كائن انسلخ عن انسانيّته وآدميته ساقط ومنحط أخلاقيّاً.. معقد نفسيّاً فهو يستأسد أمام الأسرى لكنّه جبان رعديد في المواجهة..

صنع البعثيّون في كلّ مدينة عراقيّة جحيماً لا يطاق.. اقبية مظلمة يرزح داخلها المعتقلون وحفلات التعذيب الوحشي لا تتوقّف ليل نهار..

نشر الليل ستائره في مدينة البصرة كان ذلك في أوّل أيّام حزيران عام ١٩٨١.. عبق الشط يملأ الأجواء في الأحياء المحاذية لشطّ العرب..

اعتاد «عادل» البالغ من العمر ثمانية عشر ربيعاً أن يجلس في ضوء المصباح عند عتبة الدار ويستغرق في المطالعة شأنه شأن جميع الطلبة الذين يستعدون لامتحانات «البكالوريا» كان عادل متحمساً لدخول الجامعة.. كلمات عمّه «أحمد» تتردّد في وجدانه تشجّعه وتلهب ارادته.. أحمد الشاعر الذي اعتقل منذ شهور وانقطعت أخباره.. أحمد العم

والصديق والمربّي والرمز.. أحمد هو بطل عادل قبل أن يكون عمّه.. لم ينسَ عادل عمّه أحمد ولن ينساه.. فهو يشبهه في صورته ويريد أن يشبهه في سيرته كان أحمد في صفّ الرابع الاعدادي وله من العمر ستّة عشر ربيعاً عندما ألقى أولى قصائده التي يقول فيها:

هتف العراق وعانقت ارجاؤه ... صوت النضال وضجّ في اكباري
ثوري فانّ وراءك الشعب الذي ... سحق الغزاة بجيشه الجبار
عبر الحتوف وما ارتضى لعصابة ... ان تستخف بشعبنا المغوار
نهض الفداء وهاهم أبطاله ... متأهبون على خطوط النار
نِعمَ الرجال إلى الفداء تسابقوا ... فهوى العدو ملطخاً بالعار

اعتقل أحمد مراراً وامضى سنوات في سجون البعث في «الفضيليّة» و«أبوغريب».. وعندما عاد إلى الأهل رأى أن يطلع ابن أخيه «عادل» على طرق التحقيق واساليب التعذيب فهو يعرف أن عادل سوف يسير في ذات الطريق الذي يسير فيه احرار العراق..

عادل جالس في ضوء المصباح عند عتبة الدار وقد استغرق في المطالعة.. عشرون يوماً فقط على موعد الامتحانات الوزاريّة وخلال المطالعة كان وجه عمّه الحبيب يتألق في وجدانه..

سيعود العم ذات يوم وسيعود «فريق الخالدون» ويلتئم شمله من جديد.. سيخوض الفريق مبارياته الودية وعندما تميل شمس البصرة الفيحاء للمغيب.. سينطلق «الخالدون» برفقة «أحمد» إلى المسجد وأداء الصلاة جماعة!ولم يكن فريق «الخالدون» فريق لكرة القدم بل كان مركزاً ثقافيّاً يتلقى فيه «الخالدون» القيم الأخلاقيّة ويتشرّبون فيه المثل الإسلاميّة..

انتبه عادل إلى نفسه على صوت سيّارة لاندكروز تمرق بسرعة في

الشـارع حيـث تطـل الـدار.. فأوجـس فـي نفسـه خيفـة!

مـرّت دقائـق وإذا زميـل لـه فـي الاعداديّـة وهـو فـي الحقيقـة كلـب مـن كلاب الأمـن.. وغـد مات ضميـره إلى الأبـد.. كسـول فـي الدراسـة بليـد الذهـن.. يعتـاش عـلى مهنتـه الحقيـرة.. مرتـزق معقّـد نفسـيّاً يكـره كلّ طالـب مجـد مجتهـد.. جـاء هـذا الحقيـر ليوقـع بـه بحجّـة مكشـوفة طلـب منـه أن يدلّـه عـلى بيـت زميلـه فلان!

قال عادل وقد أدرك بأنّه ينصب له فخاً:

– أنـت أعـرف منّـي بعنوانـه.. وأنـا كـما تـرى مشـغول بالمطالعـة والامتحانـات الوزاريّـة علـى الأبـواب!

غادر الوغـد الـمكان وبـادر عادل إلى اطفـاء المصبـاح والدخـول واغلاق البـاب.. تعجّبـت والدتـه وتسـاءل والـده عـن السـبب فابنـه يسـهر إلى مطلـع الفجـر!

قال لوالده وهو يحاوره:

– جـاء رجـال الأمـن وانتشـروا بيـن بيـوت الجيـران.. يريـدون اعتقالـي.. أريـد تغييـر ملابسـي.. لا أريـد أن اعتقـل بهـذه الثيـاب.. غيّـر عادل ملابسـه ثـمّ صعـد إلـى سـطح الـدار حيـث ينـام البصريّـون هربـاً مـن الحـرّ.

استلقى عادل وراح يحدّق في السماء الصافية.. وتمرّ دقائق الزمن..

انبعثـت صرخـة الأُم فقـد اقتحـم ذئـاب البعـث الـدار غيـر مكترثيـن لخـوف الأطفال..

أمسـكوا بـ «عادل» الـذي سـلّم نفسـه.. كان المشـهد يصـوّر رعبهـم فـ «عادل» ببنيتـه النحيفـة وقامتـه القصيـرة يبـدو حمامـة برّيّـة وقعـت فـي براثـن نسـور متوحشـة!

لماذا كلّ هذا الرعب؟! لماذا كل هذا الحشد المدجج بالسلاح؟!

أرادت الأُم أن تسحب ولدها إلاّ ان أحدهم ضربها بأخمص رشاشته الروسيّة فتلقت الضربة بساعدها الأيمن اقتادوه إلى خارج الدار وكانت السيّارة بانتظاره.. وهنا وقع حادث يكشف عن المخزون الأخلاقي لمدينة تتعرّض على مدى سنين عجاف إلى كل أشكال التدمير الثقافي..

انبرى ناصر الطالب الجامعي والجار الطيب والصديق إلى ذئاب البعث وصرخ بهم:

– اتركوه! ما ذنبه؟!

ناصر من مواليد ١٩٦٠ كان يشجّع عادل على الدراسة فقد يلتحق بالجامعة ويكون زميله في كليّة الهندسة..

ناصر بمخزونه الأخلاقي لم يمنعه توجهه الماركسي من الدفاع عن صديقه الفتى المتديّن..

عادل خاف على صديقه وجاره ودعا الله ألا يؤذوه بسبب انتفاضته في وجوه ذئاب «الأمن».

انطلقت اللاندكروز بأقصى سرعتها وقام أحدهم باخفاء رأس المطلوب خلف المقعد وعمد إلى وضع اليشماغ الأحمر على رأس المعتقل الأسير وعصّب عينيه وسائق اللاندكروز يحاول ايهام المعتقل بخط السير حتّى لا يعرف «المعتقل» إلى أين سيذهبون به ويأخذونه؟!

لكن عادل ابن «المعقل» يعرف جيداً شوارع مدينته وازقتها..

أدرك أنّهم يسيرون باتّجاه مقرّ «الفرقة الحزبيّة» بالقرب من «نقابة العمّال»..

عندما أدخلوه المبنى تلاقفته الأيدي القذرة.. الأوغاد يتخطفون شاباً

في الثامنة عشرة من العمر وينظمون له حفلة تعذيب امتدت إلى مطلع الفجر..

الغرفة مظلمة تماماً ما خلا بصيص من نور باهت في الفتحة أسفل الباب وبعد الانتهاء من جولة التعذيب.. كاد قلبه يتفطر عطشاً.. راح عادل يتوسل من أجل شربة ماء وشعر بجفاف شديد في حلقومه..

ومع طلوع الشمس أخذوه إلى غرفة التعذيب مرّة أخرى وراحت السياط تتخطّف جسمه النحيل وراح عادل يصرخ.. يريدون منه الاعتراف على انتمائه للتنظيم من أجل تبرير اعتقالهم له.. وكانت سياط زميله الوغد أكثر ايلاماً.. صاح عادل:

– أنا طالب مجتهد في دراستي.. لا يهمّني شيء غير القراءة وهذا «فلان»! يعرف جيداً وهو خير شاهد على كلامي!

كم مرّة طلب منّي المساعدة.. وكنت اشرح له الدروس التي لم يحضرها أو لم يفهمها.. حتّى في قاعة الامتحان طلب منّي المساعدة لكنّي لا أغشّ أبداً!

جنّ جنون الوغد الجبان وراح يجرّد عادل من ملابسه بوحشيّة حتّى تنال السياط من كلّ أنحاء بدنه النحيل!

اقتادوه إلى «المرافق الصحيّة» وكانت قذرة تماماً كقذارتهم، هؤلاء هم وحوش البعث المجرم..

تحسّس ابريق الماء وكان الماء فيه ما يزال ساخناً.. وبسبب العطش الشديد لم يكترث «المعتقل» إلى الروائح الكريهة والابريق الوسخ وسخونة الماء فأخذ جرعة منه..

استمرّت جولات التعذيب ثلاث ليال.. لكنّه صمد ولم ينطق بكلمة

تتسبب في ادانته!

قرّر «البعثيّون» تسفيره إلى مديريّة أمن البصرة في منطقة السيمر الواقعة في البصرة القديمة..

كلّ هذا التعذيب جرى في منظمة حزبيّة ما يؤكّد ان حزب البعث ليس حزباً سياسيّاً وإنّما هو عصابة إجراميّة تابعة للأجهزة الأمنيّة «البعثيّون» يعتبرون كل انسان يرفض الانتماء والانتساب إلى حزبهم القذر متّهماً بل مذنباً ومداناً يجب معاقبته بأشدّ العقوبات!

تتداعى في الذهن كلمات السيّد الشهيد الصدر في نداءاته الثائرة وهو يودّع الأحباب والوطن:

«إن هؤلاء المتسلّطين قد امتهنوا حتّى كرامة حزب البعث العربي الاشتراكي حيث عملوا من أجل تحويله من حزب عقائدي إلى عصابة تطلب الانضمام إليها والانتساب لها بالقوّة والاكراه! والا فأيّ حزب حقيقي يحترم نفسه في العالم يفرض الانتساب إليه بالقوّة؟!!»

كانت الساعة في حدود التاسعة مساءً شدّوا اليشماغ الأحمر وعصبوا عينيه..

تألّقت بيوت البصرة القديمة في خياله.. هنا منطقة الشناشيل أي البيوت والدور القديمة المعروفة بنوافذها المزخرفة الملوّنة أو ما يعرف بـ «الشناشيل».

الشناشيل المزيّنة بالخشب المزخرف والزجاج الملوّن والتي ألهبت خيال الشاعر الراحل بدر شاكر السياب في ربيع عمره وهو يتصوّر «ابنة الچلبي» الجميلة جالسة في الشرفة الملوّنة!

وأرعدت السماء..

فطار منها ثُمّة انفجرا..
شناشيل ابنة الچلبي..
ثمّ تلوح في الأفق..
ذرى قوس السحاب..
وحيث كان يسارق النظر..
شناشيل الجميلة..
لا تصيب العين إلاّ حمره الشفق.
ثلاثون انقضت..
وكبرت..
كم حب وكم وجد
توهّج في فؤادي!
غير أني..
كلما صفقت يدا الرعد
مددت الطرف ارقب
ربما ائتلق الشناشيل
فأبصرت ابنة الچلبي
مقبلة إلى وعدي!
ولم أرها!
هواء كل أشواقي.. أباطيل..
ونبت دونما ثمرٍ ولا وردِ

شعر عادل بكفّ غليظة تنزعه من السيّارة بقسوة عرف عادل أنّه الان في موقف سيّارات مديرية أمن البصرة!!

في هذا المكان المرعب لا وجود لأيّ شعور بـ «الأمن».. هنا يجثم الوحش البعثي الذي لا يتردّد عن تمزيق الانسان وتقطيع أوصاله.. هنا

شـرطي الأمـن الـذي لا يتـورع حـتى عـن أكل رؤوس الأطفـال..

تـمّ تسـليم عادل إلى أحـد عناصـر الأمـن برتبـة مفـوض وقـد هـمّ بـه.. عرفـه عادل عـلى الفـور مـن صوتـه ولكنتـه فـي تلفـظ حـرف «الـراء».. لذلـك همـس باسـمه.. انـه المفـوض فلان! مـن أهالـي «المعقـل».. مـعروف فـي «المعقـل» الجميـع يعرفـه.. انـتزع اليـشماغ الأحمـر وعـرف عادل.. آه كـم يشـبه عمّـه أحمـد.. أحمـد الـي تـمّ تسـيفره إلى «الأمـن العامـة» فـي بغـداد!

تغيّـرت معاملتـه لـ «عادل».. عاملـه بقـدر مـن اللطـف وهـو يقتـاده إلى غرفـة التحقيـق! وهـي فـي الحقيقـة عبـارة عـن سـرداب تحـت الأرض تقـام فـي ظلماتـه حـفلات التعذيـب الهمجـي!

مسـاء الـرابع مـن حزيـران ١٩٨١ حيـث يتضاعـف لهيـب القيـظ فـي جحيـم «أمـن البصـرة»..

تتـداعى فـي ذهـن الشـاب ذكريـات اعتقالـه الأوّل وسـياط المجـرم إبراهيـم اللامي!!

أصـداء الصـراخ تمـتزج مـع أصـوات السـياط وأوغاد لا يشـبهون البشـر إلّا فـي الشـكل فقـط.. سـيبقى ليـل الـرابع مـن حزيـران ١٩٨١ محفـوراً فـي الذاكـرة إلى الأبد..

هـذه الليلـة التـي نزلـت فيهـا ملائكـة السـماء.. ثلاثـة أبطـال تـمّ تعليقهـم بـ «الگنـارة».. شـدّوا أيديهـم مـن الخلـف وهـذه أسـوأ أسـاليب التعذيـب عندما توثـق الأيـدي مـن الخلـف ثـمّ تعلّـق بالسـقف..

وحـوش البعـث تلهـب أجسـامهم بالسـياط والصعقـات الكهربائيّـة.. كان عادل جاثيـاً تحـت أقدامهـم

أقدامهـم تكاد تلامـس رأسـه.. تعجـب فـي داخلـه!! عجيـب أمـر هـذا

المخلـوق يتسـامى حـتّى يلـج عالـم الملائكـة! ويتسـافل حـتّى يصـبح بعثيّـاً جلاداً فـي أجهـزة الأمـن!! ثلاثـة رجـال كقمـم الجبـال..

أحدهـم صديقـه وجـاره؛ سـليم والثانـي كريـم عبدالجبـار نائـب ضابـط فـي الجيـش.. والثالـث سـيتعرف عليـه بعـد أيّـام معـدودة.. صمـد الثلاثـة ولـم يعترفـوا..

مـن المدهـش جـداً أن يصمـد الانسـان ويتحمـل كل هـذه الوحشـيّة والهمجيّـة فـي حـفلات تعذيـب رهيـب!!

بعـض همـس خلسـة بالسـرّ قال لصاحبـه وهـو يحـاوره عـلى حيـن غفلـة مـن الـجلاوزة..

– القلـب المفعـم بالايـمان يمنح الانسـان طاقـة ايجابيّة كبرى!! فالجسـد فريسـة يتخطفهـا ذئـاب البعـث والـروح فـي وادٍ بعيـد حيـث ينشـر السـلام أجنحـة شـفافة بيضـاء.. فـي البدايـة يشـعر بوقـع السـياط.. ورجّـات الصعقـات الكهربائيّـة.. وشـيئاً فشـيئاً ينزلـق الـزورق فـي بحيـرة هادئـة.. وتتراجـع الأصـداء وينحسـر الضجيـج تـماماً وتتلاشـى الروائـح الكريهـة ويلـج الانسـان عالـماً يختلـف تـماماً حيـث يندمـج مـع مشـهد حالـم يتألـق بأنـوار شـفافة بهيـة..

اقتـادوا عادل الـذي ما يـزال مشـدود الـرأس باليـشماغ إلى «الموقـف رقـم ٣» عنـدما رفـع الشـرطي اليـشماغ سـقطت قشـرة جلـد متقيّحـة والشـرطي يضـع كمامـة عـلى وجهـه بسـبب الروائـح الكريهـة فـي هـذا الـمكان المظلـم المكتـظ بالمعتقليـن.. وهـو مـن أسـوأ «المواقـف» فـي مديريّـة أمـن البصـرة..

اسـتقبل أحـد الموقوفيـن عادل بابتسـامة عريضـة وأجلسـه إلى جانبـه ولـم يكـن سـوى «أبـو البقصـم» صبـاح مـن أهالـي الزبيـر الـذي يكـنُّ لـه البعثيّـون الحقـد بسـبب صمـوده وابتسـامته فـي أسـوأ الـظروف وصبـاح صاحـب محـل

بـيع الحلويّـات.. راح أبـو البقصـم يسـرد نكاتـه وبعـض نكاتـه سـمعها مـن الجلاديـن فـي حـفلات التعذيـب فقـد اعتـادوا سـرد الـنكات أثنـاء الاسـتراحة خلال جـولات التعذيـب.. كان يشـاركهم فـي الضحـك رغـم أنّـه معلّـق إلى السـقف!

وكانـت ضحكاتـه تغيظهـم كثيـراً أوصـى أبـو البقصـم عادل أن يثبـت ويصمـد خلال التعذيـب..

فـي اليـوم التالـي أُسـتدعي أبـو البقصـم للتحقيـق أي للتعذيـب مـرّة أخرى.. مـرّت سـاعتان أو أكثـر عنـدما عاد كان فـي حالـة مؤلمـة فقـد مزّقـوا جسـمه بالتعذيـب.. عاد يلتقـط أنفاسـه بصعوبـة مـرّت بضعـة سـاعات.. واسـتدعي عادل إلى «التحقيـق»!!

عادل وجهاً لوجه أمام الوغد الجبان النقيب ماجد الذي سأله:

– تعرف فلان؟

– نعم أعرفه زميلي في المدرسة

– اعترف بأنّك على صلة بحزب الدعوة

– مسـتحيل! قابلنـي معـه.. ما عنـدي علاقـة معـه.. مجـرّد زميـل فـي المدرسـة فقـط!

أشـار ماجـد إلى الـجلاوزة.. فبـادروا إليـه وتخطفـوا ثيابـه وراحـوا ينهالـون عليـه بالسـياط والصعقـات الكهربائيّـة بعـد أن قامـوا بتعليقـه..

– تعرف فخري عودة؟

– نعم أعرفه

– هذا مسؤول للعديد من زملائك.. معقولة أنت مو ياهم؟! يا..»!!

أُعيد عادل إلى الموقف ٣..

كان «التسفير» على أشدّه.. عشرات المعتقلين يرحلون إلى «الأمن العامة» في بغداد وإلى الشعبة الخامسة سيئة الصيت.. إلى حيث حُمّى السباق بين الجلادين على انتزاع الاعترافات على أمور لم يسمع بعضهم بها!!

كلّ ذلك تزلفاً لـ «السيّد الرئيس القائد» خاصّة بعد أن تمّ تعميم تعليماته التي نشرت في كراسة خاصّة![1]

حقاً ان البعثيين هم مغول القرن العشرين.. نغول بغداد يتحكّمون بمصير شعب عريق.. لكن ذلك لن يستمر طويلاً.

.. مرّة قال الشهيد محمّد باقر الصدر ان شهادته قد تثمر بعد عشرين سنة!!

من يدري ربما ستتحقّق هذه النبوءة لأنّ نبوءة الأولياء إنّما هي قبس من نبوءات الأنبياء!

استدعي عادل للتحقيق بعد عشرة أيّام.. لكن هذه المرّة لم يتعرّض إلى التعذيب كثيراً قرر ضابط التحقيق نقله إلى «الموقف رقم خمسة».. وجد عادل في استقباله دكتور شاكر صيهود الذي راح يحدّق في وجه الفتى: يا إلهي كم يشبه أحمد؟!

وتساءل دكتور شاكر هل تعرف أحمد الشاعر؟! قال عادل: عمّي

---

١. كرّاس خاص يتضمن وصايا الطاغية صدام إلى الأجهزة الأمنيّة وقد جاء ضمن إحدى الوصايا: «أوصي الأجهزة الأمنيّة بالغاء أي حدود لممارسات التعذيب ضد أعداء الثورة دون أي حرج أو خشية من مساءلة» وهذه الوصايا تعلق في مكاتب ضباط الأمن ويكتب أسفلها: «من كرّاس وصايا الرفيق صدام حسين إلى الأجهزة الأمنيّة».

وقدوتـي!

قال الدكتـور: أنـت ابـن أخ الشـاعر أحمـد! صديقـي ورفيقـي فـي سـجن «الفضيليّـة»[١] كان هنـا قبـل ثلاثـة أشـهر وبقـي سـاعات فـي هـذا «الموقـف» - بعدهـا سـفّروه إلى الأمـن العامّـة فـي بغـداد.. تـمّ اسـتدعاءه مـن قبـل المجـرم فاضـل البـراك[٢] بالاسـم ومعـه بعـض قيـادات الدعـوة..

قال لـه الدكتـور قضيتـك سـهلة لكـن إذا تعرّضـت للتعذيـب ولـم تسـتطع الصمـود لتكـن اعترافاتـك فـي تـاريخ سـابق قبـل تمّـوز ٧٩.. حـتّى يشـملك قانـون العفـو.

لـن ينـسى عادل «شـاكر صيهـود» ولـن ينـسى كريـم عبدالجبّـار ونـداء التحـدّي وهـو فـي أسـر وحـوش البعـث.. كان كريـم يتحداهـم يوميّـاً وكان نـداؤه يغيظهـم ويثيـر حنقهـم.. يـكرّره يوميّـاً حـتّى حفظـه الكثـيرون:

– «يا جلادين السلطة البعثيّة!

ليش هيچي تسوون بيّه؟!

صوندات وتعليك وآلة كهربائيّة!

چِي آني من حزب الدعوة الإسلاميّة!»

الجـدران القاسـية كانـت تـردّد صرخاتـه المدويّـة.. بعـض المعتقليـن كان يرتـاح نفسـيّاً وهـو يشـاهد بـأمّ عينيـه ثـورة عارمـة ضـد طغـاة يقـودون عصابـة اجراميّـة!!

وبعـض آخـر ومـن بينهـم عادل كان يشـعر بالحـزن لأنّ البعثييـن الأوغاد لـن يتحمّلـوا هـذا التحـدّي وسيبطشـون بـه!

---

١. من الأحياء المعروفة في ضواحي بغداد.

٢. مدير الأمن العام.

## الليلة الأخيرة

كريم عبدالجبّار نائب ضابط في قاعدة الشعيبة الجوّيّة جنوب البصرة.. تمّ اعتقاله في القاعدة واقتيد إلى مديريّة الأمن.. كان مهيباً بطوله الفارع.. صمد في جولات التعذيب الهمجي وتخطفت السياط جسمه ومزّقته الصعقات الكهربائيّة.. ولكن صرخته بقيت مدويّة يتحدّى بها «جلّادين السلطة البعثيّة» لم يتحمل نقيب حسين التكريتي صموده وفي ليلة من ليالي تمّوز استدعي للتحقيق والتعذيب دفعه النقيب التكريتي بقسوة فسقط على ظهره وهنا جمع النقيب الذئب كلّ قوّته وسدّد ضربته القاضية بكعب حذائه ليحطم أحد أضلاع القفص الصدري.. وبعد تلك الحادثة غاصت صرخته المدويّة وذاب جسمه الفارع كما تذوب الشموع!

لن ينسى «عادل» أبداً كريم عبدالجبّار ولن ينسى «كامل إبراهيم» ذلك المعلّم الثلاثيني الذي يسكن في «شط الترك» في «حي السكك» بالقرب من «شطّ العرب»..

اعترف «بشير عودة» على انّه مسؤوله في التنظيم.. وكان بشير قد اعتقل في يوم ٢٨ نيسان ١٩٨٠ وانقطعت أخباره نهائيّاً..

استشهد كريم عبدالجبّار وأبّنه دكتور شاكر وألقى كلمة هزّت وجدان

المعتقلين وكان يركز على تلك الآصرة القويّة بين الايمان والصبر..

شاكر صيهود ذلك الطبيب الشجاع والمثقّف والقائد هو من يدير شؤون المعتقلين في «الموقف رقم خمسة» ينظم جلوسهم وطريقة نومهم.. وحتّى عندما يستدعى المعتقل للتحقيق والتعذيب كان يودّعه بالدعاء ليحفظه الله ويعيده سالماً.. كان يحفظ آيات الدعاء..

لكن يا ترى ما سرّ وقوف الدكتور الطويل مع رئيس العرفاء حسن المعروف بقسوته واجرامه وعقده النفسيّة!!

تساءل عادل عن السر فأجاب الدكتور:

– هذا مريض نفسياً.. ومصاب بالسكري والسمنة.. ومع ذلك فهو في غاية القسوة والحقد لذلك أريد أن أُعذّبه نفسيّاً! هل تعلم أنّه يقوم بتعذيب شقيقه لانتزاع الاعترافات منه؟!

يقسو على شقيقه الأكبر أكثر من بقيّة الجددين!! أنا أعرف كيف أُعذّبه في الدنيا قبل أن يُلقى في نار جهنّم وبئس المصير..

فوجىء عادل شعر بصدمة كبيرة!! إن من أقسى الطعنات تلك التي يوجهها الأصدقاء فما بالك إذا جاءت من الأخوة والأشقاء؟!!

وذات ليلة أشار من بعيد إلى عمليّة تشرين وأطلق آهة حرّى لتسرّب ساعة الصفر والاختراق من قبل الاستخبارات لاحدى خلايا التنظيم ووجود مندس في احدى المجاميع المكلّفة بتنفيذ الهجوم على دار الاذاعة واضطراره للاختفاء والتواري والتنقل من مكان إلى آخر ومن محافظة إلى أُخرى..

وراح يروي عن أيّام الجهاد المرير وحياته في الأهوار.. وتنكّره في الزي فهو رجل ريفي بسيط يسافر من قريته إلى المدينة وأحياناً يرتدي بدلته

المدنيّة في شارع وسط المدينة!

روى ذكرياته مع رفاقه في الدرب الدامي المرير والطريق الصعب.. أسفاره إلى إيران عبر هور الحويزة وروى مشاهداته في عاصمة الثورة طهران وما فيها من مظاهر ومعالم جميلة!

روى الكثير من ذكرياته وكأنّه يعلم انّها الليلة الأخيرة وسوف يرحل إلى المجهول..

في اليوم التالي وهو يوم الخميس نودي على اسم الدكتور شاكر ليعود بعد ساعة وهو يردّد:

– إنّا لله وإنّا إليه راجعون!

– ما الخبر يا دكتور؟!

– الليلة هي الأخيرة معكم.. غداً الجمعة يوم التسفير إلى الأمن العامّة ..

صدم الجميع بهذا الخبر!! شعروا باليتم.. الدكتور كان لهم أباً وأخاً كبيراً وصديقاً حميماً..

وفي تمام الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة الحزين حضر رجل الأمن أخذ الدكتور ليعود بعد ساعة.. وعرف الجميع أنّهم أخذوه إلى الحمام.. فقد حلق لحيته وأعطوه ملابس داخليّة نظيفة وفي الساعة الحادية عشرة أعطوه «دشداشة» رصاصيّة اللون فارتداها ثمّ قيّدوا يديه بـ «الجامعة».. وكان قبلها قد ودّع رفاق السجن والمحنة.. وانبعث نحيب المعتقلين ليكسر الصمت الذي خيّم على «الموقف»..

رحل الدكتور شاكر صيهود إلى المجهول إلى أقبية «الأمن العامة» حيث يقيم البعثيّون الحفلات في كلّ مساء!

## ألف باء

كان الدكتـور شـاكر صيهـود أحـد أبرز قيـادات «عمليّـة تشريـن» انتبـه فـي الوقـت الضائـع إلى أن الاسـتخبارات البعثيّـة قـد قامـت باختـراق احـدى المجمـوعات المكلفـة بمهمـة الهجـوم عـلى مركـز مديريّـة أمـن البصـرة!! حيـث تـمّ القبـض عـلى فخـري عـودة وشـقيقته ليـلى وعلـى سـناء وحيـاة وهيفـاء وفتاتيـن مـن «الجنينـة» إحـداهما طالبـة فـي كليّـة الطـب وجميعهـن ارتديـن الأكفـان تحـت الثيـاب اسـتعداداً للمواجهـة والرحيـل!

فـي ذلـك اليـوم الخريفـي الحزيـن وفـي ضـحى يـوم ٢٢ تشريـن الأول تـمّ وأد العمليّـة البطوليّـة فـي المهـد وتسرّبـت معلـومات حـول استشـهاد الفتيـات بعضهـنّ تحـت التعذيـب الوحشـي وبعـض آخـر تـمّ اقتيادهـنّ إلى منطقـة صحراويّـة عـلى الطريـق المؤدّيـة إلى السـعوديّة بالقـرب مـن جبـل «سـنام».

اضطـر عبدالأميـر إلى التـواري عـن الأنظـار والتواصـل مـع رفاق الـدرب عـلى نحـو حـذر..

كثفـت مديريّـة أمـن البصـرة دورياتهـا بحثـاً عـن شـاكر صيهـود وعبدالأميـر وشـقيقه عبـد الامام.. وتمكّنـت فـي آذار ١٩٨١ مـن القبـض عليـه قـرب محطّـة الوقـود فـي سـاحة سـعد خلال مواجهـة ضاريـة أدّت إلى نسـف محطّـة الوقـود

واستشـهاد رفيقـه..

أمّـا عبدالأميـر وشـقيقه عبـدالإمام ورفيقـهما فقـد كانـوا مسـتمرين فـي كفاحهـم الدامـي المريـر..

وفي منتصـف أيلـول.. وقعـت عينـا عبدالأميـر عـلى مجلّـة «ألـف بـاء» وقـد تصـدّر الـغلاف «مانشـيت» عريض:

– «أخطر رجل في حزب الدعوة يعترف!»

وفـي تلـك الليلـة الصيفيّـة وعـلى ضـوء فانـوس خافـت الضـوء كان عبدالأميـر يقـرأ المقـال ويحـاول قـراءة ما بيـن السـطور..

– «ألـف بـاء» تلـك المجلّـة الأسـبوعيّة التـي لا تكـف عـن نشـر الأكاذيـب.. بـوق مـن أبـواق «البعـث» الماسـوني! تداعـت فـي ذاكـرة عبدالأميـر حـوادث الأمـس القريـب.. عنـدما انتفضـت الجماهيـر بوجـه سـلطة البعـث فـي صفـر عام ١٩٧٧.. كان البعثيّـون سـكارى تـماماً.. قـد اسـكرتهم السـلطة والثـروة..

«ألـف بـاء» تطبّـل ضـد «الرجعييـن» لكنّهـا لـم تـجرؤ عـلى التفـوّه ضـد المحكومين بالاعـدام.. لـم تـجرؤ علـى توجيـه تهمـة العمالـة للمنتقضيـن انتفاضـة صفـر الكبـرى.. كانـت مـن النقـاء بحيـث لـم يـجرؤ البعثيّـون عـلى اتّهـام الثـوار بالعمالـة للأجنبـي!!

أمّـا بعـد انتصـار الثـورة الإسلاميّـة واصطفـاف المخنثيـن مـن الأعـراب خلـف الطاغيـة صـدّام المجـرم فقـد وجـدت عصابـة البعـث الماسـوني فـي إيـران الثـورة شماعـة وراحـت تعلـق علّيهـا جميـع ما تواجهـه مـن مشـكلات فـي تركـيع الشـعب..

صعّـد نظـام العفالقـة مـن حـملات البطـش واسـتخدموا أقـسى أسـاليب

التعذيب وسخّروا ماكنة الاعلام العربي والغربي وراحوا ينفقون المليارات لتشويه سمعة قادة الثورة.. وقد وصل الأمر إلى ظهور فلم قصير على أنّه تقرير مصوّر من خطوط القتال داخل الأراضي الإيرانيّة يظهر فيه «أسير عراقي» يربط من يديه ورجليه إلى أربع سيّارات عسكريّة وكلّ سيّارة تنطلق نحو اتّجاهات أربعة.. فيتمزّق الأسير إلى أربع قطع!!

لكن الحقيقة كما هي الشمس لا تبقى خلف السحاب إلى الأبد.. وتبين أن شركة انتاج سينمائي ايطاليّة هي من وراء هذا «التقرير المصوّر» الذي انتشر على نطاق واسع وقد أدانت محكمة ايطالية الشركة والزمتها بدفع غرامة ماليّة كبيرة!!

ألف باء تصف الدكتور شاكر صيهود بالمجرم وهو من جيل الملائكة.. هذا الجيل الفريد الذي لن يتكرّر أبداً.. الجيل الوحيد الذي يستحق كلمة إنسان.. على النقيض من الكائن البعثي الذي هو أسوأ من الشيطان!!

من المؤكّد ان «ألف باء» إنّما ترمز إلى «ا ب ل ي س» وهي تتحدّث بغيظ عن جيل الملائكة بلغة تفوح منها روائح الصديد وتكشف عن تعاون الاعلام البعثي مع دوائر الاستخبارات..

قالت «ألف باء» ان شاكر صيهود تمكن من الهرب إلى فرنسا بعد أن تنكر اثنان من زمر حزب الدعوة العميل بزي أطبّاء وأخرجوه من المستشفى الذي كان يتلقى فيه العلاج وانّه صرّح بخروجه من الحزب بعد أن اكتشف ارتباطاته المشبوهة!!

ابتسم عبدالأمير بمرارة ساخراً من مقالة ألف باء السخيفة المتناقضة!!

الله وحده الذي يعلم ما يدبّر ويخطّط له الشيطان!! لقد استشهد

شـاكر صيهـود سـواد[١] تحـت التعذيـب الهمجـي أو تمـت تصفيتـه بأوامـر شـخصيّة - مـن المجـرم فاضـل البـراك..

في تلـك الليلـة الحزينـة وقـد سـاد الـظلام بعـد انقطـاع التيـار الكهربائي.. قالـت سـميرة وهـي تشـعل شـمعة مـن أجـل الذيـن يرحلـون إلى المجهول:

– المؤلـم ان بعـض النـاس لا يقـدرون كل هـذه التضحيـات.. أن يعشـق الانسـان الثـورة الإسـلاميّة ويوالـي قائدهـا يصبـح متّهـماً بأنّـه خمينـي..

قال عبدالأمير:

– والله أنـا أفتخـر أن أكـون خمينيـاً.. ألـم يقـل محمّـد باقـر الصـدر: ذوبـوا فـي الإمام الخمينـي كـما ذاب هـو فـي الإسـلام!

قالت سميرة بحزن: لكن هذا هو الواقع.

أجـاب عبدالأميـر: سـلطات البعـث وعـلى مـدى أكثـر مـن عشـر سـنين كانـت تعمـل عـلى مسـخ هويّـة المجتمـع ويلقنـون الأطفـال والشـباب عقائـد

---

١. شـوهد الدكتـور شـاكر صيهـود فـي آب عام ١٩٨١ فـي ما يعـرف بـ «معتقـل المسـتوصف» فـي الشـعبة الخامسـة فـي مديريّـة الأمـن العامّـة فـي بغـداد شـرق شـارع النضـال وهـذا المعتقـل يشـتمل عـلى غـرف ومنهـا غـرف التحقيـق التـي تكتـظ بالمعتقليـن نسـاءً وأطفـالاً وشـباناً، ولا يسـمح بالـخروج مـن الغرفـة إلّا للتحقيـق أو لقضـاء الحاجـة مـرّة واحـدة فـي اليـوم ولمـدّة ٣٠ ثانيـة فقـط والمبنـى فـي الأصـل كان مسـتوصفاً ثـمّ أُلحـق بـ «الأمـن العامـة» وقـد اشـرف عـلى التحقيـق مـع الدكتـور الشـهيد العميـد سـعدون صبـري العـزاوي (القيسـي) مديـر الشـعبة الخامسـة فـي الأمـن العامّـة منـذ عام ١٩٧٦ تـدرّج مـن رتبـة ملازم أوّل الى نقيـب ثـمّ إلى مقـدم ثـمّ إلى عميـد ثـمّ إلى لـواء ويعـرف بـ «أبـو أسماء». أشـرف عـلى العديـد مـن عمليّـات الاعـدام والتصفيـة والتعذيـب؛ اشـرف عـلى اعتقـال السـيّد الشـهيد محمّـد باقـر الصـدر وأختـه العلويّـة بنـت الهـدى «سلام الله عليـهما» انظر كتـاب ذكريـات وخواطـر.. رحلتـي مـع الإمام الشـهيد محمّـد باقـر الصـدر. تأليـف السـيّد محمـود الخطيـب ص٢٣٧ - ٣٥٧. وهـذا الكتـاب فـي غايـة الأهميّـة لما يشـتمل عليـه مـن معلـومات وتوثيقـات خطيـرة.

وقيم حزب البعث.. وهي على النقيض تماماً مع قيم الدين الإسلامي ومكارم الأخلاق!

بالمقابل هذ المواجهة الدامية ضد نظام البعث ستؤتي ثمارها في المستقبل.. ولن تذهب دماء آلاف الشهداء دون جدوى! وسيشهد الجيل القادم سقوط نظام العفالقة.. وسيكون يوم سقوطهم مدويّاً!

أما نحن فراحلون وهذه قوافل الشهداء ترحل إلى أرض الوطن..

توهجت في وجدانها كلمات الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب مؤسّس البلاغة في دنيا العرب:

– «فليصدق رائد أهله وليكن من أبناء الآخرة فانّه منها قدم وإليها ينقلب».

أمّا عبدالأمير فقد دوّى في أعماقه نداء حسين العصر الأخير:

– «وأنا أُعلن لكم يا أبنائي أني قد صمّمت على الشهادة ولعلّ هذا آخر ما تسمعونه منّي وأن أبواب الجنّة قد فتحت لتستقبل قوافل الشهداء حتّى يكتب الله لكم النصر».

نهض عبدالأمير ليستخرج شريط كاسيت كان قد خبأه بعيداً.. وضع الشريط في جهاز التسجيل الصغير لينبعث صوت شجي لشاعر عراقي شريد:

– لا تقل لي أنّه ما زال في العشرين عودي

لا تؤمّلني جميل العيش في القصر المشيد

لا تقل عن ضنك السجن وعن ثقل القيود

لا تقل عن غرف التعذيب عن نزع الجلود

انّه الدرب الذي يعرفني قبل وجودي

إنّه الدرب الذي ضمّ رفاقي وجدودي

درب عمّار وفي متنيه آثار الحديد

وبلال في بطون الرمل في القيظ الشديد

بالذي ردّ به التمّار للطاغي العنيد

بوصايا الثائر المصلوب للأعواد زيد

بصمود ابن جبير وهو محزوز الوريد

بالذي تعرفه الأجيال عن حجر الشهيد

دربهم دربي وممّا وردوا ألقى ورودي

فاشهدي يا هذه الدنيا ويا كلّ الوجودِ

قد رفضت العيش في ذلٍّ فذا عيش العبيد

ورضيت الموت لم أخسر به غير قيودي

كانت الشمعة تذوب بصمت وهي تذرف الدموع وشيئاً فشيئاً راحت تخبو وتخبو إلى أن انطفأت وساد الظلام..

**الرحيل وشيك**

فـي تلـك الليلـة الخريفيّـة.. ليلـة الثانـي والعشريـن مـن تشريـن الأوّل ١٩٨١ كانـت سـميرة مسـتغرقة فـي صلاة الليـل.. ايمان غافيـة فـي المهـد وجههـا القمحـي يشـعّ بـراءة..

وعلي مقربة منهما كان عبدالأمير يهمس بمناجاة «المعتصمين»:

يا مَلاذَ اللّائِذينَ!

وَيا مَعاذَ الْعائِذينَ!

وَيا مُنْجِىَ الْهالِكينَ!

وَيا عاصِمَ الْبائِسينَ!

وَيا راحِمَ الْمَساكينِ!

وَيا مُجيبَ الْمُضْطَرّينَ!

وَياكَنْزَ الْمُفْتَقِرينَ!

وَيا جابِرَ الْمُنْكَسِرينَ!

وَيا مَأوَى الْمُنْقَطِعينَ!

وَيا ناصِرَ الْمُسْتَضْعَفينَ!

وَيا مُغيثَ الْمَكْرُوبينَ!

وَيا حِصْنَ اللاّجينَ!

اِنْ لَمْ اَعُذْ بِعِزَّتِكَ فَبِمَنْ اَعُوذُ؟!

وَاِنْ لَمْ اَلُذْ بِقُدْرَتِكَ فَبِمَنْ اَلوُذُ؟!

هوّمت عيناها مستغرقة في نوم عميق لتلج عالماً آخر.. عالم الأطياف والأحلام حيث تبدو الحقائق في اهاب من الرموز وتنفتح نوافذ الأفئدة على بعض المغيبات في آفاق الحياة وأعماق الانسان..

سميرة ترتدي حلّة الزفاف تفتقد شريك العمر ورفيق الدرب.. تنادي: عبدالأمير! عبدالأمير! عبدالأمير!

انتبهت من نومها على رنين ساعة منضديّة قديمة!

يالجلال هذه الساعة!

ساعة السحر.. ساعة لا تنتمي إلى ساعات الليل ولا إلى ساعات النهار.. ساعة من الزمن مفعمة بالسكينة والجلال.. يصفو فيها القلب ويتألق فيها الضمير والوجدان.. ساعة تشعّ فيها إنسانيّة الإنسان..

بعد دقائق ستحلّ الذكرى الأولى لرحيل شقيقتها ليلى وشقيقها فخري إلى المجهول.. إلى حيث لا يعلم أحد إلاّ الله..

منذ أن كانت في العشرين من ربيع العمر تعلّق قلبها بـ «الصحيفة السجّاديّة» وكانت تقرأ على الدوام أدعية الأيّام وحفظتها بمرور الأيّام ويطيب لها أن تتلو آيات من القرآن في الأسحار وتكون المناجاة في الدقائق الأخيرة من ساعة السحر..

تنتقل من مناجاة إلى أخرى كفراشة تدور حول الشموع.. شموع الحب الالهي..

أحياناً تهمس بمناجاة المطيعين:

اَللّهُمَّ اَلْهِمْنا طاعَتَكَ!

وَجَنِّبْنا مَعْصِيَتَكَ!

وَيَسِّرْ لَنا بُلُوغَ ما نَتَمَنّى مِنْ اِبْتِغاءِ رِضْوانِكَ!

وَاَحْلِلْنا بُحْبُوحَةَ جِنانِكَ!

ومناجاة المريدين:

سُبْحانَكَ ما اَضْيَقَ الْطُّرُقَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَليلَهُ!

وَما اَوْضَحَ الْحَقَّ

عِنْدَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبيلَهُ!

اِلهي فَاسْلُكْ بِنا سُبُلَ الْوُصُولِ اِلَيْكَ!

وَسَيِّرْنا في اَقْرَبِ الطُّرُقِ لِلْوُفُودِ عَلَيْكَ!

قَرِّبْ عَلَيْنَا الْبَعيدَ!

وَسَهِّلْ عَلَيْنَا الْعَسيرَ الشَّديدَ!

وَاَلْحِقْنا بِعِبادِكَ الَّذينَ هُمْ بِالْبِدارِ اِلَيْكَ يُسارِعُونَ!

وَبابَكَ عَلَى الدَّوامِ يَطْرُقُونَ!

ومناجاة المحبين:

اِلهي مَنْ ذَاالَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنْكَ بَدَلاً؟

وَمَنْ ذَاالَّذي اَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغى عَنْكَ حِوَلاً؟

اِلهي فَاجْعَلْنا مِمَّنِ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوِلايَتِكَ!

وَاَخْلَصْتَهُ لِوُدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ!

وَشَوَّقْتَهُ اِلى لِقآئِكَ!

أمّا مناجاة «العارفين» فقد كانت تأخذ بقلبها فتهيم في عوالم بعيدة عن ويلات الأرض.. عوالم مفعمة بالصفاء والسكينة والجلال..

اِلهي قَصُرَتِ الْأَلْسُنُ عَنْ بُلُوغِ ثَنآئِكَ.. كَما يَليقُ بِجَلالِكَ..

وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ اِدْراكِ كُنْهِ جَمالِكَ..

وَانْحَسَرَتِ الْأَبْصارُدُونَ النَّظَرِ اِلى سُبُحاتِ وَجْهِكَ..

وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَريقاً اِلى مَعْرِفَتِكَ.. اِلاّ بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ..

اِلهي فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذينَ تَرَسَّخَتْ اَشْجارُ الشَّوْقِ اِلَيْكَ في حَدآئِقِ صُدُورِهِمْ..

وَاَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجامِعِ قُلُوبِهِمْ..

فَهُمْ اِلى اَوْكارِ الْأَفْكارِ يَأْوُونَ..

وَفي رِياضِ الْقُرْبِ وَالْمُكاشَفَةِ يَرْتَعُونَ..

وَمِنْ حِياضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلاطَفَةِ يَكْرَعُونَ..

وَشَرايِعَ الْمُصافاتِ يَرِدُونَ..

قَدْ كُشِفَ الْغِطآءُ عَنْ اَبْصارِهِمْ..

إلهي ما ألذّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب!

وما أحلى المسير إليك بالأوهام في مسالك الغيوب!

وكان مسك الختام بعد أداء صلاة الفجر دعاء يوم الثلاثاء الذي تحفظه عن ظهر قلب:

– اللهمّ اجعلني من جندك.. فان جندك هم الغالبون!

واجعلني من حزبك فان حزبك هم المفلحون!

واجعلني من أوليائك فان أوليائك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون!

تجمّعت في عينيها الدموع وشعرت بروحها تنصهر مع الوجود اللا متناهي وتناهى إلى أذنيها نشيد التوحيد يخترق قطرات مطر خريفي كانت تساقط على هون..

– الله أكبر.. الله أكبر..!

وعاد الصمت يخيّم على الأشياء من جديد ما خلا وشوشة المطر وهو ينقر النوافذ الزجاجيّة برفق!

## الليلة الأخيرة

حلّ المساء ونشر الليل ستائره في سماء مثقلة بالغيوم وجبال من سحب معصرة تختزن البروق والرعود.. الليلة هي آخر ليلة وغداً سيطلّ عام ميلادي جديد.. الله سبحانه هو الذي يعلم ماذا يحمل عام ١٩٨٢؟!

لم تغمض عيناه تلك الليلة الأخيرة من خريف ١٩٨١ كانت السماء مزدحمة بالغيوم.. وقطرات المطر الناعمة تتطاير في الفضاء الواسع..

نهض من فراشه وراح يتطلّع إلى وجه ابنته ايمان؛ الوجه القمحي البريء يحمل ملامح وجه أُمّها..

قلبه مترع بالأسى ونظراته فيها شيء من الإعتذار.. قريباً ستكون يتيمة الأب.. وربما ستكون يتيمة الأبوين.. من يدري؟!

الأخبار.. أخبار رفاق الدرب في المهجر لا تبشر بالخير.. هنا داخل هذا السجن الرهيب.. يتطلّع المقهورون إلى ما وراء الحدود.. إلى الشرق.. إلى الأرض التي أشرقت فيها شمس الثورة الإسلاميّة.. لكن للأسف.. ما تزال هذه الشمس محاصرة بالسحب الجليد وقد وقف العالم من العرب والشرق والغرب ضد النظام الجديد لأنّه لا يخضع للشرق السوفيتي الشيوعي ولا للغرب الرأسمالي الأمريكي لأنّ الشعب الايراني اطلقها مدويّة:

لا شـرقيّة.. لا غربيّـة!

رفاق الـدرب والمصيـر فـي المهجـر انزلقـوا إلاّ مـن عصـم الله إلى الصـراع عـلى المواقـع والامتيـازات وابتعـدوا كثيـراً إلاّ مــن علـم الله عـن «جهـاد الخنـادق» وبـدأوا بالانخـراط فـي «جهـاد الفنـادق»!! كـم اسـتنجدوا بهـم!! كـم اسـتغاثوا!! لكـن ما مـن مجيـب! وضاعـت فـي حـمى الصـراع «الداخلـي» وصخـب الحيـاة الدنيويّـة كلمات السـيّد الشـهيد محمّـد باقـر الصـدر فـي ندائـه الأخيـر:

– «.. وعلـى كلّ عراقـي فـي خـارج العـراق أن يعمـل كلّ ما بوسـعه ولـو كلّفـه ذلـك حياتـه.. مـن أجـل إدامـة الجهـاد والنضـال لإزالـة هـذا الكابـوس عـن صـدر العـراق الحبيـب وتحريـره مـن العصابـة اللاانسـانيّة..»

أجـل والله يـا سـيّدي ان حكـم البعـث هـو كابـوس يجثـم بقسـوة عـلى صـدر العـراق..

آلاف الشـباب يسـاقون إلى أعـواد المشـانق.. وعشـرات الآلاف مـن شـباب العـراق يسـاقون إلى الخنـادق فـي حـرب لا يؤمنـون بهـا.. حـرب قـذرة فرضـت فرضـاً عـلى شـعبين شـقيقين..

ماكنـة الإعلام فـي حـزب البعـث الماسـوني ينعـت الشـعب الايرانـي المسـلم بـ «الفـرس المجـوس».. الشـعب الـذي اسـتلهم ثورتـه الإسلاميّـة مــن نهضــة عاشــوراء..

الشـعب الـذي أعلـن آخـر جمعـة مـن شـهر رمضـان المبـارك يـوماً عالميّـاً للقـدس.. الشـعب الـذي أعلـن انّـه دولـة مواجهـة ضـد إسـرائيل وسـلّم مبـنى سـفارتها فـي طهـران لتكـون سـفارة لفلسـطين..

هذا الشعب يفرض عليه الطاغية صدّام المأبون حرباً ظالمة..

كما شـنّ حربـاً شـعواء ضـدّ الشـعب العراقـي وتحـوّل العـراق إلى مـسرحٍ رهيـب لعمليّـات دمويّـة.. واقبيـة التعذيـب تلتهـم المئـات بـل عشـرات الألـوف الذيـن يستشـهدون تحـت سـياط الجلّاديـن..

وفـي غمـرة هـذه الملحمـة مـن الصـراع.. ثمّـة أمـل ما يـزال يشـعّ حـتّى الآن فـي قلـوب المجاهديـن والمناضليـن.. فالكفـر قـد يـدوم ولكـن الظلـم لـن يـدوم!

مـع بـدء زقزقـة العصافيـر فـي شـجرة «النبـق» غادر عبدالأميـر بيتـه فهنـاك مـن ينتظـره.. وقـد حـان موعـد تنفيـذ عمليّـة هجـوم عـلى مقـرّ المنظمـة الحزبيّـة وتحريـر المعتقليـن!

* * *

سـميرة تسـتيقظ تجـد تحـت وسـادتها ورقـة صغيـرة وكلمات مكتوبـة بخـط جميـل:

حبيبتي!

لا تحزني!

سيحمل النخيل أحلامنا!

وحبنا الكبير

حبيبتي!

لا تحزني

ستنقل الأنهار من بذورنا الكثير

حبيبتي!

حبيبتي!

لا تحزني!

ستعشب الضفاف في السواقي..

وينبت الريحان وتكبر السنابل

لن تعطش الحقول

فالمياه ما تزال في الجداول

حبيبتي!

لا تحزني!

* * *

**بلا وداع.. سنلتقى**

لمح عبدالأمير من بعد شقيقه «عبدالامام» واقفاً يترقّب.. حيّا الشقيق شقيقه الأكبر.. وانطلقا إلى أحد رفاق الدرب المرير.. كان من المقرّر تجهيزهما برشاشتي كلاشنكوف وبعض الذخيرة..

وكانت عناصر الاستخبارات على علم بما يتمّ التحضير له من عمليّات ضد عدد من مراكز الأمن والمقرّات الحزبيّة التي استحالت منذ سنين إلى مراكز أمنيّة مسلّحة تقوم بمهام الاعتقال والتعذيب الوحشي!

لهذا كانت الاستخبارات قد كثفت من انتشارها منذ أيّام..

وكان عبدالأمير عبدالصمد المطلوب رقم اثنين بعد القبض على الدكتور شاكر صيهود سواد!

وفي هذه المرّة كان «الرفيق سلام» مدير اعداديّة الجمهوريّة ومعه كلابه في المنظمة الحزبيّة متحمساً للقبض على عبدالأمير.. لهذا كان يرافق النقيب ماجد ذلك الوحش الذي يختبى وراء وجه وسيم الملامح!

كانت السماء مثقلة بغيوم داكنة وقد تراكمت جبال من السحب المعصرة.. قطرات المطر تساقط على هون وقد سكنت الريح..

عبدالأمير يقود دراجته في طريقه إلى الهدف وتنفيذ عمليّة هجوميّة عندما اعترضته ذئاب أمن البصرة ومعهم «الرفيق سلام».. كان ذلك بالقرب من مستشفى الموانئ!

استعدّ الشقيقان للمواجهة واندلعت معركة ضارية البعثيون يطلقون الرصاص عشوائيّاً.. وسقط عدد من المارّة والعابرين.. كان عبد الأمام يتقدّم ليحمي أخاه وشقيقه ورفيق الدرب وكان ازيز الرصاص يصمّ الآذان!

وشيئاً فشيئاً تراجع ازير الرصاص وانتهت المعركة بنفاد الذخيرة..

الجراح تنزف دماً قانياً.. وسرى الخدر في الجسد الآدمي الذي مزّقه رصاص البعثيين الأوغاد..

وآن لعبدالأمير أن يغفو بسلام..

ليلة الحادث لم يغمض له جفن كان واقفاً ينظر إلى أشجار النخيل في غمرة الظلام والمطر!!

أفكار تطفو على السطح كفقاعات في مياه بحيرة تتلقى قطرات المطر! ينظر إلى ما وراء الأيّام.. سوف نرحل.. نرحل بعيداً.. مع الماضي.. سنصبح جزءاً من التاريخ.. والتاريخ هو وحده الذي سيذكرنا! في داخله أشعار قالها ذات يوم شهيد:

– أنا لست أدري هل ستكتب قصّتي؟

أم سوف تطويها رحى النسيان!

أو أنّني سأكون في تاريخنا متآمراً؟

أو هادم الاوثان؟!

كلّ الذي أدريه ان تجرّعي كأس المذلّة

ليس في امكاني..

فإذا هويت.. هويت أحمل عزّتي

يغلي دم الأحرار في شرياني

الدماء القانية تتدفق من الجراح.. خمد ازيز الرصاص وشيئاً فشيئاً كان زعيق البعثيين ونعيقهم يخفت ويتلاشى وكان آخر ما سمعه صراخهم:

– هذوله خمينيين! خمينيين!

ارتسمت على وجهه ابتسامة فخر! انه لشرف كبير أن يكون المرء خمينياً في زمن البعث.. عندما يكون الانسان خمينياً فهذا يعني أنّه حسيني حتّى النخاع.. فالخميني هو وارث الحسين بن عليّ وثورته وهج من شمس عاشوراء..

ألم يقل السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر عند سمع راديو طهران يهتف:

– هنا طهران صوت الثورة الإسلاميّة في إيران.

ألم يقل في تلك الظهيرة العظمى في الحادي عشر من شباط ١٩٧٩م:

– «لقد حقّق الإمام الخميني أحلام الأنبياء»

ولذلك أوصى الدعاة إلى الله قائلاً:

– ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام..

روحه تحلّق في الفضاء بين السماوات والأرض.. يمرّ ببيته.. تطّلع إلى وجه ابنته تغفو بسلام.. يتطلّع إلى وجه رفيقة الدرب والعمر والحياة.. لك الله يا حبيبتي:

لا تحزني سنلتقي بعد حين! سأبقى انتظر قدومك ولن يطول الانتظار!

الروح الطاهـر يـعرج إلى هنـاك.. إلى أرض الوطـن.. إلى العالـم الـذي قـدم منـه..

الروح يخلـع رداءه الطينـي فـي مـسرح المواجهـة الداميـة ويحلّـق بعيـداً عـن ويلات الأرض.. لـم يعـد يسـمع زعيـق البعثييـن الجبنـاء وهـم يطلقـون الرصـاص عـلى الأبريـاء ويصرخـون بخبـث: ان هـؤلاء خمينيـون يطلقـون الرصـاص عـلى النـاس!!

أجـل هـذا ديـدن البعثييـن الأوغاد كـذب وخـداع وقتـل وسـفك دماء وانتهـاك للحـرمات.. مـن أجـل ذلـك أعلنهـا صرخـة مدويّـة؛ الشـهيد الشـيخ عارف البصـري أمام محكمـة البعـث فـي عام ١٩٧٤ عنـد ما قال:

– لو كان اصبعي بعثيّاً لقطعته!

## حقل الأحزان

سميرة قلبها فارغ.. كانت تهدهد طفلتها وتترقب عودة الحبيب ورفيق الدرب لكن دون جدوى.. تشعر بالقلق يعصف بقلبها وتنتابها الهواجس.. مضى من الليل شطر ولا أثر.. ومثلما تخبو الشموع في ليالي الزمهرير كانت الآمال بعودة أبي ايمان تنحسر مخلّفة فراغاً في القلب..

إيمان ذات الخمسة عشر شهراً تبكي في المهد.. لا تعرف لبكائها سبباً.. تضمّها.. تقبّلها بشوق.. راحت تمسح على شعرها الحريري بحنان!

ترى ماذا سيكون مستقبل هذا الجيل في زمن البعث؟ أي مستقبل ينتظر هذا الجيل والأجيال التي تليه؟!

توهجت في أعماقها كلمات قالها عبد الأمير ذات مساء:

– حزب البعث.. جسم غريب ومآله إلى الزوال مهما امتدّ به الزمن وسيكون مصيره إلى نفايات التاريخ.. هذا هو مصير الطغاة.. ونهاية الجناة!

إيمان تبتسم.. فتبتسم أُمّها.. وتضمّها إلى صدرها ايمان تغمض عينيها وتغفو بسلام..

المطـر يتسـاقط عـلى هـون.. فيثيـر فـي أعماق النفـس الانسـانيّة شـعوراً بالانـدماج مـع الأبديّـة.. هنـاك خلـف خيـوط المطـر وفـي ما وراء السـحب الداكنـة عالـم تغمـره الأنـوار البهيّـة لشـمس كانـون الدافئـة..

أيقنـت سـميرة أن زوجهـا الحبيـب لـن يعـود.. لقـد خلـع رداءه الطينـي وانطلـق مـع قوافـل الشـهداء فـي عمـق الـسماوات والزمـن..

سـرعان ما انتشـر الخبـر.. كان مشـهد المعركـة مثيـراً تناقلتـه الألسـن واسـتحال حكايـة يرويهـا الآبـاء للأبنـاء.. يقـال أن أحـد الشـهيدين بقـي مسـتنداً للجـدار حـتّى الرمـق الأخيـر وإلى آخـر رصاصـة وأنّـه لفـظ أنفاسـه الأخيـرة واقفـاً.. أجـل استشـهد واقفـاً كما النخيـل.

## ثأر الشهيد

استحالت مدينة البصرة إلى مسرح لعمليّات دمويّة رهيبة منذ تولّي الطاغية الأرعن صدّام رئاسة الجمهوريّة فكانت اعواد المشانق وأحواض التيزاب وماكنات «الثرم» المنصوبة على ضفاف دجلة تلتهم الشباب.. أمّا جبهات الحرب فقد استحالت إلى مذابح يساق لها الشباب سوقاً وكانت فرق الاعدام بالمرصاد لمن يفرّ ويتراجع!

وبات واضحاً أنّ صدّام المجرم ينفذ خططاً امريكيّة مدعومة اقليميّاً للاطاحة بنظام الثورة الإسلاميّة.. حيث بدأ العزف على أوتار الطائفيّة والقوميّة وظهرت حركات عنصريّة تهدف إلى تقسيم إيران إلى دويلات وقد صرّح صدّام مرّة قائلاً:

– انّنا عازمون على تقسيم إيران إلى دويلات متعدّدة..

سميرة أم إيمان تقف أمام مفترق طريقين إمّا أن تتوارى عن الأنظار وتعيش من أجل ابنتها الصغيرة أو تواصل طريق زوجها وحبيبها الشهيد!!

ولم يكن هناك تردّد في الاختيار!

استخرجت «المسدس» الذي كانت قد خبأته في الحديقة الصغيرة كان معبأً بسبع رصاصات!!

وكان الثـأر واضحـاً «الرفيـق سلام» مديـر إعداديّـة الجمهوريّـة.. يعنـي أقـذر عضـو قيـادة فرقـة فـي منـظمات حـزب البعـث الاجراميّـة.. حصـدت تقاريـره أرواح عشـرات الشـباب البصـري الأبـي.. كان عـلى تواصـل مسـتمر مـع النقيـب ماجـد فـي مديريّـة أمـن البصـرة.. ذلـك الوحـش المفتـرس!!

سلام الـذي ينحـدر مـن قضـاء القرنـة اسـتحال إلى عنصـر أمنـي وانسـلخ عـن انسـانيته ورسـالته فـي التربيـة والتعليـم!

مرتـزق وصولـي يكـره الخيـر ويميـل إلى الـشرور.. مسـخ ليـس فيـه ذرّة شـرف وغيـرة ورجولـة.. يضمـر حقـداً للأسـتاذ عبدالأميـر عبدالصمـد لأنّـه نقيضـه تماماً.. للشـيطان نفسـه قـد بـاع.. وأمـسى بعثيّـاً حـتّى النخـاع!!

قرّرت سـميرة أن تفطـم ابنتهـا وقـد بلغـت ثمانيـة عشـر شـهراً.. كانـت تستشـرف المسـتقبل رأت قبـل ليالـي فـي عالـم الرؤى والأحلام زوجهـا ورفيـق الـدرب يمـدّ لهـا يـده.. يلـوّح لهـا بالقـدوم!

أدركـت أنّ النهايـة باتـت قريبـة.. وأن سـاعة اللقـاء بالحبيـب تقتـرب.. لا يمكنهـا مواصلـة العيـش فـي زمـن رديء يسـود فيـه الأوغاد والجبنـاء ويـذبح فيـه الشـرفاء! لا يمكنهـا مواصلـة العيـش فـي وطـن يتحكّـم فـي مصيـره البعثيّـون النغـول!

حتام تبقى في جحيم البعث والمحن؟!

يا أيّها الوطن المقهور يا وطني!

تغتال دفئك أوباش البغاة.. فلا تثور ولا تثأر من العفن؟!

يا مهد نوحٍ وإبراهيم ما اندثرت..

فيك النبوءات.. يا قيثارة الزمن..

مالي أرى شمسك الزهراء.. منطفئاً بها الشعاع..

فلا دفء.. أيا وطني!

حتّى لياليك.. ما طلعت فيها النجوم..

وما انتفضت من الكفنِ..

روح تمجّد روح الله.. أُغنيةً.. فأساً.. تهشم رأس المارد الوثنِ..

ربيعاً كنت في الأعصار والزمنِ

فكيف تناثرت جنّاتك الخضراء.. ياوطني؟!

ماذا دهى الكوفة السمراء.. صامتة.. تجترّ حزن ليالي البرد والفتن!

ماذا دهى البصرة الفيحاء.. إذ ذبحت بها النخيل.. وقد ضجّت من الدمن؟!

ألا تثور على الأوغاد في غضبٍ.. وتستعيد رؤى الأسرار في العلن..

بغداد يا زهرة الدنيا وزينتها..

ويا عروساً ويا أسطورة المدن..

ماذا دهى أرضنا المعطاء نائمة.. فيها قرانا.. أما سئمت من الوسن؟!

ماذا دهى وطن الأضواء مظلمةً.. فيه الليالي.. وما انفكّت من الحزن..

يا مخزن الغضب الجبّار.. يا قبساً من النهار.. ويا طيفاً من العدن..

هيا إلى ثورةٍ حمراء داميةٍ.. ومت كريماً.. وإلّا هِنت يا وطني!

حتام تبقى في جحيم البعث والمحنِ.. يا أيّها الوطن المقهور يا وطني؟!!

**البصرة ٢٥ شباط ١٩٨١**

امرأة ريفيّة تعصّب رأسها بـ «فوطة» سوداء ترتدي عباءة قديمة..

مـن يراهـا يحسـبها امـرأة فقيـرة قادمـة مـن ريـف البصـرة.. تقـف عنـد بوابـة اعداديّـة الجمهوريّـة للبنيـن التـي تقـع مقابـل «نـادي الادارة المحليّـة»..

المـرأة الريفيّـة تسـتأذن البـواب الجالـس عنـد مدخـل الادارة لمقابلـة مديـر المدرسـة.. البـواب سـمح لهـا بالدخـول فقـد جـاءت بالأمـس وقابلـت المديـر مـن أجـل نقـل ابنهـا إلى هـذه الاعداديّـة بسـبب تغيّـر منطقـة السـكن ولديهـا موعـد للمقابلـة!!

الطلبـة ما يزالـون فـي الصفـوف.. لكـن لـم تبـق سـوى عشـر دقائـق عـلى جـرس الفرصـة.. يجـب أن تنفـذ العمليّـة بـأسرع وقـت!

كان «الرفيـق سلام» منشـغلاً بالحديـث مـع «المعـاون» وبـدا ان حديثـهما يـدور حـول قضايـا أمنيّـة.. بالأمـس عنـد ما جـاءت للاسـتطلاع لاحظـت أحـد الادراج مكتـوب عليـه «أضابيـر خاصّـة»..

لـم يلتفـت إليهـا عنـدما دخلـت.. تقدّمـت نحـو مكتبـه خطوتيـن وقالـت تقطـع حديثـه:

– اسـتاد! جيـت البارحـة بخصـوص نقـل ابنـي للمدرسـة و.. قال بحـدّة وقـد بـدا وجهـه متجهـماً:

– أي نقل؟!!

– أمس جيت وگلت لي تعالي باچر وجيبي المستمسكات.

– صحيح.. صحيح.. وين المستمسكات؟

نظـرت إلى «المعـاون» يئسـت مـن خروجـه مـن المكتـب فتحـت حقيبتهـا المخبـأة تحـت العبـاءة ومـدّت يدهـا وأمسـكت بالمسـدس ووضعـت اصبعهـا عـلى الزنـاد.. وصوّبـت نحـو رأس المديـر فـوجىء «الرفيـق» وأراد أن يقفـز مـن مكانـه بحركـة جنونيّـة فصرخـت بـه:

– مكانك لا تتحرك وإلّا أفرغت الرصاص براسك!

استحال إلى جرذٍ مذعور:

– أختي! شنو القضيّة؟!! أكيد أكو اشتباه!!

افترت عن ابتسامة ساخرة:

– لا! ماكو أي اشتباه! رفيق سلام!

– من أنت؟!!

– أنا زوجة استاد عبدالأمير

– استاد عبدالأمير المدرّس اللّي مات قبل شهرين؟!!

– نعم! استاد عبدالأمير المدرّس اللّي انقتل بسبب غدرك وتقاريرك الأمنيّة.. أنت مدير مدرسة أو مدير أمن؟!!

نظر إليها بحقد:

– انت ست سميرة؟!!

– نعم أنا ست سميرة مدرسة اللغة العربيّة في اعداديّة خولة بنت الأزور..

أشارت إلى الدرج المكتوب عليه «اضابير خاصّة» وقالت:

– أكيد كلّ التفاصيل موجودة في «اضابيرك الخاصّة»!!

هنا حاول المعاون مغادرة المكتب فصوّبت المسدّس نحوه:

– مكانك لا تتحرّك!

تغيّرت لهجة الرفيق اضحى جرذاً مذعوراً وراح يتوسّل إليها بذلّ:

– أختي! أنا عندي أطفال.. عندي عائلة!

صرخت سميرة بغضب:

– ليش اللّي غدرت بهم ما عندهم اطفال.. زوجات.. عوائل؟!!

– انا ما عندي علاقة بقتل زوجك

– انا هنا لا لأجل الثأر لزوجي وحده! أريد آخذ ثار كلّ الأرامل والأمّهات الثكالى.. أنت كنت السبب في قتل عشرات الشباب!

راح المعاون يتوسل ويقول:

– انا ما عندي أي علاقة.. أنا بريء!

– لا تخاف.. القضيّة مو يمّك!

سميرة تقترب خطوة نحو «رفيق سلام» الذي تكوّر في مكانه كجرذ مذعور:

قالت سميرة:

– مجرم..جبان.. راح تنال جزائك بالدنيا.. وبالآخرة جهنم وبئس المصير!!

وفي اللحظة التي ضغطت فيها على الزناد.. استدار المجرم محاولاً الهروب فأصابت الرصاصة أسفل رقبته وعندما ضغطت على الزناد مرّة أخرى حشرت الرصاصة في رئة المسدس..

غادرت سميرة المكتب وقطعت ساحة المدرسة بخطى واسعة.. غير أن صوت الاطلاقة.. وصرخات المعاون دفعت بعض الطلبة إلى مغادرة الصفوف.. وراح بعضهم يطلق صيحاته قائلاً:

– خمينيّة! خمينيّة.. قتلت المدير!! خمينيّة!

يا لجهل هؤلاء!! يا لغبائهم.. أهكذا يفعل الاعلام البعثي بالنفوس

ويتلاعب بعقول الناس؟!!

أليس فخراً أن يكون الانسان خمينياً؟!

أليس عاراً أبدياً وخزياً أن يكون الانسان بعثياً؟!

يا له من فخر؟ بالأمس كان البعثيّون يصرخون وهم يطلقون النار على «عبدالأمير» وشقيقه:

– هذوله خمينيين! خمينيين!

واليوم زعيق هؤلاء الجهلة يصرخون:

– خمينيّة! خمينيّة! خمينيّة!

وصلت إلى بوابة المدرسة الخارجيّة لكن الهمج الرعاع من بعض الباعة المتواجدين في البوابة نساءً ورجالاً حاصروها وقبضوا عليها.. سميرة أسيرة في براثن ذئاب «أمن البصرة».. عصبوا عينيها.. ودفعها الضابط البعثي إلى داخل السيّارة التي راحت تنهب الطريق نحو منطقة «السيمر» حيث يجثم مبنى «مديريّة أمن البصرة» الذي سيعرف بـ «الليث الأبيض»!

ما تزال أصداء صيحات التلاميذ الباعة المتجولين في بوابة المدرسة تتردّد في أذنيها: خمينيّة! خمينيّة! خمينيّة! هل يصل الاعلام البعثي والضجيج والصخب الاعلامي إلى هذا المستوى من التأثير في تجهيل الناس وتسطيح الوعي؟!

أم أن سياسة البطش والقسوة وسفك الدماء والحكايات المسرّبة من أقبية التعذيب هي من وراء تدمير مراكز التفكير المنطقي لدى الانسان العراقي!!

لقد دمّر الرعب والخوف الشديد الشخصيّة العراقيّة فالانسان العراقي

فـي ظـل نظـام البعـث تعقـدت شـخصيّته وأصـبح لهـا ظاهـر وباطـن!

العراقـي ومـن أجـل أن يبـقى عـلى قيـد الحيـاة عليـه أن يبـدو «مواطنـاً صالحـاً» مطيعـاً منقـاداً مؤيّـداً لسياسـات النظـام عليـه أن يصفّـق بحـرارة لكلّ خطابـات السـيّد الرئيـس والقائـد الـضرورة عليـه أن ينتمـي إلى قطـيع حـزب البعـث العربـي الاشـتراكي!!

عليه أن يتطوع للقتال ضد الفرس المجوس!

عليه أن يتبرع بالمال والدم

عليه! وعليه! وعليه!

سـميرة معصوبـة العينيـن مكبلـة اليديـن.. لكـن قلبهـا كان متفتحـاً ووجدانهـا كان متيقظـاً وذاكرتهـا تختـزن كل تفاصيـل الليلـة الفائتـة.. ليلـة الـوداع.. فـي أعماقهـا كانـت موقنـة انهـا سـتكون الليلـة الأخيـرة..

كانـت ليلـة شـتائيّة طويلـة.. أمضـت سـاعات طويلـة وهـي مسـتغرقة فـي الـصلاة..

الـصلاة معـراج المؤمـن بـالله واليـوم الآخـر.. الـصلاة سـفينة فضائيّـة تـعرج بـالروح إلى عالـم بعيـد.. عالـم يرفـل بالـسلام تشـرق فيـه أنـوار بهيّـة ويغمـره الصفـاء.

سـميرة فـي ليلـة الـوداع الأخيـرة.. تحتضـن طفلتهـا الوحيـدة.. إيمان ذكـرى الحبيـب الراحـل إلى الأبديّـة!

ايمان كانت تحتضن لعبتها تداعبها.. لا تدري ماذا تخبىء لها الأقدار!

بقيـت سـميرة سـاهرة حـتّى مطلـق الفجـر.. الضبـاب يجثـم على مسـاحات واسـعة مـن مدينـة النخيـل والمياه!

وانطلـق نـداء التوحيـد مـن مئذنـة مسـجد قديـم.. نهضـت لأداء صلاة الفجـر!!

ربما سـتكون هـذه الـصلاة الأخيـرة فـي بيتهـا وقـد لا يقـدّر لهـا أن تصلّـي فـي هـذا البيـت.. مـن يـدري؟!

جلسـت قـرب جهـاز تسـجيل كانـت قـد وضعـت فيـه شريـط كاسـيت وراحـت تلقـي بوصاياهـا الأخيـرة:

بدأت كلامها بآيات من القرآن الحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

– ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين

ووجهت خطابها لشباب العراق الأحرار:

– أخي! لن يجتث أشواك عراقك غيرك!

طبعت قبلةً على رأس طفلتها الصغيرة وقالت:

– إيمان! حبيبتي! هذه ساعة الفراق

اسـتودعك الله وأرجـو أن يلهمنـي الصبـر عـلى فراقـك.. فهـو أدرى بما أعانـي!

غـشى النعـاس عينيهـا بعـد سـهر طويـل ثقـل جفناهـا وغمضـت عيناهـا.. وانزلقـت فـي خـدر النـوم..

فـي عالـم المنـام تنفتـح نوافـذ قلـب الانسـان المؤمـن عـلى ما وراء سـتائر الزمـن الدنيـوي!

رأت نفسـها ترتـدي فسـتاناً حريريـاً ناصـع البياض مـطرزاً بالـورود والرياحين الملونـة المضيئـة.. وعـلى رأسـها اكليـل مرصّـع باللؤلـؤ كانـت تخطـر فـي وادٍ

ظليـل تتخللـه السـواقي تنسـاب مياههـا الرقراقـة..

تتنـاهى إلى أذنيهـا صـوت تلاوة مـن آيـات القـرآن المجيـد.. ترهف سـمعها وقلبها بخشـوع:

– إنّ الذيـن قالـوا ربّنـا الله ثـمّ اسـتقاموا تتنـزّل عليهـم الملائكـة ألّا تخافـوا ولا تحزنـوا وأبشـروا بالجنّـة التـي كنتـم توعـدون..

عنـدما انتبهـت مـن غفوتهـا.. فتحـت المصحـف فوقعـت عيناهـا عـلى قولـه تعـالى:

– «قالـت ربّ ابـن لـي عنـدك بيتـاً فـي الجنّـة ونجّنـي مـن فرعـون وعمله ونجّنـي مـن القـوم الظالمين»

استبشـرت خيـراً وتضاعـف عزمهـا عـلى المضـي فـي طريـق حبيبهـا الراحـل الشهيد..

سـيّارة «الليـث الأبيـض» توقفـت فـي سـاحة المبنى حيـث يقيـم البعثيّـون حـفلات التعذيب الوحشـي..

فـي هـذا الـمكان الـذي حوّلـه البعثيّـون إلى جحيـم لا يطـاق تربـض وحـوش البعـث الكاسـرة.. بالأمـس كان «جـزار البصـرة» فاضـل حميـد الزرگاني واليـوم سـتجد سـميرة فـي اسـتقبالها الرائـد مهـدي الدليمـي.. الدميـم الوجـه القصيـر القامـة.. العصبـي المـزاج الـذي يمارس التعذيـب وهـو سـكران.. مـن أدواتـه المفضلـة اسـتخدام «التوثيّـة» لكنّـه يدمـن التعذيـب بالكهربـاء.. ما ان يفتـح فمـه حـتّى تفـوح منـه رائحـة الخمـر.. قاموسـه متخـم بالـكلمات البذيئـة.. مـعروف بأنّـه جبـان رعديـد..

سـتجد سـميرة النقيـب حسـين التكريتـي ذلـك المجـرم المتخصّـص بتحطيـم القفـص الصـدري لمـن يصمـد تحـت التعذيـب البعثـي الهمجـي

حيث يقوم بتوجيه ضربة قاسية بمؤخّرة قدمه ويتسبّب في تفجير آلام لا تطاق ونزف شديد يحيل الضحية إلى مجرد حطام.

أمّا النقيب إبراهيم اللامي المشهور بـ «الفلقة» فلقد لقي جزاءه العادل عام ١٩٨٠ على يد الشهيد الباسل «مسلم المياحي الوافي» وذلك عندما جاء البعثي الحقير لاعتقاله فاذا بالبطل يستعد للمواجهة وتمكّن من اصابته فأرداه قتيلاً ويرسله إلى جهنّم وساءت مصيرا!

سميرة.. سمراء الجنوب.. أسيرة في قبضة وحوش البعث.. كائنات لا تمت بأيّة صلة إلى الآدميّة.. ضابط الأمن وشرطة البعث لا يتورّعون عن ارتكاب أبشع الجرائم..

في هذا المكان لا يتردّد شرطي الأمن البعثي عن أكل رؤوس الأطفال.. في هذا المكان.. يربض الوحش مصاص الدماء الذي يحمل اسم «النقيب كريم» الذي قاد عمليّة اعتقال الدكتور شاكر صيهود..

«النقيب كريم» قام قبل أيّام معدودة باعتقال «س. ع» وتعذيبه بأبشع الوسائل.. صمد «س» والتزم الصمت رغم قسوة الآلام التي لا تطاق..

عمد الوحش إلى اعتقال زوجته مع طفلها الرضيع.. انتزعوا منها الطفل.. قام الوحش بتعريتها أمام زوجها الصابر الصامد صمدت الأسيرة وصمد زوجها.. الوحش يهدّد بقتل الطفل البريء الذي لم يبلغ الفطام بعد!!

وأخيراً أمسك الوحش البعثي الكاسر بالطفل من قدميه الصغيرتين وضرب به عرض الجدار! هل حدث مثل هذا الاجرام في حكم المغول؟!! أبداً.. هذا الاجرام يمارس في حكم «النغول».. أجل نغول البعث الماسوني المجرم هم وحدهم الذين يرتكبون ابشع الجرائم بحق الأبرياء.. هؤلاء الجناة خطر لا يتهدّد العراق فحسب بل أنّه خطر على مستقبل البشريّة.. البعثيّون ليسوا بشراً.. انّهم مسخ شيطاني.. كائنات انسلخت من آدميتها

واتبعت خطوات ابليس!!

سميرة في براثن وحوش البعث الكاسرة.. وحوش لا تعرف الرحمة..

مهدي الدليمي «معاون مدير أمن البصرة» المنتفخ الأوداج القميء.. الجبان.. الذي تفوح من فمه الكريهة رائحة الخمر هو من كان في استقبال الأسيرة المقهورة..

استقبل الدليمي الأسيرة المقهورة بـ «التوتيّة»..

سوف تدور الأيّام وسيأتي اليوم الذي يستنشق فيه المقهورون هواء الحريّة..

وسوف تتحقّق نبوءة الشاعر العراقي المهاجر:

– ثلاث مرّات سقطت بغداد تحت الاحتلال الهمجي..

فمرّة حين غزا ترابها «المغول»..

ومرّتين حين جاء للحكم بها «النغول»..

ومرّة رابعة ذاك يسمّى المستحيل..

حلّ المساء الشتائي حزيناً ليجثم على مدينة البصرة وكلّ مدن الجنوب.. كما يجثم نسر اسطوري.. رياح شباط تولول في الأزقة المهجورة..

حين يحلّ الظلام تبدأ ذئاب البعث عملها اليومي.. تنطلق مختلف أنواع السيّارات بحثاً عن المطلوبين:

حين يفتش في الليل عن الأحباب.

ويقادون إلى حيث يقيم البعثيّون الحفلة كلّ مساء في السرداب..

تقطيع الأيدي.. تكسير الأرجل.. ثقب الركبة بالمثقاب..

آلات يعرفها الشرف البعثي..

فـي هـذه الفتـرة العصيبـة مـن تـاريخ هـذه الـبلاد المقهـورة عنـدما نـزا البعثيّـون الأوغاد عـلى كرسـي الحكـم كان البطـش والقتـل والارهـاب والتعذيـب الرهيـب وسـيلة هـؤلاء النغـول لترويـض الشـعب وتحويلـه إلى قطـيع مـن الأغنـام!

فـي هـذه الفتـرة العصيبـة أصبحـت الحيـاة قيمـة عليـا.. وأصـبح البقـاء حيّـاً وبـأيّ ثمـن الهـدف الوحيـد!!

مـن أجـل ذلـك تنـازل الانسـان العراقـي عـن حرّيّتـه وحـتّى عـن كرامتـه ليبـقى عـلى قيـد الحيـاة!!

تعقـدت شـخصيّة الانسـان العراقـي.. أصـبح لهـا ظاهـر يرضـي البعثييـن وباطـن عميـق الغـور يرفـض عـلى وجـل هـذا النظـام البعثـي الوثنـي!

الذيـن كانـوا يزعقـون عنـد بوابـة الاعداديّـة ويطلقـون صيحاتهـم وراء سـميرة:

– خمينيّة! خمينيّة! خمينيّة!!

هـؤلاء ينتمـون فـي قـرارة أنفسـهم إلى القطـيع المذعـور الـذي يخـشى سكاكيـن البعـث!!

يا لمحنة الانسان الحر في زمن الطغاة!!

بالأمـس هـوى عبدالأميـر أبـو ايمان مضرّجـاً بـدماء الشـهادة القانيـة بعـد أن خـاض معركتـه الأخيـرة.. كان يؤمـن فـي قـرارة نفسـه أنّ عـلى الانسـان الحـرّ ألا يمـوت دون معركـة..

وهذا هو ثمن الحريّة والكرامة الانسانيّة..

الكرامـة الانسـانيّة هـي أعـلى وأغـلى وأسـمى قيـم الحيـاة.. ألـم يهتـف الإمام علـيّ عـلى شـاطىء الفـرات بصفيـن:

– الموت في حياتكم مقهورين!

والحياة في موتكم قاهرين!!

ألم يهتف نجله الحسين الشهيد على شطآن هذا النهر الكبير:

– إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برماً!!

ألم يقل حفيد علي ونجل الحسين:

– لا يحلّ للمؤمن أن يكون ذليلاً!

الكرامـة هـي كما الحيـاة هبـة الله للانسـان.. فـكما أنّ الانتحـار حـرام فانّ التنـازل عـن الكرامـة حـرام أيضـاً..

لا يحقّ للانسان وفي أي ظرف كان أن يتنازل عن كرامته أبداً!

خيـم المسـاء الشـتائي وحـلّ الـظلام الحالـك وقـد غابـت النجـوم وراء جبـال مـن الغيـوم.. صمـت مهيـب يغمـر هـذه المدينـة المقهـورة.. ما خلا ترجيعـة بعيـدة لأصـداء المدفعيّـة الثقيلـة تلقـي حممهـا عـلى مدينـة آبـادان المحاصـرة منـذ شـهور طويلـة!!

مـضى أكثـر مـن سـتّة عشـر شـهراً عـلى بـدء العـدوان البعثـي الغاشـم عـلى الجارة إيـران..

أهالـي «العوجـة» يسـتقبلون الطاغيـة الأرعـن بهتـاف طائفـي يكشـف عـن نذالتهم:

– يا صدّام لا تهتمّ!! «شيعة» بـ «شيعة» ويجري الدم!!

الدليمـي الحاقـد يسـتقبل الأسـيرة الأبيّـة بـ «التوثيـة».. ينهـال عليهـا

بالضـرب الشـديد يـفرغ أحقـاده ويعـوض عـن جبنـه ويعبّـر عـن نذالـة وقسـوة البعثييـن!

يسـتمر بالضـرب دون هـوادة إلى أن تفقـد وعيهـا وتهـوي عـلى الأرض مغميّـاً عليهـا.. ينـادي الذئـب البعثـي عـلى أحـد الـجلاوزة لـ «سـحلها» ورميها فـي الزنزانـة.. لـم يكتفـوا بذلـك راح الجلـواز الحقيـر يـرشّ الماء البـارد عـلى حطـام الجسـد الرقيـق فـي ذلـك المسـاء الشـتائي حيـث يحتفـل البعثيّـون بـ «عروس الثـورات» يـوم ٨ شـباط عام ١٩٦٣ ذكـرى انـقلاب البعثييـن مـن الحـرس القومـي والاسـتيلاء عـلى كرسـي الحكـم ذكـرى اسـتيلاء «النغـول» عـلى الحكـم فـي العـراق حيـث راحـوا يسـفكون الـدماء عـلى مـدى تسـعة شـهور لينقلـب عليهـم «عبدالـسلام عارف» وينشـر فضائحهـم فـي كتـاب تحـت عنـوان: «المنحرفـون»..

البعثيّـون فـي اقبيـة التعذيـب فـي مديريّـات الأمـن يحتفلـون عـلى طريقتهـم الخاصّـة أما عنـدما يتلقـون ضربـات قاصمـة فـي جبهـات القتـال فانّ جحيـم البعـث تسـتعر عـلى نحـو لا يطـاق.. جيـوش الأنظمـة العربيّـة تديـر ظهورهـا لفلسـطين والقـدس العزيـزة وجـاءت تحـارب وتسـاند نظـام البعـث الماسـوني فـي حربـه القـذرة وعدوانـه عـلى نظـام الثـورة الإسلاميّـة.. النظـام الـذي أهـدى مبـنى سـفارة إسـرائيل إلى منظمـة التحريـر الفلسـطينيّة ليكـون مقـرّاً لسـفارة فلسـطين.

النظـام الـذي أعلـن مـن خلال مفجـر الثـورة الإسلاميّـة آخـر جمعـة مـن شـهر رمضـان يـوماً عالميـاً للقـدس.. إيـران تعلـن رسـميّاً أنّهـا دولـة مواجهـة ضـد إسـرائيل.. وأنّـه يجـب ازالـة هـذا الكيـان الغاصـب عـن صفحـة الوجـود.. البعثيّـون يعلنـون الحـرب عـلى إيـران الثـورة الإسلاميّـة خدمـة لأميـركا وبريطانيـا وإسـرائيل!

واصطفـت جميـع الأنظمـة العربيّـة العميلـة إلى جانـب صـدّام وراحـت

تدعمه بلا حدود في حربه العدوانيّة وخذلت بل وراحت تحارب الشعب العراقي المقهور.. سميرة الأسيرة المقهورة مرميّة على أرضيّة زنزانة متجمّدة في غيبوبة عن الوعي.. ثيابها منقوعة بالمياه في شتاء قارس لا يرحم!

لا أحد يعرف أين تحلّق تلك الروح الشفّافة؟!

الجسد مجرّد رداء طيني.. الرداء الطيني ما يزال مطروحاً فوق أرضيّة زنزانة منقوعة بالمياه الباردة..

الروح تسيح في عالم بعيد.. عالم يرفل بالصفاء والسلام!! وكان جواز العبور آيات من الذكر الحكيم.. في جولات التعذيب الهمجي كان لسان الأسيرة يلهج بذكر الله وكانت آية الكرسي تنساب كلماتها بخشوع.. أحياناً تلجأ إلى ما حفظته من أدعية الصحيفة السجّاديّة التي وصفت بأنّها «زبور آل محمّد»!

أجل هنا يكمن سر صمود الأسيرة المكبلة بالسلاسل والأغلال!

شهر شباط يلملم أيّامه ولياليه الأخيرة..

الظلام الحالك يجثم على مدن العراق وقراه وتشتدّ الظلمات بعد منتصف الليل..

جاء الجلّاد مهدي الدليمي ومعه بعض جلاوزته.. كانوا سكارى مخمورين تفوح من أفواههم الكريهة وشواربهم الكثة رائحة الخمر..

قصدوا زنزانة الأسيرة وقام أحد الجلاوزة فاستلّها بغلظة وعنف وراح يسحلها إلى غرفة التحقيق والتعذيب..

قام الجلاوزة بتعليقها من شعرها بالمروحة وراح الدليمي يضربها بـ «التوثيّة» على جميع أجزاء بدنها.. كان يضربها بوحشيّة.. يطالبها أن

تبوح بأسماء من تعرفهم من «حزب الدعوة العميل للفرس المجوس» أسماء أصدقاء زوجها الشهيد واسم مسؤولها واسم من زوّدها بالسلاح!

وكان جوابها الأبدي..

– زوجها هو مسؤولها.. وهو من أحضر لها السلاح!

طالبها بأسماء صديقاتها.. فلم تذكر له إسماً واحداً..

تداعت في وجدانها مأساة أختها وشقيقتها الصغيرة «ليلى» ترى كيف تحمّلت كل هذه الآلام وهي في براثن «الليث الأبيض»؟!

كانت سميرة تمنّي نفسها بلقاء أختها.. ثمّة أمل في داخلها أنّها ما تزال حيّة منذ اعتقالها في يوم ٢٢ تشرين الأوّل ١٩٨٠!

توسّل الدليمي بالكهرباء وراحت الصعقات تنهش جسدها الذي بات حطاماً..

سرعان ما أصيبت سميرة بالروماتيزم وكانت مفاصلها تؤلمها بشدّة.. الزنزانة المتجمّدة برداً والمياه الباردة وكل هذا الصقيع فتك بجسمها.. تمزّقت ثيابها وعندما يشتدّ بها الاعياء وتخلد للنوم كانت تنام على أرضيّة الزنزانة الاسمنتيّة المنقوعة بالمياه..

تنام دون فراش ولا غطاء.. لم يتحمل الجسد الآدمي كل هذا العذاب استحالت الأسيرة إلى حطام!

لكن روحها تزداد سطوعاً وتزداد قوّة.. لم تستطع الصعقات الكهربائيّة النيل من صمودها.. كانت ثابتة كالنخيل.. وكانت قويّة كالجبل وكانت طاهرة كقطرات الندى..

اغمي عليها ولم تعد تشعر بالصعقات الكهربائيّة ولا بضربات «التوتيّة» ولم تعد تسمع كلمات الدليمي البذيئة.. كانت تشعر بأنّها تنزلق

في خدر النوم.. روحها تغادر إلى عالم بعيد مغمور بالنور والسلام.. تخطر في عالم أخضر بهيج تصغي إلى ألحان عذبة لطيور ملوّنة.. حيث تنساب مياه السواقي في وادٍ ظليل مغمور بالسكينة والجلال!

عندما أفاقت سميرة من غيبوتها.. وجدت نفسها في الزنزانة وأسفت على فوات صلاة الفجر..

فاتتها صلاة الليل لأوّل مرّة في حياتها مذ كانت طالبة في الثانويّة وهي تؤدّي بعد منتصف الليل هذه الصلاة العظيمة.. صلاة قال عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله: «شرف المؤمن قيامه في الليل» هذه الصلاة التي أوجبها الله على رسوله وحبيبه..

اضحت هذه الصلاة العظيمة نافذة تنفتح على عالم حقيقي يزخر بالحياة الخالدة والسعادة الأبديّة.. صلاة الليل منصة انطلاق وسفينة فضائيّة تعرج بالانسان المؤمن إلى عالم علوي يتسامى على هذه الحياة الدنيويّة المثقلة بالآثام والآلام.. هنا يكمن سر صمود هذه الفتاة الأبيّة..

**نيسان ١٩٨١**

مكبّرات الصوت تملأ شوارع المدن الخائفة بالضجيج والصخب والصراخ والنباح بمناسبة ذكرى تأسيس الحزب الماسوني.. حزب البعث العربي الاشتراكي.. «النغل» الذي لا يعرف متى وكيف «ولد» ومن هو والده!!

البعث الذي بات يعبد من دون الله.. الضجيج في كلّ مكان:

– آمنت بالبعث ربا لا شريك له!

وبالميشيل نبيّاً ما له ثاني!

– إن تسل عنّي لتعرف مذهبي

أنا بعثي اشتراكي عربي!

جلس الدليمي على غير عادته في غرفة التحقيق.. كان ينظر في «اضبارة» سميرة.. ما تزال خالية من أيّ اعتراف..

لأوّل مرّة يشعر بالعجز عن تحطيم صمود فتاة.. تذكر ما فعله بشقيقتها.. كانت في السادسة عشرة من ربيع العمر.. لكنّها صمدت وكانت قويّة.. بالرغم من رقتها.. كانت تمثالاً للرقّة والحنان..

سميرة في زنزانتها جسمها حبيس مكان ضيّق أمّا عقلها فقد كان يحلّق بعيداً.. روحها تسبح في الآفاق ووجدانها يتوهج وتسافر على أجنحة الخيال في عالم الذكريات..

كانت تمنّي نفسها بلقاء أختها الصغيرة ليلى.. ثمّة أمل ما زال يشع في أعماقها.. ليلى ما تزال على قيد الحياة..

تداعت في وجدانها أصداء كلماتها وهي تشدو بقصيدة الشهيدة بنت الهدى «لن أنثني» ما تزال أصداء النشيد تدوّي في وجدانها:

– أنا كنت أعلم أن درب الحق بالأشواك حافل

خالٍ من الريحان ينشر عطره بين الجداول

لكنّني أقدمت اقفو السير في خطو الأوائل

فلطالما كان المجاهد مفرداً بين الجحافل

ولطالما نصر الاله جنوده وهم القلائل

فالحق يخلد في الوجود وكلّ ما يعدو زائل

سأظلّ أشدو باسم إسلامي وأنكر كلّ باطل

قلب المؤمن يعرف طريقه تماماً كالنهر.. ربما استشهدت ليلى تحت

التعذيب.. والشهداء أحياء خالدون.. أهل الدنيا لا يدركون هذه الحقيقة..

– ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألّا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

أجل أهل الدنيا لا يشعرون بحياة الشهداء ومن الخطأ الفادح أن نقول عن الشهداء أنّهم موتى أو نتصوّرهم موتى:

– ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون.

سميرة ممزّقة الثياب.. محطمة الجسد.. تفتك بها آلام الروماتيزم لكنّها وروحها ما تزال قويّة.. تشرّبت سميرة ثقافة عاشوراء..

ثقافة الحب الإلهي.. آمنت بأنّه من الممكن تحطيم الانسان المؤمن وتمزيق أوصاله إرباً إرباً لكنّه من المستحيل هزيمته أبداً..

سميرة لا تعلم أن أختها الصغيرة ليلى ترقد في مكان ما بالقرب من جبل «سنام» في تلك المنطقة الجرداء على الطريق الصحراوي المؤدّي إلى «السعوديّة»..

في نهايات عام ١٩٨٠ نفذ البعثيون احدى جرائمهم عندما قام أزلام ومجرمو مديريّة أمن البصرة بنقل ما بين ٣٠٠ إلى ٤٠٠ شاب بينهم عدد من الفتيات في ربيع العمر إلى تلك المنطقة الصحراويّة.. حيث تمّ ربط أيديهم من الخلف وإطلاق الرصاص عليهم وقتلهم ودفنهم في مقبرة جماعيّة..

حضر النقيب حسين التكريتي في غرفة التحقيق وجلس على كرسي إلى جانب الرائد مهدي الدليمي..

الدليمي يأمر باحضار سميرة فجاء بها الجلاوزة وقد بدا عليها الأعياء الشديد والهزال.. وجهها شاحب غير أن عينيها تشعّان بنور نافذ.. أشار الدليمي إليها بالجلوس على كرسي صغير جلست تحدق في نقطة من أرضيّة الغرفة بدأ التكريتي الكلام بقوله:

– شوفي سميرة! بشرفي.. إذا تتعاونين ويّانا نساعدك!

النذل يقسم بشيء لا يملك منه ذرّة!

اعتصمت سميرة بالصمت، فقال:

– ها! شنو رأيك؟

أجابت بلهجة فيها تحدّي

– بشنو أتعاون معك؟!

– تعرفين زين شنو نريد.. أريد أسماء اللّي خدعوك.. أريد اسم اللّي أعطاك السلاح!

– لم يخدعني أحد.. والمسدس كان لزوجي!

– لا تراوغين.. نحن نعرف كل شي.. نعرف ان حزب الدعوة الفارسي هو اللّي خدعك وغرّر بك.. هو اللّي طلب منك اغتيال الرفيق سلام!

– لم يغرر بي أحد.. أنا قرّرت قتله لأنّه كان السبب في مقتل زوجي!

– بابا! الانكار ما يفيديچ.. احسن لك تعترفين.. من مصلحتچ تعترفين!

التزمت سميرة الصمت فقال الوغد البعثي:

– زين.. اعطيني اسم مسؤولچ حتّى اساعدچ!

ردّت سميرة بثبات:

– مسؤولي هو زوجي.. وما عندي أي علاقة بأحد!

– راح تخسرين.. مصيرچ الاعدام

– لا تهدّدني بالاعدام

– هـا! صحيـح! أنـت مثـل اختـچ ليلـى واخوانـچ.. تعتبـرون الاعـدام انتصـار وفـوز كبيـر! الملالـي يخدعوكـم بالـكلام المعسـول!!

لكـن خـل يكـون بعلمـچ إذا ما تتعاونيـن ويّانـا ما راح تحصليـن مثـل هـذه الخـرافات.. راح اجرعـچ الموت..

اتمـنّى احفـر الأرض وأطلـع لـچ «ليـلى» حـتى تخـبرچ شـنو سـوينا بيهـا بسـبب عنادهـا وخرافاتهـا.. هـا سـميرة! ليـش سـاكته؟!

اعتصمـت سـميرة بالصمـت واكتفـت بنظـرة سـاخرة إلى هـذا القـزم القمـيء! يسـخر مـن ايمانهـا وعقيدتهـا..

هـؤلاء الاقـزام يكـفرون بـالله ويؤمنـون بـ «عفلـق».. تداعـت فـي ذاكرتهـا كلمات زوجهـا وهـو يحدّثهـا عـن حفـل اقيـم فـي مدينـة الثـورة الباسـلة بمناسـبة ذكـرى ميـلاد الإمام علـيّ عليه السلام فـي ١٣ رجـب.. كان ذلـك فـي عام ١٩٧٩.. كان عريـف الحفـل جريئـاً وهـو يهتـف بـحماس:

– بسم الله الرحمن الرحيم..

قل أعوذ بربّ الفلق.. من شرّ البعث وعفلق!

دوّت في وجدانها آيات من القرآن العظيم..

– قـل يـا أيّهـا الكافـرون.. لا أعبـد ما تعبـدون.. ولا أنتـم عابـدون ما أعبـد.. ولا أنـا عابـد ما عبدتـم..

نهـض الدليمـي مـن كرسـيه وأمسـك بالتوثيّـة وراح ينهـال عـلى الأسـيرة الصامـدة.. كانـت أوداجـه تنتفـخ غيظـاً وحقـداً..

تدفقـت الـدماء القانيـة مـن جروح جديـدة ومـن جـراح انتقضـت مـرّة أخـرى جـراء التعذيـب..

لم يترك الجلّاد فريسته إلّا بعد أن أُغمي عليها..

وفـي اليـوم التالـي أُغلـق ملـف التحقيـق بشـأن «المتّهمـة» سـميرة عـودة عبدالجليـل وفيـه توصيـة بانـزال عقوبـة الاعـدام لاتّهامهـا بحمـل سلاح غيـر مرخّـص ومحاولـة القتـل العمـد مـع سـبق الاصـرار والترصـد والانـتماء إلى حـزب الدعـوة العميـل للخمينـي وللفـرس المجـوس..

تـمّ تنظيـم كتـاب رسـمي مـن مديريّـة أمـن البصـرة إلى مديريّـة الأمـن العامـة فـي بغـداد! والاسـتخبارات العسـكريّة..

سـميرة لـم تكـن تعلـم بـأن الاعتقـالات طالـت العديـد مـن الأشـخاص حيـث تـمّ فتـح قضيّـة تحقيـق تحـت رقـم «٩٨١/٢٨» وقـد شـاء القـدر أن يكون ضمـن المعتقليـن الأساسـيّين طفـل يبلـغ مـن العمـر اثنـي عشـر عاماً فقـط واسـمه «عبدالأميـر جاسـم خضيـر»!!

## إلى حجيم الاستخبارات العسكريّة

نقلت الأسيرة مكبّلة بالأغلال مشدودة إلى كرسي صدئ في سيّارة مغلقة مكتوب عليه «آيس كريم» مرطبات.. لم تتوقّف السيّارة من مبنى مديريّة أمن البصرة إلّا أمام مبنى الاستخبارات العسكريّة..

وجدت سميرة في استقبالها ذئاباً وضباعاً أشدّ وحشيّة من ذئاب البصرة!

البعثيّون الأوغاد حسّاسون في قضايا السلاح.. تعرّضت إلى جولات بربريّة من التعذيب.. لتنقل إلى مديريّة الأمن العامّة التي يرأسها المجرم فاضل البراك..

اقتيدت إلى مبنى المديريّة في الجهة الشرقيّة من شارع النضال في منطقة «البتاوين».

كانت معصوبة العينين ممزقة الثياب لا تستطيع المشي وهي تقاد إلى الطابق الثالث في الشعبة الخامسة.. وهي الشعبة المسؤولة عن مكافحة النشاط الديني..

تقع زنزانة النساء في هذا الطابق.. لتجد العشرات من نساء العراق وفتياته المعتقلات على قيد التحقيق وانتزاع الاعترافات تحت التعذيب..

هنـا يقـع ذئـب الشـعبة الخامسـة.. الـجلّاد فيصـل الهلالـي كان برتبـة نقيـب فـي منتصـف السـبعينات و«فيصـل» اسـم مسـتعار.. عـرف فـي مطلـع الثمانينـات بـ «الرائـد عامـر» وقـد أهـداه الطاغيـة صـدّام سـيّارة «مازدا» حمـراء اللـون.. كان يقـوم بتعذيـب الفتيـات بـدم بـارد.. وعنـدما تنتابـه موجـة مـن الغضـب بسـبب صمـود المعذبيـن فانـه يعـوي كالذئـب وقـد عـرف بـ «الذيـب».. كثـيرون لفظـوا أنفاسـهم تحـت التعذيـب الهمجـي..

عـرف «الذيـب» باسـم مسـتعار آخـر «عادل».. مـن مواليـد عام ١٩٤٧ يقـال ان اسـمه الحقيقـي «حذيفـة» وأنّـه مـن مواليـد النجـف الاشـرف!!!

وجهـه شـاحب فيـه صفـرة شـديدة وشـواربه كثيفـة جـداً بـدأ عملـه الاجرامـي فـي مديريّـة أمـن البصـرة ثـمّ نقـل إلى مديريّـة أمـن الكاظميّـة ليسـتقر بعدهـا فـي مديريّـة الأمـن العامـة منـذ عام ١٩٧٦..

ان لقبـه «الذيـب» لا يرسـم صورتـه الحقيقيّـة فهـو أكثـر وحشـيّة مـن الذئـاب الكاسـرة.. كان يصـرّ عـلى تعذيـب النسـوة عرايـا..

يسـاعده فـي التحقيـق والتعذيـب النقيـب عدنـان والـملازم حـازم حيـث تقـع غرفهـم مقابـل غرفـة التعذيـب فـي ممـر عرضـة ثلاثـة أمتـار وإلى جانـب الضبـاط ثمّـة جلاوزة صغـار كانـوا يمارسـون التعذيـب.. مـن قبيـل «نجـاة» مـن بغـداد و«آصـف» ذلـك السـجّان المتوحّـش و«قيـس» مـن الموصـل و«طلال» مـن البصـرة ووغـد يعـرف بـ «الگـدع» مـن بغـداد.. ومعظـم هـؤلاء الأوغاد يتّصفـون بطلعـة فيهـا جمال ووسـامة ولـو صادفهـم المـرء فـي شـوارع بغـداد لما خطـر فـي بالـه أبـداً انّ هـؤلاء هـم فـي الحقيقـة ذئـاب متوحشـة وضبـاع وحيوانـات مفترسـة!!

وفـي تلـك الأيّـام العصيبـة كتـب القـدر أن تكـون سـميرة الأسـيرة تحـت براثـن «الذيـب» والـجلّاد الرائـد عامـر..

عـلى مـدى أربعيـن يـوماً لـم تتغيّـر إفادة الأسـيرة المقهـورة رغـم جـولات التعذيـب البعثـي الهمجـي!

وخلال تلـك المـدّة تأكّـدت ان الرفيـق سلام ما يـزال حيّـاً وان الرصاصـة أصابـت أسـفل رقبتـه.. فكان مصيـر البعثـي الوغـد الشـلل التـام وأصبح كتلـة مـن اللحـم تتربع فـوق كرسـي متحـرك حيـاة أشـبه ما تكـون بالحيـاة النباتيّـة لنبتـة سـامة!

أصبحـت امنيتهـا الوحيـدة هـي أن تنـال الشـهادة وتتـحرّر مـن أسـر الدنيـا وهمومهـا.. فـي تلـك الليلـة كانـت تدعـو فـي صلاة الليـل تناجـي نـور الـسماوات والأرض:

– إلهي! قولك حق ووعدك صدق..

متى الرحيل يا رب؟

متى تحين ساعة الخلاص!

فيـدوي فـي أعماقهـا نـداء قادم مـن الأُفـق المبيـن: الأمـر الله الـذي بيـده غيـب الـسماوات والأرض.. وما يدريـك فلعـلّ الـذي أبطـأ عنـك هـو خيـر لـك.

## الموقف

شـنّت أجهـزة الأمـن حملـة اعتقـالات واسـعة واكتظـت غرفـة النسـاء فـي الطابـق الثالـث المجـاورة للسـلم بالمعتـقلات فتـقرّر انـزال سـميرة إلى الموقـف.. ومعهـا بعـض الفتيـات فـي طليعتهـنّ «نهلـة هـادي نجـف».. عـلى مـدى أربعيـن يـوماً تحوّلـت سـميرة إلى طيـف نحيـل القـوام لكثـرة ما عذّبوهـا بالفلقـة والعصـا الكهربائيّـة أو ما يعـرف فـي اقبيـة البعـث المجرم بـ «الزنبور» وهـو عبـارة عـن انبـوب رفـيع مـن مادّة البلاسـتيك الصلـب طولهـه ثمانيـن سـانيمتر وتجويـف هـذا الانبـوب مشـحون بعـدد مـن البطاريـات الصغيـرة وقـد التـفّ عـلى نهايتـه السـفلى الخارجيّـة سـلك نحاسـي موصّـل بالبطّاريـات يتسـبّب فـي كهربـة الجسـم وشـعور الضحيـة بحنـق شـديد!

سـحلوا سـميرة سـحلاً لأنّهـا لـم تكـن قادرة عـلى الوقـوف فـضلاً عـن المشـي!

وجـدت سـميرة نفسـها مـع أكثـر مـن ثمانيـن امـرأة وفتـاة ينتظـرن إعادة التحقيـق أو المحاكمـة!

ارتاعـت «أم نبيـل» لمـرآى سـميرة بأسمالهـا الممزّقـة وكثـرة الكـدمات الزرقاء والحمـراء حـول عينيهـا وفـي وجههـا الـذي كان يشـعّ بنـور شـفاف

وهالـة مـن نـور لا ينتمـي إلى نـور القمـر وشـعاع الشـمس انّـه مـن نـوع النـور الـذي يسـطع فـي قلـب الانسـان المؤمـن..

بـادرت أم نبيـل وقـد فاضـت عيناهـا دمـوعاً إلى اسـتقبال سـميرة التـي بـدت فـي عينيهـا أميرة أسـيرة..

«أم نبيـل» فتـاة عراقيّـة سـاقتها الأقـدار إلى «مديريّـة الأمـن العـام» منـذ عام ١٩٧٩ حكـم عـلى زوجهـا بالاعـدام وعليهـا بالسـجن المؤبّـد بتهمـة الانـتماء إلى حـزب البعـث السـوري المنشـق فكان مصيـر زوجهـا الاعـدام ضمـن حملـة الاعـدامات التـي نفذهـا الطاغيـة صـدّام والتـي طالـت العديـد مـن الـوزراء والبعثييـن المؤيّديـن لمـشروع الوحـدة الاندماجيّـة بيـن العـراق وسـوريا.. لكـن «أم نبيـل» لـم ترسـل إلى سـجن الرشـاد بعـد المحاكمـة وإنّما تمّـت اعادتهـا إلى «الموقـف» وهـو الطابـق الأرضـي مـن مبـنى مديريّـة الأمـن العامـة..

أم نبيـل فوجئـت بشـخصيّات نسـويّة وفتيـات فـي غايـة الايمان والأدب والنبـل ما جعلهـا تتأثّـر فـي أعماقهـا وتـقرّر قضـاء ما عليهـا مـن صلاة وصيـام عـلى مـدى خمسـة عشـر عاماً..

كانـت تقـوم برعايـة المعتـقلات فأصبحـت لهـنّ أمّـاً رؤوماً رغـم انّهـا كانـت أصغـر بكثيـر مـن غيرهـا مـن المعتـقلات..

## باسل

وهكذا تمرّ الأيّام مريرة في «الموقف» النساء هنا من مختلف الأعمار ومن مختلف مدن العراق المقهورة..

«أم رعد» زوجة أحمد جاسم من أهالي مدينة البصرة الأبيّة.. امرأة جنوبيّة تجاوزت الستين من المر اعتقلوها مع ابنتها فاطمة.. كما اعتقلوا أبناءها الأربعة «رعد» و«سعد» و«فارس» و«باسل».. لا تعرف عن مصيرهم شيئاً خاصّة «باسل» الذي انقطعت أخباره تماماً!!

كانت المرأة العجوز تراقب عن كثب «سميرة» عرفت أنّها من مدينة البصرة.. ومن أهلها الأصلاء.. فالبصري يمتاز بنبرة صوت هادئة تميزه عن النازحين من مدينة الناصريّة والعمارة.. فقد يصادف أن تهاجر أسرة من الناصريّة أو العمارة.. وتستقر في البصرة جيلاً أو جيلين.. وقد يولد في البصرة طفل من أسرة نازحة.. لكنّه ينشأ ونبرة صوته العالية تكشف عن جذوره التاريخيّة..

سميرة صوتها أصيل مفعم بالهدوء والرقّة.. ولهجتها بصراويّة أصيلة سميرة ورغم ما تعانيه من آلام الروماتيزم وبالرغم من كلّ ما تهرأ من اللحم في باطن قدميها.. لكنّها تتحامل فتنهض لأداء الصلاة.. تستند

بكفهـا إلى الجـدار الاسـمنتي القاسـي وتقـوم علـى وهـن..

حتّى فـي صلاة الليـل كانـت تتماسـك وتـؤدّي احـدى عشـر ركعـة تختتمها بركعـة الوتـر الطويلـة! حيـث تسـتغرق فـي الاسـتغفار والـدعاء والمناجـاة إلى حـدّ الذوبـان فـي المطلـق.. كانـت الروح تسـطع والوجـدان يتوهـج وكان الجسـد الآدمـي يـذوب..

«أم رعـد» تجتاحهـا الهواجـس.. لا يقـرّ لهـا قـرار.. سـلطان النـوم عجـز عـن اغماض الجفـون والعيـون.. ومادامـت سـميرة مسـتيقظة فلتتقـرب إليهـا أكثـر.. سـميرة تعـرف ان ابنتهـا معتقلـة.. لكـن لا تعـرف عـن اعتقـال أبنائهـا.. راحـت أم رعـد تسـألها عـن محـل سـكناها فـي البصـرة وعـن زوجهـا الشـهيد وأخويهـا وأختهـا الشـهداء!

قالت أم رعد:

– من كان يعذبك بأمن البصرة؟

قالت سميرة:

– كثيـرون يـا أم رعـد.. لكـن أقسـاهم كان المجـرم مهـدي الدليمـي.. عـذّب الكثيريـن مـن الشـباب والشـابات ورفعهـم إلـى الاعـدام.. وكثيـرون استشـهدوا تحـت التعذيـب!

– مرّ على عينك أو سمعك شاب اسمه باسل أو دكتور باسل؟

أجابت سميرة:

– نعـم أتذكّـر هـذا الشـاب جيـداً.. كان الدليمـي الجبـان يعذّبـه يوميّـاً ويسـتخدم كلّ أسـاليب التعذيـب إلـى أن استشـهد بيـن يديـه!

شـعرت أم رعـد بخنجـر قاسٍ يمـزق قلبهـا وكبتـت صرخـة ألـم وحبسـت بـركان غضـب ونوبـة بكاء عارمـة.. واعتصمـت بالصمـت تعـض عـلى جراحهـا

الكثيـرة.. خـوفاً عـلى سـعد ورعـد وفارس وثلاثتهـم فـوق فـي الشـعبة الخامسـة يتعرّضـون إلى جـولات التعذيـب البعثـي الهمجـي عـلى أيـدي ذئـاب الأمـن العامّـة ووحوشـها الكاسـرة.

تساءلت سميرة:

– شبيج أم رعد؟!.. هذا الشاب يقرب لك؟!!

أنكرت أم رعد حفاظاً على بقيّة أبنائها:

– لا.. لا.. معرفة بعيدة.. يعني صديق ابني.

كانـت تلـك الليلـة أقسى وأطـول ليلـة فـي حيـاة هـذا الجيـل مـن الأمّهات أمضـت سـميرة شـهوراً فـي الموقـف.. تنظـر كفيرهـا موعـد المحاكمة..

**أيلول ١٩٨١**

فـي يـوم ٩ أيلـول ١٩٨١ صـدر كتـاب (سـري شـخصي) مـن مديريّـة أمـن البصـرة موجـه إلى مديريّـة الأمـن العامـة: م: طلـب إعادة قضيـة كتـاب ديـوان رئاسـة الجمهوريّـة - دائـرة شـؤون قانـون السلامـة الوطنيّـة المرقـم ت / ٤٤٣٤ فـي ١٩٨١/٦/١٨ والمعطـاة صـورة منـه إليكـم مشـاراً فيـه إلى كتابكـم المرقـم ٣٢/م ٢٩٨٥٤/٤ فـي ١٩٨١/٦/١١.

نرسـل إليكـم النسـخة الأولى مـن القضيّـة المرقمـة ٩٨١/٢٨ والـذي أطلـق سـراح المتّهميـن فيهـا بالقـرار الخـاص مـن قبلكـم عـدى[١] المتّهميـن سـميرة - عـودة عبدالجليـل وحسـنة ياسـين عبّـاس والمتّهـم الحـدث عبدالأميـر جاسـم خضيـر لاتّخـاذ ما يلـزم مـن قبلكـم مـع التقديـر..

التوقيع

مدير أمن محافظة البصرة

١. هكذا في أصل الكتاب.

وفـي يـوم ٢٢ أيلـول ١٩٨١ أي فـي الذكـرى الأولى لشـن العـدوان البعثـي الهمجـي عـلى نظـام الثـورة الإسلاميّـة فـي إيـران صـدر كتـاب مـن مديريّـة الأمـن العامّـة:

إلى رئاسـة ديـوان رئاسـة الجمهوريّـة - دائـرة شـؤون قانـون السلامـة الوطنيّـة

م: ارسال قضيّة تحقيقيّة

كتابكم المرقم ٦٨٢ في ١٩٨١/٩/١٦

نرفـق طيـاً القضيّـة التحقيقيّـة المرقّمـة ٩٨١/٢٨ حسـب طلبكـم راجيـن التفضـل بـالاطّلاع والنظـر بموضـوع المتّهميـن سـميرة عـودة عبدالجليـل وحسـنة ياسـين عبّـاس والمتّهـم الحـدث عبدالأميـر جاسـم خضيـر

التوقيع

مدير الأمن العام

وفـي تلـك الأيّـام كانـت تفـد فتيـات فـي عمـر الربـيع إلى جحيـم الشـعبة الخامسـة فـي مديريّـة الأمـن العامّـة الجاثمـة عـلى الجانـب الشـرقي مـن شـارع النضـال!!

بعضهـن يصمـدن وبعـض يـدب إلى نفوسـهن الضعـف واليـأس والاحبـاط وفـي يـوم ١٧ كانـون الأوّل ١٩٨١ وصلـت مجموعـة فتيـات بعضهـنّ بقيـن فـي زنزانـة النسـاء فـي الطابـق الثالـث... وبعـض جـيء بهـنّ إلى «الموقـف» فـي الطابـق الأرضـي.. بـدت إحداهـنّ كما لـو أنهـا فراشـة قادمـة تبشـر بالربـيع.. جـاءت تحمـل البشـرى..

– قبـل يومـين أي بتاريـخ ١٥ كانـون الأوّل نفـذ البطـل العراقـي المهاجـر الشـاب «أبـو مريـم العراقـي» أوّل عمليّـة استشـهاديّة فـي تاريـخ

الحركـة الإسـلاميّة عنـدما قام باقتحـام مبنـى سـفارة النظـام البعثـي الصدّامـي فـي بيـروت بسـيّارة تحمـل ٢٠٠ كغـم مـن مادّة الهكسـوجين الشـديدة الانفجـار وقـد أسـفرت عـن تحويـل الوكـر الجاسوسـي إلـى أنقـاض.. كانـت سـفارة البعثييـن فـي بيـروت مركـزاً لتنفيـذ مئـات المؤامـرات ضـد المهاجريـن العراقييـن وكانـت تتآمـر علـى اللبنانييـن ومتورطـة فـي مؤامـرة اغتيـال الإمام موسـى الصـدر وهـي مـن وراء مصـرع واستشـهاد السـيّد علـيّ بدرالديـن تلميـذ الإمام الشـهيد السـيّد محمّـد باقـر الصـدر سـلام الله عليـه وعلـى شـقيقته!! والقـاء جثمانـه الطاهـر فـي واد فـي جنـوب لبنـان وقـد اخترقـت جسـده عـدّة رصاصات قاتلـة كـما ظهـرت علـى جسـده آثـار تعذيـب وحشـي!

شـعرت سـميرة بالفرحـة الغامـرة وقالـت: عـلى الحركـة الإسلاميّـة الاهـتمام بهـذا النـوع مـن العمليّـات فـي الداخـل أيضـاً كـي لا نعطـي بأيدينـا أذلّاء أو تذهـب دماؤنـا سـدىً.. عـلى الانسـان المؤمـن ألّا يمـوت دون معركـة..

وألقـت نظـرة أسـف عـلى بعـض الفتيـات اللائـي دب فـي نفوسـهن الضعف والاحبـاط واليـأس وقالت:

– المفـروض علينـا ألّا نتـرك البنـات الصالحـات يغرقـن فـي دوامـة اليـأس المفـروض أن نكـون لهـنّ قاربـاً أو علـى الأقـل أن نعلّمهـنّ السـباحة.. وينطـوي عام ١٩٨١ وسـميرة بيـن آلام مريـرة وآمال كثيـرة ويطـل عام ١٩٨٢..

فـي شـباط تداعـت فـي وجدانهـا ذكـرى قيامهـا بعمليّـة القصـاص والثـأر لزوجهـا ورفيـق دربهـا عبدالأميـر توهجـت فـي وجدانهـا مشـاهد ما جـرى فـي اعداديّـة الجمهوريّـة..

سـميرة ليسـت آسـفة أبـداً لما عانتـه مـن أهـوال ومصائـب كانـت تخـشى

شيئاً واحداً فقط هو أن يضيع الثأر.. الثأر من هؤلاء المجرمين القتلة:

– لست أبكي الجراح فهي فخار.. أنا باكٍ من أن يضيع الثار.

توجهت بقلبها إلى الشرق حيث تشتعل الجبهات ويدور الصراع بين قوّات الثورة الإسلاميّة والجيش الصدّامي المعتدي..

وقد شكّل العراقيّون المهاجرون والمهجّرون أفواجاً مسلّحة تحت راية «قوّات الشهيد الصدر» و«لواء بدر» الذي تطور ليصبح «فيلق بدر».. لقد أثبت المهاجرون العراقيون أنّهم فوق الاعتبارات القوميّة والعرقيّة والجغرافيّة وان العقيدة هي الوطن الحقيقي للانسان المؤمن فأعادوا بذلك تجربة المسلمين المهاجرين الأوائل!

**شباط ١٩٨٢**

ثلاث سيّارات مشحونة بالشباب وسيّارة رابعة مليئة بالفتيات.. تغادر مبنى مديريّة الأمن العامّة إلى «محكمة الثورة العسكريّة» كان المطر يرشق السيّارات الأربعة كتب على إحداها «بسكويت» وعلى أخرى «آيس كريم»..

وفي ذلك اليوم الشتائي أصدر عواد حمد البندر حكم الاعدام شنقاً حتّى الموت على سميرة عودة عبدالجليل.. لانتمائها إلى حزب الدعوة العميل! ولحيازتها سلاح غير مرخص ولمحاولتها قتل عضو قيادة فرقة في تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي..

استقبلت سميرة الحكم بابتسامة مشرقة مستبشرة بالشهادة ولقاء الأحبّة..

نقلت سميرة إلى سجن الرشاد شرق بغداد في ضواحي مدينة الثورة.

**٢٤ مايس ١٩٨٢**

استحالت زنزانات «الأمن العامة» وغرف التعذيب إلى جحيم لا يطاق.. فقد تلقى البعثيون الغزاة ضربة قاصمة عندما تمكنت قوّات الثورة الإسلاميّة من تحرير المدينة المدمّاة مدينة خرمشهر أو «المحمّرة».. وراح الاعلام البعثي يبرر للانسحاب «التكتيكي» من مدينة المحمّرة!!

بالأمس كانت مزاعم الطاغية الأرعن تقول إذا استطاعوا أخذ المحمّرة فسوف نسلّمهم مفاتيح البصرة..

كانت الخطوط الدفاعيّة والتحصينات العسكريّة تؤكّد أنّه من المستحيل على القوّات الايرانيّة تحرير هذه المدينة لكن احتدام المعارك وقوّة الهجوم الاسلامي في عمليّات الفتح المبين حقّقت نصراً عظيماً أدّى إلس استسلام زهاء عشرين ألف جندي عراقي معظمهم وفي قرارة نفسه يرفض هذه الحرب الظالمة والعدوان الصارخ على نظام الثورة الإسلاميّة بقيادة ابن رسول الله «روح الله الموسوي الخميني»..

كيف يسوّغ الجندي العراقي الذي يحلم بتحرير القدس لنفسه أن يدير ظهره لفلسطين ويحارب الجمهوريّة الإسلاميّة التي رفعت شعار «يجب أن تزول إسرائيل من الخارطة»؟!

كان «الذيب» جالساً في مكتبه ينفث دخان سيجارته إلى السقف.. بدا في تلك الظهيرة وحشاً مصاصاً للدماء يتحرق للتعويض عن هزائم سيّده في «البوابة الشرقيّة»!!

في كلّ مرّة يتلقى البعثيّون فيها ضربات ماحقة تستعر نيران جهنّم في اقبية البعث المجرم ومعتقلاته.. وينهال الجبناء على المعتقلين بالضرب والتعذيب للتعويض عن هزائمهم في سوح المواجهة كان «الذيب» في أسوأ حالاته النفسيّة عندما جاء «الگدع» مهرولاً لاهثاً ليقول لسيّده:

– سـيّدي! وحـدة بنيّـة صرخـت بالنسـاء وحذرتهـن مـن التوقيـع علـى الأوراق وگالـت إلهـن لا توقعـن هـذه خدعـة.

كانت الأوراق تشتمل على «اعترافات» مزوّرة سطّرها الجلّادون.

تميّـز الرائـد وعـوى الذئـب فـي داخلـه.. أطلـق عـواءه عاليـاً فـي كلّ مـرّة يغضـب فيهـا ينطلـق عـواء هـذا الذئـب البشـري!

نهض من وراء مكتبه وهويصرخ:

– روح بسرعه جيبهه!

ركـض «الگـدع» الـذي لا يعـرف المعتقلـون اسـمه الحقيقـي ليحضـر فتـاة فـي ربيعـه العمـر.. كانـت متلفعـة بعبائتهـا وهـو يجرّهـا جـرّاً ليوقفهـا أمام الذيـب الـذي رفـع كرسـيّه بكلتـا يديـه ليهـوي عـلى الفتـاة وصرخ بهـا:

– بنت الـ... صايره هنا بنت الهدى!

أهوى بالكرسي على هامتها.. فهوت الفتاة إلى الأرض جسداً هامداً..

كان أحـد المعتقليـن[1] فـي غرفـة التعذيـب فـي حالـة قريبـة مـن الاغماء وتقـع هـذه الغرفـة مقابـل مكتـب الذيـب تماماً.. لذلـك اتيح لـه أن يشـاهد مـن فتحـة صغيـرة تحـت قطعـة الـقماش التـي عصبـوا بهـا عينيـه. هـذه الحادثـة.. رأى «الگـدع» يسـحل الفتـاة خـارج غرفـة الذيـب والـدماء ترسـم خطـاً قانيـاً فـي الممـر.. اعتقـد «الشـاهد» جـازماً أن الفتـاة قـد فارقـت الحيـاة!

## حزيران ١٩٨٢

«الشـاهد» ما يـزال مربوطـاً فـي حالـة الوقـوف عنـد بـاب غرفـة التعذيـب باتّجـاه الممـر ينتظـر دوره فـي التعذيـب عـلى يـدي الذيـب فـرأى مـن تحـت

١. الأسـتاذ عبّـاس السـاعدي (علـيّ العراقـي) مؤلـف كتـاب «مذكـرات سـجينة» والحادثـة موثقـة فـي الجـزء الأوّل ص٣٠٤.

العصابة رجلاً أسمر البشرة يبدو أنّه قد تجاوز الأربعين من عمره.. اسمه «علي عبد عطيّة السوداني» من أهالي مدينة العمارة جنوب شرق العراق..

تفنن الذيب في تعذيبه بكلّ الوسائل على مدى خمس جولات وحشيّة.. وبدا علي بطلاً صامداً.. وعجز الذيب عن انتزاع كلمة واحدة..

هدّده الذيب بتعذيب والدته العجوز وكان البعثيّون قد أحضروها من قبل وكذلك زوجته وابنه الرضيع..

الذيب يهدد البطل بتعذيب الأم العجوز!!

البعثيّون نغول بغداد يعذبون الأمهات!!

بدأ الذيب يعذب الأم العجوز أمام عيني ابنها العاري المكبّل بالأغلال والمعلّق إلى السقف..

كانت المرأة العجوز تصرخ ألماً.. البعثيّون الأوغاد يتفنّنون في تفجير مكامن الآلام.. بقيت الأم تصرخ وتصرخ إلى أن أغمي عليها من شدّة الآلام.. أمر الذيب بسحلها إلى خارج غرفة التعذيب..

الرجل الأربعيني الذي ينحدر من قبائل الجنوب العراقي.. لا ينطق!!! صوت يصدر من فمه يشبه زئير الأسود.. أمر الذيب البعثي باحضار زوجة الأسير المقهور وراح يعذّبها مستخدماً - كلّ آلات التعذيب البعثي الهمجي..

تزين مكاتب الجلّادين لوحة مكتوب عليها:

– «أوصي الأجهزة الأمنيّة بالغاء أي حدود لممارسات التعذيب ضد أعداء الثورة دون أي حرج أو خشية من مسائلة»

من كراس وصايا الرفيق صدام حسين

إلى الأجهزة الأمنيّة

انبعث صراخ الزوجة الشابّة وراح يتردّد في الممر الطويل.. تحول زئير الأسد المكبّل إلى أنين وهو يصغي إلى صرخات زوجته المتوسّلة:

– علي! علي! علي!

كانت تستنجد بزوجها الأسير المعلّق إلى السقف تصرخ.. تستنجد.. تتوسّل إلى أن أُغمي عليها هي الأخرى عاد زئير الأسد مرّة أخرى لكنّه كان مكبوتاً!

لم يتحمّل «الذيب» صمود البطل واجتاحته موجة غضب وانفجر بركان الحقد.. وأهوى بالكرسي الحديدي على البطل الصامد وهو يطلق شتائمه ويصفه بـ «عديم الشرف والمروءة» لأنّه لم يعترف رغم تعذيب أمّه وزوجته!!

وشيئاً فشيئاً خمد زئير الأسد وتلاشى وساد السكون المكان.. فيما راح الذيب يعوي ويدور فيك الغرفة ويصرخ:

– مو حرامات هيچ رجال يخونون العراق!! جبناء! مو حرامات!!

بالأمس احضروا فتاة من القاعة الواقعة في نهاية ممر الشعبة الخامسة.. جاءوا بها ملفوفة بالبطانيّة. قال الجلاوزة لـ «الذيب» انها ترفض الاعتراف..

ضربها الجلّاد واقترب منها ليسمع اعترافاتها فما كان منها إلّا أن تبصق في وجهه الأصفر!

انتفخت أوداجه وراح يضربها إلى أن خمدت أنفاسها!!

في تلك الأيام العصيبة كشر نظام البعث عن أنيابه وظهرت حقيقة الطاغية الأرعن صدام مصّاصاً للدماء.. لا يرتوي من دماء الأبرياء.. طاحونة

المـوت تلتهـم الشـباب فـي قادسـيّة مشـؤومة.. وفـرق الاعـدام فـي الخطـوط الخلفيّـة والويـل لمـن يتراجـع وينسـحب..

والبعثيـون ما انفكـوا يقتحمـون البيـوت بحثـاً عـن الأحـرار واسـتحالت مدينـة الثـورة.. مدينـة النازحيـن مـن الجنـوب إلى مـسرحٍ لعمليّـات دمويّـة رهيبـة.. واختـفى آلاف الشـباب.. انقطعـت أخبارهـم.. رائحـة المـوت تنتشـر فـي كلّ مكان وإعلام البعـث يطبـل ويزمّـر لقادسـيّة صـدّام وللقائـد الـضرورة ولبطـل التحريـر القومـي وإلى مئـة اسـم يضاهـي بهـا مـن لـه الأسماء الحسـنى.. لقـد عاد النـمرود!!

**سجن الرشاد**

ليلة المحاكمة لم تذق سميرة طعم النوم.. امضت تلك الليلة الشتائيّة في مناجاة وصلاة طويلة.. كانت قد تحدّثت قليلاً إلى «أمّ نبيل» واسمها سعاد جعفر موسى وقبّلت ابنتها الرضيعة «نور» وكانت غافية في حضن الأمومة الدافئ..

شدّها شوق عارم لرؤية ابنتها ايمان..

ايمان التي لم تتركها الأقدار أن تكمل الرضاع.. ايمان الآن في الثانية والنصف من عمرها.. ترى هل تشمّها ذات يوم قبل الرحيل إلى الأبديّة؟!

لن تنسى أبداً تلك الليلة المطيرة من ربيع ١٩٧٩ كانت تهدهدها في المهد وتشدو بانشودة المطر سعيدة بانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران وقد مضى على انتصارها أسابيع معدودة:

– عيناك غابتا نخيل ساعة السحر..

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر..

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء.. كالأقمار في نهر..

يرجّه المجذاف وهنا ساعة السحر

كأنّما تنبض في عينيهما النجوم..

همست في أعماقها:

– ايمان يا حبيبتي! متى أراك؟

سعاد يوم القبض عليها في ١٩٨٠ كانت حاملاً.. وقد حكم على زوجها بالاعدام رمياً بالرصاص لمعارضته نظام صدام وقد وجهت إليه تهمة الانتماء إلى حزب البعث السوري المنشق.. لكن السبب الحقيقي كانت معارضته لانقلاب صدام على حكومة البكر في ١٦ تموز ١٩٧٩ حيث شنت عصاباته حملات اعتقال واسعة وجرت تصفيات دمويّة طالت عشرات البعثيين بينهم وزراء.

في تلك الليلة تجاذبت أطراف الحديث مع تلك المرأة الجنوبيّة المعتقلة مع ابنائها.. كان أكثر ما يؤلمها أنّها في الموقف فيما كان أبناؤها فوق في الطابق الثالث يعانون من أهوال التعذيب.. بقيت أم رعد متكتمة على الحقيقة خوفاً عليهم من المصير الدامي في تلك الليلة جرت على لسانها مناجاة ممّا تحفظه من كتاب الصحيفة السجّاديّة المشهور بـ «زبور آل محمّد»:

– مولاي!

وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري..

وامّحى من المخلوقين ذكري..

وكنت من المنسيين كمن قد نسي

في صباح يوم شتائي قارس من شباط وبعد مضي أحد عشر شهراً على اعتقالها في جحيم الأمن العامة.. نقلت إلى محكمة الثورة العسكريّة..

ولـم تسـتغرق محاكمتهـا وقتـاً طـويلاً فالأحكام جاهـزة.. وسـرعان ما نطـق عـواد البنـدر جلّاد البعـث المجـرم بالحكـم شـنقاً حـتّى المـوت لمحاولتهـا القتـل مـع سـبق الاصـرار والترصّـد ولانتمائهـا إلى حـزب الدعـوة العميـل للفـرس المجـوس!!

اسـتقبلت سـميرة الحكـم بابتسـامة سـاخرة؛ فهـذا الحثالـة مجـرّد بيـدق لا قيمـة لـه لا يعـرف مـن أصـول المحـاكمات سـوى توقـيع الأحكام التـي «تقترحهـا» الأجهـزة الأمنيـة.. عـواد البنـدر البعثـي الجبـان لـن ينـسى مادام حيّـاً كيـف تلا حكـم الاعـدام قبـل أيّـام بحـق أحـد الشـباب الأبطـال وعـلى زوجتـه بالسـجن المؤبّـد.. وفـي مشـهد عظيـم قامـت الزوجـة الشـابة بـنزع حذائهـا ورمـت بـه نحـو القاضـي الحقيـر وهـي تهتـف بصـوت مجلجـل:

– جبان! تفرقني عن زوجتي وقدوتي؟!

وتحرمني من نيل الشهادة؟!

فوجي البندر بضربة الحذاء..

وجـنّ جنونـه فغيـر الحكـم إلى الاعـدام فـوراً وكان طفلـهما البالـغ مـن العمـر خمـس سـنين يشـاهد ما يجـري ولا يكاد يـدرك أبعـاد المأسـاة!!

نقلـت سـميرة مكبلـة بـالأغلال إلى سـجن الرشـاد شـرق بغـداد الـذي يقـع عـلى حـافات مدينـة الثـورة.. مدينـة الكادحيـن النازحيـن مـن مـدن الجنـوب..

وفـي عصـر ذلـك اليـوم وصلـت سـيّارة مغلقـة مكتـوب عليها «بسـكويت» سـجن الرشـاد لتتوقّـف أمام بوابـة كبيـرة[١] تترجـل سـميرة.. اسـتقبلت سـميرة - مـن أسـيرات القسـم السياسـي الثالـث بـكلّ حفـاوة وفتحـن لهـا قلوبهـنّ وغمرنهـا بالرعايـة والحـب والحنـان وكان واضحـاً عـلى طيفهـا أنهـا عانـت

١. مزيـد مـن التفاصيـل حـول هـذا السـجن العتيـد؛ انظـر روايـة «الـسماء تفتـح أبوابهـا فـي المسـاء» وروايـة «عواطـف وأمـل».

الأهـوال فـي «أمـن البصـرة» و«الأمـن العامـة».

في تلك الليلة انبعث صوت رقيق يشدو بأشعار الشهيدة بنت الهدى:

– يا رسول الله أبشر وانظر اليوم إلينا..

لترانا كيف قد أشرق نور الحق فينا..

يا رسول الله إنّا فتيات قد أبينا..

أن نرى القرآن مهجوراً على الرفّ سنينا..

وهكـذا تـدور الأيّـام والليالـي.. سـميرة الأسـيرة المقهـورة تعيـش بيـن أخواتهـا مـعززة مكرمـة.. خاصّـة بعـد أن عرفـن أنهـا تحمّلـت صنـوف التعذيـب والعـذاب ما لـم يتعـرّض لـه الكثيـر مـن الرجـال..

المعتـقلات فـي القسـم السياسـي الـرابع يعشـن فـي ظروف أفضـل قياسـاً ببقيّـة الأقسـام.. لذلـك لـم يدخـرن ما بوسـعهن مـن تقديـم الـدواء والكسـاء وعـلى نحـو منتظـم!

الشـخصيّة البصريّـة تمتـاز بالرقّـة والطيبـة والصفـاء.. وقـد كانـت سـميرة وبالرغـم ممّـا عانتـه مـن أهـوال وقسـوة وعـذاب تسـببت فـي اصابتهـا بالروماتيـزم وآلامـه الشـديدة إلّا انّهـا بقيـت عـلى رقتهـا وحنانهـا وعطفهـا.. بقيـت البوصلـة تشـير عـلى الـدوام إلى الاتّجـاه الصحيـح.. فلا عجـب أن تصـبح وبعـد مضـي فتـرة وجيـزة أمّـاً بالرغـم مـن أنهـا كانـت فـي الثلاثيـن مـن ربـيع العمـر اسـتحالت زنزانتهـا الصغيـرة فـي القسـم السياسـي الثانـي إلى صومعـة تنقطـع فيهـا إلى ربّهـا ومعبودهـا تصلّـي وتناجـي.. وهـي تـذرف دمـوع الحـب الالهـي.. تحيـي الليـل بالعبـادة وتنـام قليـلاً فـي سـاعات النهـار.. وتشـارك فـي الحـوارات وتصغـي إلى دروس الفقـه والتفسـير وحفـظ القـرآن الكريـم..

اسـتمرّت علاقتهـا أقـوى ما تكـون مـع صديقتهـا فـي شـهور المحنـة فـي

مديريّة الأمن العامة «نهلة هادي نجف».. قالت لها نهلة ذات يوم:

– أنت شهيدة في الجنّة إن شاء الله تعالى فلم تجهدين نفسك في الحفظ..

تبتسم وتقول: إقرأ وإرق! إقرأ وإرق!

كان هذا الحديث النبوي الشريف متوهجاً في وجدانها.. فهي تقرأ باسم ربها الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى!! إقرأ منصة انطلاق نحو الأعالي.. إلى حيث يعود الانسان إلى أرض الوطن!

في تلك الليلة وقد مضت أسابيع على قدومها إلى «الرشاد» توهجت في وجدانها ذكرى زيارتها مرقد الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب «صوت العدالة والانسانيّة».. كانت يومها طالبة في الاعداديّة.. وهؤلاء «النغول» لم يسطو بعد على حكم العراق..

كانت مشاهد تلك الأيام تتألّق في الذاكرة.. رغم ضباب الزمن واتربة السنين.. وتوهجت كلمات من «نهج البلاغة» كلمات معبّرة عميقة الغور: «فليصدق رائد أهله.. وليكن من أبناء الآخرة فانّه منها قدم وإليها ينقلب.

ومن المؤسف أن معظم الناس هم من أبناء الدنيا!! ألم يقل نجل الإمام عليّ الحسين سيّد الشهداء وهو يضع اصبعه على «المقتل»:

«الناس أبناء الدنيا والدين لعق على ألسنتهم.. يحوطونه مادرّت معايش.. فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».

## الشبكة

أمرها عجيب.. سميرة القادمة من أقصى الجنوب العراقي من مدينة البصرة الفيحاء.. من تلك الأرض السمراء.. تعيش أيامها الأخيرة وقد بدأ العد العكسي.. فلا أحد يعرف متى تصل أوراق محكوميتها ليأخذوها إلى سجن «أبو غريب» العتيد حيث تنفيذ الأحكام في قاطع الاعدام!!

ومع ذلك فان «سمراء الجنوب» تقبل على الحياة وفي أعماقها تتوهج شموع الأمل بالغد المشرق.. هكذا عاشت وستبقى كذلك إلى آخر لحظة من حياتها..

كانت دروسها في اللغة العربيّة يوم كانت تدرس في اعداديّة «خولة بنت الأزور» نصوصاً بليغة في التعبير عميقة في المعاني.. صادقة في تفسير الحياة.. كانت تكثر من مطالعة كتاب «نهج البلاغة» و«الصحيفة السجّاديّة الكاملة» تحفظ الكثير من نصوصها..

دروسها في اللغة العربيّة تتضمّن في جوهرها وباطنها دروساً في التربية الدينيّة والاخلاق الإسلاميّة!

تلجأ سميرة في كثير من الأحيان إلى ما يعرف بـ «الشبكة» والشبكة عبارة عن ساحة كبيرة تطل عليها أقسام السجن يحيطها سياج يرتفع إلى

خمسة أمتار وفوق السياج اسلاك شائكة على ارتفاع مترين.. تستخدم هذه «الشبكة» للتعداد والجرد الذي يجري يومياً في الصباح.. كما تحشر فيها المعتقلات عند القيام بحملات التفتيش المفاجأة بحثاً عن الرسائل السريّة والكتب الدينيّة خاصّة في القسمين الثالث والرابع.. كما انها تكون ملتقى الزيارات الشهريّة حيث تجتمع السجينات مع أهاليهنّ.. وعادة ما تسمح الرقيبات للسجينات بالخروج إلى «الشبكة» للتمشي والتشمّس أو للصلاة وتناول طعام الافطار في شهر رمضان المبارك.. وهذه الشبكة تدعى بـ «الشبكة الكبيرة» أمّا «الشبكة الصغيرة» فهي عبارة عن مساحة صغيرة من الأرض المهملة وتقع خلف الأقسام.. تقوم بعض السجينات بزراعة «الخضار» ونباتات الزينة.. وتطل نوافذ القسمين الثالث والرابع على هاتين الشبكتين.. عرفت سميرة بمقولتها تخاطب الشباب العراقي المؤمن:

– أخي! لن يجتث أشواك عراقك غيرك!

سميرة تتجول في «الشبكة الصغيره».. راحت تجتث أشواكها.. وحرثت مساحات صغيرة منها لزراعة الخضار.. زرعت فيها بعض نباتات الزينة.. وراحت تسقيها إلى نبتت وأورقت وازدهرت خضرتها..

كانت تقول لأخواتها رفيقات الدرب..

– هذه ذكرى! وتذكرة!

وذات يوم رأتها الرقيبة «لميعة» المعروفة بحقدها وهي تنثر البذور.. وتهيل التراب على بعض البذور من التربة المحروثة.. فقالت تسخر منها:

– ش تزرعين؟! واحتمال تجي أوراق اعدامچ.. قبل ما تطلع أوراق الزرع؟!

ابتسمت سميرة وقالت:

– نريـد أن نقـول لكـم إنّنـا كالـزرع.. إذا قطعتـوا غصـن.. تـراح تطلـع مكانـه أغصـان!

تفهميـن معـنى زرعـوا فأكلنـا ونزرع فيأكلـون؟!.. نحـن نزرع للغـد.. تفهميـن معـنى الغد؟!

قلبـت الرقيبـة لميعـة شـفتيها المتورّميـن.. واسـتدارت وغابـت خلـف البـاب المفتـوح!

فيما استغرقت سميرة في عملها تزرع للغد القادم..

وهكذا تدور الأيّام وينمو الزرع.. وتزدهر الخضرة في الشبكة:

ولو أنّا عبرنا الغيم.. والسحبا!

لأبصرنا مدى عجبا!!

لأبصرنا ملايين النجوم وهالة الأقمار والشهبا.

ولو أنّا سبرنا البحر.. في الأعماق..

حيث مواطن الأصداف والمرجان والشعبا..

لذقنا من رحيق الصمت..

كأس العشق والحبّا..

## حقل الأحزان

وقفت مقابل جدار الزنزانة.. وتصوّرت نفسها واقفة إلى جانب السبورة السوداء.. وأنّ القلم الذي امسكت به انّما هو طبشور أبيض.. وأنّها تشرح الدرس إلى طالباتها في اعداديّة «خولة بنت الازور» أو «القناديل» لكن ما تريد أن تكتبه على جدار الزنزانة يختلف تماماً عن كلّ الدروس التي ألقتها في الاعداديّة.. لا وجود للطالبات في عمر الرابعة عشرة.. هنا في سجن سجن الرشاد فتيات في العشرين اعتقلن في ظروف مثل ظروفها.. فتيات محكومات بالمؤبّد وبسبع سنين وعشر سنين..

وما تريد أن تخطّه على الجدار.. إنّما هو ذكريات وتواريخ في حياتها.. تواريخ مفعمة بالسعادة وتواريخ مترعة بالحزن والمرارة.. انها تكتب وتخط على جدران الزمن..

خطت في البداية كلمات مقدّسة من كتاب الله المجيد والقرآن الكريم والذكر الحكيم..

– «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين».

وبدت الكلمات تشعّ نوراً فياضاً بالحب الإلهي وبدأت ترسم حقلاً جميلاً يزخر بالزروع والورود وتخطّ فيه تواريخ الذكريات السعيدة:

- تاريخ التخرج من جامعة البصرة في «شط العرب» خريف ١٩٧٣
- تاريخ اقترانها بالحبيب عبدالأمير عبدالصمد في ربيع ١٩٧٨
- تاريخ وصول الإمام الخميني إلى أرض الوطن ١ شباط ١٩٧٩
- تاريخ انتصار الثورة الإسلاميّة الكبرى ١١ شباط ١٩٧٩

راحت سميرة تسجّل تواريخ الذكريات الجميلة واللحظات السعيدة.. سجلت تاريخ ميلاد ابنتها ايمان في حزيران ١٩٧٩ إلى جانب وردة «سوسن» ووردة «شقائق» الربيعيّة.. وبعدها وإلى جانب نخلة صغيرة سجلت تاريخ انتفاضة رجب الكبرى عام ١٩٧٩ حيث تجلّت إرادة الشعب العراقي أقوى ما تكون!

سميرة تنتقل لتسجل تواريخ الذكريات الحزينة واللحظات المريرة بدت الزروع في حقل الأحزان خاوية على عروشها فالجذوع منحنية والورود ذابلة..

راحت سميرة تسجل بعينين مليئين بالدموع وبأنامل مرتعشة تواريخ الذكريات المريرة وكانت البداية مع مصرع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر:

- ٨ نيسان ١٩٨٠ استشهاد السيّد محمّد باقر الصدر
- ٢٢ ايلول ١٩٨٠ تاريخ شن العدوان السافر والحرب الظالمة ضد الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران
- كانون الأوّل ١٩٨٠ استشهاد ورحيل الحبيب ورفيق العمر والدرب عبدالأمير أبو ايمان
- شباط ١٩٨١ تاريخ توديع إيمان وهي ما تزال طفلة في المهد

– شـباط ١٩٨١ تاريـخ الاعتقـال بعـد محاولـة الاقتصـاص مـن البعثـي المجـرم «رفيـق سـلام»..

عنـدما وصلـت إلى تـاريخ ١٤ شـباط ١٩٨٢ وهـو تـاريخ المحاكمـة والحكـم عليهـا بالاعـدام شـنقاً حتّى المـوت وجـدت نفسـها تخـط هـذا اليـوم فـي حقـل الأفـراح.. فقـد بـات اللقـاء بالحبيـب ورفيـق الـدرب والعمـر قريبـاً.. قريباً جـداً..

تـراءى لهـا خيـال الراحـل وهـو يحمـل ايمان ويضمّهـا إلى صـدره ويشـمها ليـملأ صـدره بعبيـر الايمان والبـراءة والربـيع..

## حرب من أجل السلام

وصلت إلى سجن الرشاد شابّة كانت قد اعتقلت على خلفيّة نشاط زوجها الذي حكم بالاعدام بسبب انتمائه إلى «حزب الدعوة العميل» كانت تبدو نشازاً بين المعتقلات في الأقسام السياسيّة فاضافة إلى أميتها كانت تميل إلى ممارسة السحر.. فتقوم ببعض أعمال السحر والاتّصال بالجن وبزعمها أن تريد أن تستكشف الغيب والتأثير على بعض الأرواح..

ويبدو أنّها كانت في غاية الاستياء من زوجها بسبب انتمائه للحركة الإسلاميّة..

سرى تأثير هذه المرأة إلى احدى الاخوات من مدينة النجف الأشرف (س. ع)

وفي تلك الأيّام حينما ينشر الليل ستائره تعقد دروس التفسير وفي تلك الليلة دار الحديث حول تفسير قوله تعالى:

– «يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد واتّقوا الله انّ الله خبير بما تعملون» «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون».

همست إحداهنّ:

– البعثيّون نسوا الله واتّخذوا من حزب البعث إلهاً وربّاً وهم لا يقدسون الحزب إنّما يقدسون طاغية الأرعن..

شكت المهندسة «سميرة جبر» من تلك المرأة الجاهلة التي جاءت إلى «الرشاد» وتروّج لثقافة السحر.. منذ آلاف السنين جنح الانسان إلى السحر وإلى الاتّصال بعالم الجن!

السحر قوّة شيطانيّة يستخدمها الإنسان الذي لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى أو أنّه يشرك مع الله أحداً أو قوىً.. يرمز لها من خلال الأصنام والأوثان والآلهة المزيفة..

أمّا سلاح الانسان المؤمن فهو يكمن في الدعاء.. والدعاء سلاح الأنبياء..

وفي الايمان بالله الواحد تكمن قوّة الانسان المؤمن وهذا ما يفسّر صمود الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات أمام وسائل التعذيب الهمجي..

وقد جاء في الحديث القدسي:

– «عبدي أطعني تكن مثلي.. تقل للشيء كن فيكون».

المحن التي يمرّ بها الانسان المؤمن هي امتحان الهي.. وعلى الانسان أن يصبر لأن أعظم العبادة إنّما هي الشكر على المنعم والصبر على المصائب والنقم.. ولهذا نرى هذا الكم الهائل من الأدعية في تراث أهل البيت عليهم السلام.

السحر والاتّصال بالجن إنّما هي ثقافة الفراعنة، فأرسل الله نبيّه موسى الكليم عليه السلام ليري الناس هزيمة السحر أمام الايمان والقي السحرة ساجدين قالوا آمنّا بربّ العالمين.. ربّ موسى وهارون لا يلجأ إلى السحر الأضعاف الايمان وعندما ينحسر الايمان في المجتمع ينتشر السحر..

وللأسف اليهود يزعمون أن النبي موسى قهر سحرة فرعون بسجر أقوى ومنذ ذلك اليوم وهم يرددون «العصا السجريّة» وما زال البعض منا يقول في معرض حديثه.. أنا لا أملك العصا السحريّة» وفي امريكا سموا مؤسّسة الانتاج السينما «هوليود» (Holy Wood) يعني العصا السحريّة.. في حين أن عصا موسى عليه السلام جاءت للقضاء على السحر وكانت معجزة رسول الله موسى بن عمران عليه السلام ..

ومع ذلك تغلّفت ثقافة السحر في نفوس اليهود إلى حدّ ان «السامري» استغلّ غياب موسى عليه السلام وذهابه إلى الميقات فصنع عجلاً ذهبيّاً له خوار ودعا اليهود إلى عبادته!!

سميرة تصدّت لمواجهة ثقافة السحر.. وكانت تحيي الليل بالعبادة والدعاء والمناجاة.. وساندتها «سعديّة وادي الجابري» والمهندسة سميرة جبر التي غادرت «غرفة النجف» وتؤسس «غرفة الهندسة» التي ضمّت كلاً من «إنعام حسن الخفاجي» و«رباب» و«نور الهدى» والمهندسة «ليلى كاظم الخفاجي» وكانت نهلة هادي نجف من أقرب الصديقات ورفيقات المحنة إلى قلب «سميرة عودة».

### نيسان ١٩٨٢ سجن الرشاد

نشر المساء ستائره في ذلك اليوم الربيعي من أيّام نيسان وتكاثف الظلام وكانت السماء مثقلة بالسحب المعصرة كانت سكينة الليل تغمر المكان..

انتبهت «نهلة هادي نجف» من النوم على دوي الرعود تجلجل في الفضاء اللانهائي.. جميع من في سجن الرشاد كانوا غاطين في نوم عميق ما خلا فتاة في الحادية والثلاثين من العمر.. انها سميرة عودة «أم ايمان» التي اعتادت على النهوض في ساعة السحر الليل لأداء «صلاة

الليـل»..

فـي الركعـة الوتـر الطويلـة.. وفـي ختـام السـجدة الثانيـة دعت الله سـبحانه وتعـالى أن يرزقهـا رؤيـة ابنتهـا «ايمان» قبـل رحيلهـا.. ايمان الآن تناهـز الرابعة مـن العمـر.. تعيـش فـي كنـف جدّتهـا.. وجههـا القمحـي يحمـل الكثيـر مـن ملامـح أبويهـا!! لقـد مـرّ عـلى فراقهـا زهـاء عاميـن كانـا بمثابـة قرنيـن مـن الزمـن..

السماء ما تـزال تسـحّ ما تسـحّ مـن دموعهـا الثقـال.. وقبيـل طلـوع الفجـر بدقائـق توقـف هطـول المطـر الربيعـي الغزيـر.. وامـتلأت الغـدران بالميـاه.. وقـد سـادت حالـة مـن الصفـاء والـجلال وبـدت الـسماء قريبـة أقـرب ما يمكـن للانسـان المؤمـن.. وامـتلأ الفضـاء بعبـق الأرض المرشوشـة بالمطـر!!

أمّا «الشبكة» الصغيرة فقد ازدهرت بالخضار وشجيرات الزينة!!

بعـد طلـوع الشـمس اسـتغرقت سـميرة فـي خـدر النـوم.. لتنبـه قبيـل سـاعة الضـحى وتشـارك فـي دروس حفـظ القـرآن الكريـم وبعـد نهايـة الـدرس قالـت «نهلـة» وقـد ظهـرت علامات الاسـتغراب عـلى وجههـا وفـي صوتهـا:

– أم ايـمان! أنـت شـهيدة فـي الجنّـة إن شـاء الله تعالـى.. ليـش تجهديـن نفسـك فـي حفـظ القـرآن الكريـم؟!!

ابتسمت سميرة واكتفت برواية الحديث النبوي الشريف:

– قرأ وارق!

أجـل انّ تلاوة القـرآن ووعيـد وحفـظ آيـات وسـوره يتسـحيل إلى سـلّم يـرقى بالانسـان المؤمـن إلى المعـارج العليـا!

في حدود الساعة الحادية عشرة.. جاءت الرقيبة أم سفيان..

نـادت عـلى سـميرة عـودة للحضـور فـي ادارة السـجن اسـتاءت سـميرة!!

سـوف تضطـر لمقابلـة مديـرة السـجن «رافـدة الجبـوري» تلـك المـرأة الدميمـة الوجـه البذيئـة اللسـان..

تبدو رافدة كما لو أنّها رمز لشخصيّة المرأة البعثيّة!!

فـ «كلّ اناء بالذي فيه ينضح»!!

يبـدو ان رافـدة اسـتلمت مبالـغ كبيـرة جـداً للـسماح بلقـاء سـميرة أسـرتها دفعـت لهـذه المـرأة الوقحـة مبلغـاً مغريـاً مـن المال حتّـت ترتـب هـذه الزيـارة و«المواجهـة» الأولى والتـي سـتكون الأخيـرة!!

قالـت مديـرة السـجن بلهجـة فيهـا غلظـة واسـتعلاء ان أهلهـا جـاءوا للقائهـا..

– أنا سمحت بهذه الزيارة لخاطر بنتچ.. شسمها؟!

– ايمان!!

– روحي للشبكه انتظري.

أسـرعت سـميرة إلى زنزانتهـا وهـي تكاد تطيـر سـعادة بهـذا اللقـاء الـذي انتظرتـه طـويلاً..

احضرت «بطانيّة» وفرشتها قرب شجيرات الزينة وقد ازدانت خضرتها..

استحالت الدقائق إلى ساعات في زمن الانتظار!

وأخيـراً جـاءت ايمان تمشـي عـلى قدميهـا الصغيرتيـن كانـت تلـوذ بجدّتهـا..

كان مشـهد أم سـميرة مأسـاويّاً قتـل البعثيّـون الأوغاد ولديهـا الحبيبيـن زكـي وبشـير وغيّبـوا ابنتهـا ليـلى.. لا أحـد يعـرف مصيرهـا حـتّى الآن.. أمّـا سـميرة فقـد أدركـت أنّ المجرميـن قـد قتلوهـا بعـد اعتقالهـا فـي ٢٢ تشريـن الأوّل

١٩٨٠!! بأسابيع.. ولذلك كفّت عن التفكير في لقائها ذات يوم!

ألقت سميرة بنفسها في احضان أمّها الحنون التي هدّتها السنون!!

أرادت أن تحتضن ابنتها «ايمان» لكن الطفلة البريئة تشبّثت بجدّتها وراحت تنظر باستغراب إلى المرأة التي تريد احتضانها.. كان آلم شيء عليها ان ابنتها لا تعرفها!!

تجمّعت الدموع في عيني أم ايمان وشعرت بعمق المأساة.

– آه يا ابنتي! ما أقسى هذا الزمن بالأمس القريب فقدت أباك وغداً ستفقدين أمك ستكونين يتيمة الأبوين يا حبيبتي!! استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه..

واطلّ وجه الرقيبة العبوس يؤذن بانتهاء «المواجهة» ضمّت سميرة طفلتها إلى صدرها وراحت تشمّها وتملأ صدرها بأنفاس البراءة.. الوجه الطفولي تسوده ملامح اليتم وهذا ما اضرم النار في قلب الأم..

حانت لحظات الفراق فلا لقاء إلاّ في عالم بعيد عن ويلات الأرض.. عالم ينعم بالصفاء والمحبّة والسلام..

وعندما غادرت الجدّة وهي تقود حفيدتها على مهل وقفت سميرة ساهمة كما لو أنّها كانت تمثالاً للأمومة.. كان فؤادها فارغاً يكاد يحطّم القفص الصدري ويحلّق بعيداً عن جدران السجن العتيد..

**صباح يوم الأحد ٨ آب ١٩٨٢**

استيقظت سميرة بعد اغفاءة قصيرة لم تستغرق سوى دقائق معدودة كانت قد أدّت «صلاة الليل» هوّمت عيناها ولم تنتبه إلّا على صوت أذان الفجر يأتي من بعيد.. الكلمات الخالدة تحملها نسائم الفجر الصادق..

شعرت سميرة بحالة من الانقباض لا تعرف له سبباً!

اليـوم هـو يـوم الـخلاص.. كانـت الشـمس قـد ارتفعـت مـن فـوق أسـوار سـجن الرشـاد عنـدما توقفـت السـيّارة الصنـدوق القادمـة مـن سـجن «أبـو غريـب» الرهيـب عنـد بوابـة سـجن الرشـاد فـي شـرق بغـداد..

جاءت الرقيبة الحقيرة «لميعة» مهرولة لتنادي:

– سميرة عودة عبدالجليل!

سميرة عودة.. يلّلا تحضري لـ «أبو غريب»!!

أمـر عجيـب سـاد الوجـم وجـوه الجمـيع ما خلا سـميرة التـي قالـت وقـد أشـرقت ابتسـامة عـلى وجـه سـمراء الجنـوب:

– الحمد الله! الحمد الله الذي شرّفنا بالشهادة!

بادرت إلى الحمام لتغتسل غسل الشهادة!

وحش «أبو غريب»

وفـي سـاحة السـجن وقـف «أبـو وداد» فبـدا فـي بدلتـه السـوداء وقناعـه الأسـود كائنـاً شـيطانيّاً أو وحشـاً مصّاصـاً للـدماء!!

يسـتعجل حضـور المحكومـة بالاعـدام شـنقاً حتّى المـوت.. الأوراق تحمل توقـيع المجـرم «عـواد البنـدر» الـذي حكـم عليهـا بالاعـدام لحيازتهـا سلاح غيـر مرخـص بـه ومحاولتهـا قتـل «الرفيـق سلام»..

كان «أبـو وداد» واقفـاً بالقـرب مـن القسـم الثالـث.. ذلـك الكائـن البشـع الـذي يعرفـه سـجناء «أبـو غريـب».

«أبـو وداد» سـجين فـي القسـم الجنائـي انتشـرت عنـه حكايـات حـول ارتكابـه جريمـة قتـل وسـطو.. طويـل مسـودّ الوجـه دميـم الخلقـة سـيّئ الخلـق مـن مواليـد ١٩٤٤م.. أمـضى جـزءً مـن محكوميتـه فـي قاطـع الأحكام

الثقليلة في سجن «أبو غريب» المركزي ثمّ انتقل إلى قاطع الاعدام لتقديم «خدماته»..

غليظ القلب حادّ المزاج يقوم بعمله الاجرامي في تنفيذ أحكام الاعدام بمنتهى القسوة..

بدأ عمله الاجرامي منذ عام ١٩٨٠ في الأقسام السياسيّة الخاصّة.. وعندما لاحظ الجلّادون «تفانيه» في تقديم خدماته خفّفوا حكم الاعدام.. وسمحوا لأسرته بالسكن في المباني المخصّصة للمنتسبين وعوائلهم..

وبسبب تاريخه الأسود الملطّخ بدماء الضحايا قرّر عدم مغادرة السجن خوفاً من انتقام ذوي الضحايا..

اعتاد «أبو وداد» على تنفيذ أحكام الاعدام الجماعيّة.. فهو يستلم «الجملون» الذي يضمّ المحكومين بالاعدام ويتعهد باعدامهم خلال فترة زمنيّة محدّدة وعلى مراحل..

ويصادف أحياناً خاصّة في عامي ١٩٨١ و١٩٨٢ أن يستلم «جملون» يضم حدود ١٥٠ من المحكومين بالاعدام شنقاً حتّى الموت وصادف في عام ١٩٨٢ أن استلم جملون ضم زهاء أربعمئة شاب وتعهد باعدامهم خلال مدّة زمنيّة محددة!!

وفي يوم الأحد أو يوم الأربعاء وقبل أن تبدأ حفلات الاعدام الجماعي كان أبو وداد يأتي إلى «الجملون» الذي يضمّ المحكومين بالاعدام قبل غروب الشمس بساعة فقد دأب البعثيّون على تنفيذ أحكام الاعدام بعد غروب الشمس كان الوحش قد اعتاد على السكر فيأتي مخموراً إلى «الجملون» ليحذّر الشباب قائلاً:

– شوفوا!! اليوم بعد المغرب راح أبدي آخذ أرواحكم... اريدكم

تبقـون هادئيـن.. وما أريـد تخربطـون.. وتسبّون السـيّد الرئيـس بطـل القادسـيّة!!

ما أريد هتافات.. تهتفون وتكبرون!!

تره إذا تزعجوني الطبر بيدي!! مفهوم؟!!

وبعـد غروب الشـمس يبـدأ الوحـش بازهـاق أرواح الشـباب.. عـلى عـدّة وجبـات.. فيبـقى مسـتغرقاً فـي عملـه الاجرامـي إلى ما بعـد منتصـف الليـل.. وقـد تسـتغرق حـفلات الاعـدام يـوماً أو يوميـن أو حـتّى اسـبوعاً..

وكان الـجلّادون يمنحونـه «حوافـز» عـدا راتبـه الشـهري.. وطـالما قالهـا أمام المعتقليـن:

– آخـذ علـى كل راس خمسـة دنانيـر.. وبطـل عـرگ لهـذا كان لا يملّ ولا يـكلّ!!

وقـد اعتـاد عـلى الامسـاك بـ «التوثيـة» أو «الطبـر».. فـإذا سـمع أحـد الشـباب المؤمـن يهتـف بالحيـاة للاسلام أو يحيـي السـيّد الشـهيد محمّـد باقـر الصـدر هجـم عليـه ووجـه لـه ضربـة بـ «الطبـر» أو التوثيّـة عـلى ظهـره أو على مؤخّـرة رأسـه..

ومـن يتعـرّض إلى هكـذا ضربـات قاتلـة.. فان ادارة السـجن فـي هـذه الحالـة تمتنـع مـن تسـليم جـثمان الشـهيد إلى ذويـه!!

فـي ظـل هكـذا نظـام همجـي عانى شـبابنا المقهـور مـن نظـام يمنـع بشـدّة الهتـاف ضـدّه حـتّى فـي غـرف الاعـدام المغلقـة!!

وعادة ما يأتـي «الوحـش» مـع ضابـط «مـفرزة الاعـدام» إلى سـجن الرشـاد الخـاص بالنسـاء وقـد أخـفى وجهـه الدميـم خلـف قنـاع أسـود إمّـا خـوفاً أو من أجـل إرهـاب المحكوميـن وترويعهـم!!

بـدا الوحـش متحمّسـاً لاسـتلام السـجينة ونقلهـا إلى «أبـو غريـب» رغـم وجـود «مرافقـة» سـجّانة تأتـي مـن سـجن أبـو غريـب لمرافقـة الضحايـا إلى السـجن الرهيـب وإلى قاطـع الاعـدام ومعهـا مرافقـة مـن داخـل سـجن الرشـاد للارشـاد عـلى تنفيـذ حكـم الاعـدام حيـث تعـود بعـد التنفيـذ إلى الرشـاد ومعها نسـخة مـن الأوراق الخاصّـة بالتنفيـذ!!

المرافقـة القادمـة مـن أبـو غريـب امـرأة طويلـة شـمطاء دميمـة المنظـر ومازاد فـي بشـاعتها أسـنانها الطويلـة التـي تبـدو كأنيـاب الضبـاع الجائعـة!!

جحظـت عينـا الوحـش وتذمّـر هـو (يـدردم) بعـد ما سـمع أن السـجينة فـي الحمام!

– ليش عدنا زفّة عرس؟!

لا يـدري هـذا الوحـش ان بنـات الزهـراء.. يتلقيـن خبـر الذهـاب إلى «أبـو غريـب» كما لـو كانـت بشـرى سـارّة أو بشـارة بالـخلاص والانـطلاق إلى العالـم العلـويّ.

اغتسـلت سـميرة وارتـدت أكفانهـا المـطرزة بآيـات القـرآن الكريـم.. وعصّبـت جبهتهـا الـشماء بقطعـة قماش بيضـاء مكتـوب عليهـا: يـا حسـين!

لـوّح الوحـش بيـده الغليظـة إلى الرقيبـة الحقيـرة «ابتهـال البغـدادي» فـي أن تـسرع باحضـار السـجينة!!

كانـت أم ايمان مسـتغرقة فـي أداء ركعتيـن شـكراً لله سـبحانه أن رزقهـا الشـهادة والسـعادة الأبديّـة! ودّعـت سـميرة رفيقـات الـدرب المريـر وبنـات المحنـة ودّعـت حبيباتهـا واحـدة واحـدة وكانـت تنثـر وصاياهـا الأخيـرة كما البـذور فتتلقاهـا القلـوب..

أوصتهـنّ بالمداومـة عـلى طريـق الجهـاد والمقاومـة لأن ذلـك «منهـاج

السـعداء وطريـق الأنبيـاء».

غادرت سـميرة الـمكان باتّجـاه بـاب القسـم السياسـي الثالـث حيـث يقـف الـجلّاد أبـو وداد الـذي بـادر ليضـع السلاسـل والقيـود «الجامعـه» فـي معصميهـا فانتهرتـه بشـدّة ورفضـت أن يمسـها هـذا الوحـش القـذر..

أمر ضابط مفرزة الاعدام الرقيبة ابتهال أن تتولّى هذه المهمّة..

غادرت سميرة جدران الرشاد وهي تصغي إلى نشيد الصدر الشهيد:

– باقر الصدر منا سلاما!

أي باغ سقاك الحماما!

وانطلقـت سـيّارة الاعـدام إلى غـرب بغـداد حيـث الانتظـار الطويـل حـتّى الـغروب!

وهنـا يسـدل السـتار تماماً وتنقطـع الأخبـار وما هـو متيقـن مـن الحـوادث ان الاسـتاذة المربيّـة سـميرة عـودة عبدالجليـل قـد نفّـذ فيهـا حكـم الاعـدام شـنقاً حـتّى المـوت وان جثمانهـا الطاهـر قـد أودع الثـرى فـي مقبـرة «محمّـد سـكران» أو محمّـد السـكران فـي منطقـة الحسـينيّة شمال شـرق بغـداد..

وقـد عرفـت المقبـرة باسـم محمّـد سـكران بعـد أن دفـن فيهـا رجـل صالـح يـدعى محمّـد بـن سـكران الخالصـي المتـوفى فـي شـعبان سـنة ٦٦٧هـ ١٢٦٩/م عـن عمـر ناهـز الثامنـة والثمانيـن.. تعـد المقبـرة ثانـي أكبـر المقابـر فـي محافظـة ديـالى.. ويضـمّ ترابهـا العديـد مـن ضحايـا نظـام البعـث الهمجـي لـ «نغـول» بغـداد..

الوادي المنعم بالسلام

أكثـر مـن ثلاثمئـة كيلومتـر هـي المسـافة بيـن البقعـة التـي يرقـد فيهـا الشـهيد أبـو ايمان الأسـتاذ عبدالأميـر عبدالصمـد والبقعـة التـي ترقـد فيهـا

الشـهيدة الأسـتاذة المربيّـة أم ايمان سـميرة عـودة عبدالجليـل..

مسـافات طويلـة بيـن «وادي الـسلام» و«محمّـد السـكران» ان لجـثمان الشـهيد حرمـة عظيمـة تكمـن فـي رمزيّـة الجسـد الآدمـي عنـدما يكـون رداءً لـلروح..

ولقد نهى القرآن الكريم عن توصيف الشهداء بالموتى:

– «ولا تقولـوا لمـن يقتـل فـي سـبيل الله أمواتـاً بـل أحيـاء عنـد ربهـم يرزقـون فرحيـن بـما آتاهـم الله ويستبشـرون بالذيـن لـم يلحقـوا بهـم..

**ربيع عام ٢٠٠٥**

ايمان ذكـرى الشـهيدين الراحلتيـن قبـل حوالـي ربع قـرن مـن الزمـن هـي الآن فـي السادسـة والعشريـن مـن ربـيع العمـر وقـد مـرّ عامان عـلى سـقوط نظـام البعـث الهمجـي أصبح هـذا النظـام الـذي حكـم العـراق بالحديـد والنـار فـي خبـر كان..

ومـن يريـد أن يفتـش عنـه لـن يجـده إلّا فـي مزابـل الطغـاة ونفايـات التـاريخ..

وسـيبقى المجـد للشـهداء والنصـر مـن نصيـب تلـك الـدماء.. ايمان تـرى فـي عالـم الرؤى أُمّهـا طيفـاً يتـراءى لهـا غيمـة بيضـاء فـي سماء زرقاء..

الأمّ الشـابّة تتململ فـي رقادهـا بعيـداً عـن رفيـق العمـر.. الشـهيدة تريـد مجـاورة الشـهيد.. تريـد أن ترقـد بـسلام فـي جـوار مرقـد الحبيـب فـي الـوادي المفعـم بالـسلام!!

فـي ربـيع عام ٢٠٠٥ للمـيلاد قُـدّر أن ينتقـل ما تبـقى مـن الـرداء الطينـي لتلـك الروح العظيمـة.. النعـش الطاهـر وبعـد أكثـر مـن عشريـن عاماً ينطلـق إلى حيـث يرقـد الشـهيد عبدالأميـر عبدالصمـد بـسلام فـي وادي الـسلام..

**كمال السيّد**

## مرثية

سميرة.. بنت الجنوب
سميرة يا نشيد الخير يعزفه
ناي الخلود على بوابة العصرِ
يا دوحة العزّ في عصرٍ به طفقت
معاول الشر لا تبقي ولم تذرِ
سميرة يا هتاف الصدق في زمن
فيه المناقب أمر غير منتظرِ
يا أم ايمان يا رمز الوفاء ويا
مجداً يضاف إلى أمجادنا الأُخرِ
ويا شموخاً عظيماً لا يزعزعه
جور الحقود وسيف الظالم القذرِ
لم يقهروا فيك روحاً طالما سكرت
في كعبة الله لا في محفل السَّمرِ
قد عذّبوك عذاباً لا يمارسه

أعتى الطواغيت في الأزمان والعصرِ
سميرة ما رأيت في براثنهم
من العذابات لم يجرِ على بشرِ
نذرت الله نفساً ما تصيّدها
طيف من اللهو أو لون من البطرِ
فعانقت روحك الشماء مقصلة
من العبور إلى العلياء والظفرِ
بنت العراق الذي ما لان جانبه
يوماً لباغ ولم يركن لذي شررِ
بنت الجنوب الذي أضحى بثورته
سيفاً بوجه الغاصب الأشرِ
إنّا على الدرب يا أختاه موعدنا
عند الفرات بيوم زاهرٍ نضرِ
نرتّل الآي والأحزان نمسحها
عن المآذن والأيتام والشجرِ

عبدالرحمن العلوي[١]

٣ شعبان ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

١. أديب عراقي هاجر عام ١٩٨٠ له مجموعة قصصيّة تحت عنوان «على جسر الغربة».

## صدر لمؤسسة كلمات للطباعة والنشر

### سلسلة في ظلال الزيتونة:

٠. في ظلال الزيتونة
١. اسمه أحمد
٢. إلا علي
٣. دموع السماوات
٤. فاطمة حورية الأرض
٥. وكانت صديقة
٦. عاصفة السلام
٧. ألم ذلك الحسين
٨. أطول يوم في التاريخ
٩. الثورة امرأة
١٠. وسلاحه البكاء
١١. عليه السلام
١٢. جعفر أيها الصديق
١٣. على جسر بغداد
١٤. الطريق إلى خراسان
١٥. وكان تقياً
١٦. تراتيل في زمن الذئاب
١٧. فارس الزمن الغائب
١٨. بانتظار الذي يأتي
١٩. الشمس وراء السحب
٢٠. نهاية التاريخ

**سلسلة شهداء العراق**

١. عواطف وأمل
٢. السماء تفتح أبوابها في المساء
٣. سمراء الجنوب (هذا الكتاب)

**سلسلة كتب متنوعة**

١. النفس في قفص الاتهام
٢. الإمام الخميني قوة الحق
٣. الشمس وحديث المرايا
٤. قمر الحسين
٥. ويكتب وصيته الأخيرة

أمر ضابط مفرزة الإعدام الرقيبة ابتهال أن تتولى هذه المهمّة..

غادرت سميرة جدران الرشاد وهي تصغي إلى نشيد الصدر الشهيد:

ـ باقر الصدر منا سلاما!

أي باغ سقاك الحماما!

وانطلقت سيّارة الإعدام إلى غرب بغداد حيث الانتظار الطويل حتّى الغروب!

وهنا يسدل الستار تماماً، وتنقطع الأخبار، وما هو متيقن من الحوادث أن الأستاذة المربّية سميرة عودة عبد الجليل قد نفّذ فيها حكم الإعدام شنقاً حتّى الموت، وأن جثمانها الطاهر قد أودع الثرى في مقبرة «محمّد سكران» أو محمّد السكران في منطقة الحسينيّة شمال شرق بغداد..

كلمات

9 786144 642689